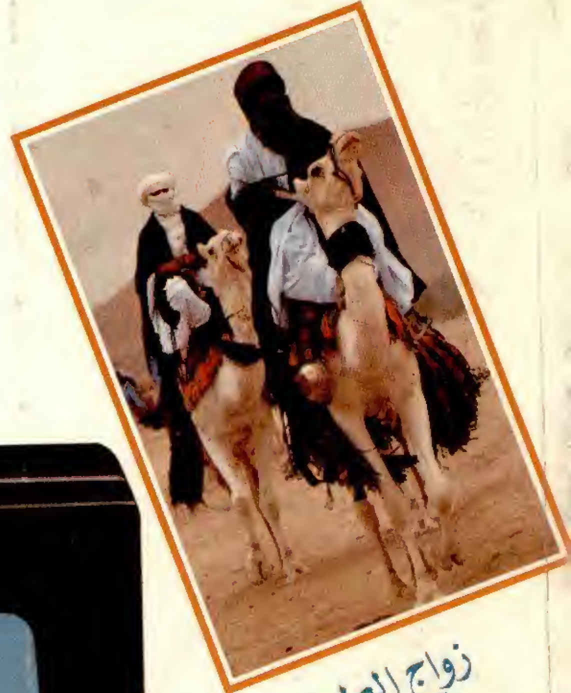
Mngool.com

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية ـ العدد (١٩٥) ـ رمضان ١٤١٣ هـ (مارس) ١٩٩٣م
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE (195) MAR. 1993



زواج الطوارق: عادات تفرّدوا بها



رمضان في العالم
صورة موحدة للمسلمين



البوسنة والهرسك: المؤامرة على الإسلام

الكوليسترول: الأكول الزموم

تسهيل المنافع في الطب والحكمة

هـذه نسخـة مخطـوطـة من كتـاب في الطب، لمؤلفه إبـراهيم بن عبد الـرحمن الأزرق اليمني (توفي بعد سنة ٨٩٠هـ على الأرجح).

ذكـر المؤلف أنـه جعل كتـابه هـذا على خمسـة أقسـام: الأول في أشيـاء من علم الطبيعـة والأمـر بالتداوي، والثاني في تفسير الحبوب وطبايع الأغذيـة والأدوية ومنـافعها، والثـالث فيما يصلح للبدن في حال الصحة، والرابع في علاج العلل الخاصة بكل عضـو مـن أعضـاء الجسـد، والخامـس في عـلاج الأمراض العامة المتنقلـة في البدن وغير ذلك.

هـذه المخطـوطـة نسخـة جيـدة كتبت سنـة ٩٩٣هـ كما هـو مدون في آخرها، صفحـة العنوان كتبت بياناتها داخل دائرة ذات محيطين، صفحاتها مجدولـة باللـونين الأحمر والأزرق، مداخل الأبـواب والفصـول بـالقلم الأحمر، وكـذلك كثير من أسماء الأمراض والأدويـة، وبعضها مميـز باللـون الأصفر المائل إلى الخضرة. الصفحـة الأولى مزيـن أعلاهـا بطرة جميلة ذات ألوان مختلفة (أزرق وأحمر ولون ماء الذهب)، وبداخلها كتبت البسملة بخط ثلث بماء الذهب.

يصنف الكتـاب ضمن المؤلفـات المشهـورة في هـذا المجال، وامتـدادًا لجهود علميـة كثيرة في ظل الحضارة الإسـلامية، وقـد طبع عدة طبعـات لعل آخرهـا طبعة ١٣٩٩هـ بمؤسسة الخافقين بدمشق. ومما يزيد في أهميته أن مؤلفـه ضمّنه كثيرًا ممـا ورد في كتب طبيـة سابقـة حتى غدا مـرجعًا جيدًا مرتبًا ذا فائدة كبيرة.

---

* من مقتنيـات قسـم المخطـوطـات في مكتبـة جـامعـة الملك سعـود بـالـريـاض (رقم المخطـوطـة ٢).

* أعد هذه النبذة أبو زكريا صالح الحجي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية

تصدر عن

دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE

PUBLISHED BY

AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

مجلة الفيصل العدد (١٩٥) — رمضان ١٤١٣هـ — السنة (١٧) — آذار (مارس) ١٩٩٣م

إطلالة

هُويتنا الثقافية والخروج من "هَيْمَنَة" الآخر

التساؤل المُلح الذي يطرح نفسه، ونحن بصدد الحديث عن هويتنا الثقافية، هذا التساؤل يكمن في كيفية التخلص من هيمنة الفكر الوافد - غربيًا كان أو شرقيًا - على قطاعات متنوعة بشكل أو بآخر في دول عربية وإسلامية، وفي مجالات متعددة: فكرًا وثقافة وإبداعًا، للخروج من أسر التبعية لهذا «الآخر» الوافد وهيمنته؛ هذه الهيمنة التي مورست قديمًا - وتُمارس حاليًا في بعض الأحايين - بقوة ميكانيكية، وتسيطر حديثًا عبر أساليب أخطر شراسة وأبعد تأثيرًا وتشكل في حقيقتها؛ استعمارًا ثقافيًا يؤدي مهامه المرسومة بمهارة وتركيز كبيرين، بطرائق متعددة مغلفّة في ظاهرها بمسميات حضارية، منها:

- دور طباعة ونشر «موجّهة».
- مراكز ثقافية تستخدم محطات داخل بعض بلادنا العربية والإسلامية لجذب الأدمغة وغسيلها أو - على الأقل - تحييدها.
- جوائز براقة لا يعكس مظهرها جوهرها المُسيّس وغير الواضح أو المعلن.
- مؤتمرات لتسليط الضوء أو تحويله عن قضايا أو مناطق كوارث.
- مهرجانات لتلميع رموز تسير في فلك «الآخر» وتؤدي دورها المطلوب بعناية ودقة فائقتين.
- استقطاب أبرز العقول النابهة وفتح أبواب الهجرة أمامها.
- إحلال مناهج تعليمية وافدة وتزيينها، لتبقى شوكة في قلب المناهج الأصيلة المعبّرة عن بيئاتها وأهلها.

وغير ذلك من وسائل برّاقة وخدّاعة - تسير على النهج الذي رسمه بعض المستشرقين - وتعمل في حقيقتها على تغريب أهل هذه المجتمعات عن بيئاتهم بأن يستظلوا بمظلة الثقافة الوافدة، وشيئًا فشيئًا يحدث الإحلال والتبديل وتخترق هذه الثقافة البديلة الممسوخة (ثقافة الآخر) وَعْيَ الكثيرين بدلًا من الثقافة الأصيلة بخصوصياتها المميزة، وتتجاهل، في أحسن الفروض، تراث البلاد وموروثها بهدف خلخلة الثوابت الفكرية وزعزعتها في نفوس أبنائها جميعهم — لا قدّر الله — تمهيدًا لاستئصال هذه الثقافة المميزة من جذورها وتكريس وهْم «العالمية» و«الحضارة الكونية» و«التلاقح الثقافي» وغير ذلك من رواسم (كليشيهات) ثبت زيفها وخداع مروجيها وإفلاسهم الفكري والروحي.

فوقتذاك - ووقتها فقط - تسهل مهمة هذا الوافد في سلب وعي أفراد هذه المجتمعات؛ وبالتالي مجتمعاتهم؛ وصياغتهم صياغة ذات انتماء خادع تجعلهم يفكرون بأساليب ذلك «الآخر» الوافد ويرون العالم من خلاله ووفق خططه المرسومة والمحددة سلفًا.

أليس ذلك أدعى إلى وعينا بذاتنا تمهيدًا للقضاء على أوهام أعدائنا في التفوق العنصري والحضاري المخالف في حقيقته لحقائق الحياة ومعطياتنا التي أنارت للبشرية طريقها في عصورها المظلمة؟!

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفيصل

● المراسلات

مجلـــــة «الفيصـل» ص. ب: (٣) الريـاض: ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية.

هـــــــاتف: ٢٦. ٤٦٥٣ ـــ ٢٧. ٤٦٥٣ ـ تلـكـس: ٤٠٢٦٠٠ DRFATHSJ ـــــ فـــاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١.

● أسعار بيع النسخ في البلاد العربية:

المملكة العربية السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٠٠ فلس ـ الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم ـــ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٦٠٠ فلس ـــ سلطنة عمان ٦٠٠ بيســة ـــ الأردن ٤٠٠ فلس ـ الجمهورية اليمنية ٦ ريالات ـــ مصر ١٠٠ قرش ـــ السودان ١٠٠ قرش ـ المغرب ٥ دراهم ـ تونس ٥٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ١٠ ليرات ـ ليبيا ٨٠٠ درهم.

● أسعار الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعوديًا ترسل قيمة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل»

● الإعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة

● ALL CORRESPONDENCE TO:

AL-FAISAL MAGASINE P.O. BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDIA

Tel. 4653026 - 4653027, Telex: 402600 DRFATH SJ, Telefax: 4647851.

● EUROPE - AMERICA - ASIA:

Norway NKR30 - Pakistan RS15 - Portugal ESQ100 - Spain PTS150- Sweden SKR30 - Switzerland SF6 - United Kingdom £ 2 - U.S.A. $5 - Belgium BF200 - Denmark DKR30 - Finland FMK30 - France FF15 - F.R.G. DM10 - Greece DR200 - Italy L4000 - Netherlands DFL10

● ANNUAL SUBSCRIPTION RATES:

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R. 250

Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

في هذا العدد



ص ٣٦
لزواج أبناء الطوارق في الجزائر عادات وطقوس غير مألوفة. فالعروس تذهب إلى بيت الزوجية محمولة على ظهر عجوز. والزوج لا يرى عروسه نهارًا!



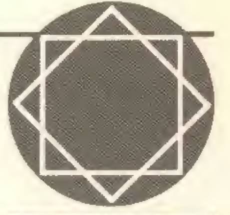
ص ٣٨
القمر الصناعي العربي (عربسات) يُعد لتطوير أدائه عبر جيل جديد من الأقمار الصناعية.



ص ٧٥
كيف يستقبل مسلمو العالم مقدم شهر رمضان المبارك؟ كتّاب ومراسلو «الفيصل» في ثمانية أقطار ينقلون صورة حية لرمضان في العالم الإسلامي.



ص ٨٨
١٦ مليون عنوان و٢١٥٠ ناشرًا من ٦٩ دولة وأكثر من خمسمائة أديب وعالم ومفكر التقوا في ثاني أكبر معرض دولي للكتاب في القاهرة.



انتصارات عظمى في شهر رمضان

د. صلاح عبد المقصود المهداوي



شهر رمضان يجدد للمسلمين - كلّما جاء - ذكريات طيبة، وانتصارات عظيمة، تربطهم بالله تعالى وتقوّي علاقتهم به من جهة، وتصلهم بماضيهم المجيد من جهة ثانية، كما تفيدهم بعبرها ودروسها من جهة ثالثة، فضلا عما يتركه الصوم من عموم نفعه للفرد، وللمجتمع: في الدين، والنفس، والأخلاق، والجسم.

وإن أهم ما يجدده شهر الصيام من ذكريات، وأعظم ما تحقق فيه من انتصارات هو هذا القرآن المجيد الذي أنزله الله في شهر رمضان ﴿ هُدًى للناسِ وبَيّناتٍ مِنَ الهُدى والفُرقان» ﴾ البقرة ١٨٥.

هذا القرآن المجيد الذي أعطى هذه الأمة - ولايزال - وسيظل يعطيها كل ما تريده من القوة والمنعة، ويُمدها بأسباب الرقيّ والعزة، ويصون لها عقيدتها وشريعتها، ويزكيها في أخلاقها وثقافتها، ويهديها في كل شؤونها للتي هي أقوم.

ومن هنا كان نزول القرآن - في شهر الصيام - أعظم نصر لهذه الأمة، حيث أقبل عليه المسلمون من السلف إقبال قراءةٍ وحفظ، وتدبر وفهم، وعلم وعمل، وجعلوه منهاج حياتهم، فأحلوا حلاله، وحرّموا حرامه، ووقفوا عند حدوده سلمًا وحربا، فأعزهم الله بالقرآن، وانتقلوا به من نصر إلى نصر، حتى دانت لهم الدنيا، وكانوا أهلاً لأن يقول الحق سبحانه وتعالى فيهم: ﴿ كنتم خير أمةٍ أُخْرِجَتْ للناس ﴾ آل عمران ١١٠.

ولقد لمست الإنسانية أثر القرآن في حضارة أمته، وفي قوة أتْباعه، وفي صلاح الأرض بهم، لمّا استمسكوا بالقرآن في خير القرون؛ كما تلمس الإنسانية اليوم انهيار أمته، واقتتال أتباعه، وهوانهم في دنيا الناس لما فرطوا في القرآن وهجروه، واهتموا بحروفه وضيعوا أكثر حدوده، وتحاكموا - إلا من رحم الله - إلى الطاغوت (١) وقد أُمِروا أن يكفروا به، مما لا يدع مجالا للشك في ضرورة العودة السريعة الصادقة - من جميع المسلمين حكاما ومحكومين - إلى الاهتداء بالقرآن كله في كل شؤون الحياة، ولدينا في هذا الشهر الكريم الفرصة الكبرى لذلك.

ومن أعظم الانتصارات التي تتحقق للمسلم في هذا الشهر انتصاره على نفسه، وكبحه جماحها، وضبطها على صراط ربها.

فإذا كانت آثار الصوم في جسم الإنسان وصحته كثيرة وعظيمة — عرف الناس العديد منها، ولايزال الطب يعرّفنا الكثير، مما يجعلنا نزداد إيمانا بربنا المشرع الحكيم — فإن آثار الصوم في النفس أكثر وأعظم، إذ يهذبها ويؤدبها، ويفكها من أسر العادات، ويقيها هي والجوارح من الوقوع في المعاصي واتباع الشهوات، ويخلصها من أمراض الشح والطمع وحب الذات.

ثم لا يزال «الصوم المشروع» يرقى بالنفس ويزكيها، وينمّي حسن الخلق، ودوافع السلوك السويّ فيها — على مدى شهر كامل — حتى تصحّ وترشد، وتستجيب لصوت العقل والحكمة، وتخضع لأوامر الله، وتعظم شعائره، وتستقيم على صراطه، وتطمئن إلى طاعته.

وهذا الذي كسبته النفس، وتعلمته في مدرسة الصوم وصار بالتدريب المتكرر - في ثلاثين يوما - خُلُقًا ثابتًا لها يستمر معها طوال أشهر السنة كلها - هو الغرض المقصود من الصوم المشروع، كما جاء في القرآن، وبينته السنة؛ قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيامُ كما كُتِبَ عَلى الذين مِنْ قبلكم لعلكم تتقون ﴾ البقرة ١٨٣، أي: إنما كتب الصيام عليكم لتتحقق فيكم التقوى.

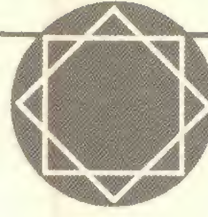
وفي الصحيحين قال ﷺ: « الصيام جُنّةٌ، وإذا كان يومُ صوم أحدِكم فلا يرفثْ ولا يصخبْ، فإن سابَّه أحدٌ أو قاتله فليقلْ: إني امرؤٌ صائم » (٢)، والحديث يبين أثر الصوم في وقاية النفس وانضباطها، وكفها هي والأعضاء - وبخاصة اللسان - عما ينافي أدب الصوم، وأخلاق الصائمين.

وفي الحديث الذي رواه البخاري قال عليه الصلاة والسلام: «من لم يَدَعْ قولَ الزورِ والعملَ به فليس لله حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامه وشرابه» (٣)، وفي رواية - للبخاري أيضا: (٤) «من لم يَدَعْ قولَ الزور والعملَ به والجهل . . »

من كتّاب العدد

● الشيخ صلاح عبد المقصود المهداوي

- دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.
- أستاذ التفسير المساعد في كلية أصول الدين بجامعة الإمام.
- إمام جامع مؤسسة الملك فيصل الخيرية في الرياض.



انتصارات عظمى في شهر رمضان

○ القرآن يعطي الأمة قوة ومنعة ويمدها بأسباب الرقي والعزة

والزور هو الكذب، والجهل هو السّفَه، والعمل به: يعني العمل بمقتضى الكذب.

وعند الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات؛ كما قال الحافظ في الفتح: «من لم يدع الخَنَا والكذب..»[٥] والخنا: الفُحْش. وهذا الحديث - كسابقه - يبين عمل الصوم المشروع في النفس: فلا كذب - لا في القول، ولا في العمل - ولا سَفَه، ولا حمق، ولا فحش ولا بَذَاء.

ويؤكد الحديث ضرورة التخلّي عن هذه الرذائل، والتحلي بضدها من الفضائل، وإلا فلا صيام، ولا أجر لمن ظل مقيما عليها، متلطخا بها، وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»، قال ابن المنيّر: هو كناية عن عدم القبول، والمراد: ردُّ الصوم المتلبس بالزور، وقبولُ الصوم السالم منه[٦].

وقال البيضاوي: ليس المقصود من شرعيّة الصوم نفس الجوع والعطش، بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة، فإذا لم يحصل ذلك لا ينظر الله إليه نظر القبول؛ فقوله: «ليس لله حاجة» مجاز عن عدم القبول[٧].

هذا هو «الصيام المشروع» الذي ينتصر المرء به على نفسه. فيتقي ربه، ويُحسِّن مع عباد الله خُلقه، ويؤدي حق أخيه البائس الفقير.

هذا هو «صوم العبادة» وليس صوم الرياء، أو التقليد أو العادة، كما يصوم اليوم أكثر المسلمين، ثم لا يكون حظهم في صيامهم هذا إلا الجوع والعطش!

في سبيل الله

وإذا كان في القرآن والصيام انتصاراتٌ عظمى في «ميدان النفس»، فثمة انتصارات عظمى كذلك في «ميدان القتال» قد تحققت لسلفنا الصالح في شهر رمضان.

وهذه بعض السرايا والغزوات[٨] التي دارت رحاها في شهر الصيام، والتي تُعَدّ - بانتصار المسلمين فيها - شاهد صدق على بعض آثار الصيام عند أناس عرفوا أسرار الصيام، وفقهوا حكمته، فصاموا لله إيمانا واحتسابا، وجاهدوا في الله حق جهاده، فأعانهم الله على أنفسهم، ونصرهم على أعدائهم.

ففي رمضان من السنة الأولى للهجرة عقد النبي ﷺ أول لواء لأول سرية مسلحة، وجعل قائدها حمزة بن عبد المطلب، في ثلاثين رجلا، كلهم من المهاجرين. ولقد أدت السرية مهمتها بنجاح؛ إذ اعترضت قافلة تجارية لأهل مكة جاءت من الشام، يحرسها ثلاثمائة رجل بقيادة أبي جهل، وفي ناحية العِيص[٩] على ساحل البحر الأحمر التقى الفريقان، واصطفوا للقتال على الرغم من الفرق الكبير بينهما من حيث العدد والعدة، إذ كانت النسبة بينهما (١ : ١٠)[١٠] ولا غرابة في ثبات هذه القلة المؤمنة، وتصميمهم على قتال عدوٍّ يفوقهم بمثل هذه النسبة أو بأكثر منها، لأن عقيدتهم الصادقة، وشرف الغاية التي يحاربون من أجلها، ومعنوياتهم التي بلغت الغاية في السمو، وأخذهم بكل الأسباب المادية المتاحة، وتصديقهم الجازم بقول الله الحق: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ الله مَن ينصرُه إن الله لَقَوِيٌّ عزيز ﴾ الحج ٤٠، وقوله: ﴿ وإنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغالبون ﴾ الصافات ١٧٣؛ كل ذلك كان من وراء ثباتهم في لقائهم هذا، وفي كل لقاء ثبتت فيه قلة مؤمنة لكثرة كافرة، فهل من معتبر؟! ذلك.. ثم لا ننسى أن هذا اللقاء بين الفريقين كان في «رمضان».

وشاء الله ألا يقع قتال بين الفريقين؛ فقد تدخل «مَجْدِيُّ بن عمرو الجهني» - وكان موادعا للمسلمين ولأهل مكة - وحجز بينهما، فلم يقتتلا[١١] وعادت السرية إلى المدينة، بعد أن أكدت هيبة المسلمين، وأرعبت الطغاة من أهل مكة، وهددت تجارتهم.

وفي السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة وقعت «غزوة بدر الكبرى» تلك الغزوة التي كانت فاصلة بين الإيمان والكفر، فارقة بين الحق والباطل؛ فقد سمَّى الله يومها «يوم الفرقان»[١٢].

وفي غزوة بدر من الدروس والعبر ما ينفع كل معتبر من خاصة المسلمين وعامتهم؛ فالغزوة كانت في رمضان، وفي ذلك درس للذين جعلوا من رمضان شهر مآكل ومشارب ولهو بالليل، وشهر خمول وكسل ونوم بالنهار.

ومن أهم ما دلت عليه هذه الغزوة أن المسلمين حقا لا يرضون بالدنيّة في دينهم، ولا بالهوان في دنياهم، وأنهم على استعداد دائم لمواجهة التحديات المباغتة، والأحداث المفاجئة، واتخاذ القرارات والإجراءات التي تحمي حماهم، وتصون كرامتهم، وتعلي في دنيا الناس مكانتهم.

فعندما فوجئ المسلمون مع رسول الله ﷺ بأن عير قريش وتجارتها التي خرجوا من أجلها[١٣] قد أفلتت منهم، وفوجئوا كذلك بخروج أهل مكة عن بكرة أبيهم؛ يخبّون في خيلائهم، ويناورون بقوتهم، حتى يخشى الناس - وبخاصة الرسول وأصحابه - جانبهم؛ استكبارًا في الأرض، وصَدًّا عن سبيل الله - عندما وقعت هذه المفاجآت اتخذ المسلمون قرارهم، وصمموا على قتال عدوهم، وكان الخير فيما قرروه، والنصر المؤزر فيما صمموا عليه ونفذوه، والغزوة زاخرة بالدروس والعبر.

وفي «رمضان» من السنة الثامنة للهجرة وقعت «غزوة الفتح»، فقد فتح المسلمون مكة، فتحوها بفضل من الله، ثم بعبقرية رسول الله ﷺ العسكرية في هجوم عام مباغت، فلم يجد سَدَنَةُ الشرك مفرًّا من الاستسلام!

وكان يوما عظيما من شهر رمضان المعظم ذلك اليوم الذي عُظِّمت فيه الكعبة، وحطَّمَ فيه نبيُّ التوحيد أصنام المشركين حول بيت الله وفوقه وهو يقول[14] : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ الإسراء ٨١ .

وكان يوما عظيما من شهر رمضان المعظم ذلك اليوم الذي مكَّن الله فيه نبيَّه من رقاب المشركين المحاربين من أهل مكة، الذين طردوه منها هو ومن اتبعه ـ وهي أحب البقاع إليه ـ وطاردوه واستحلوا دمه، وحاربوا الإسلام وأهله أكثر من عشرين عاما حربا لا هوادة فيها، وظلوا يحاربون حتى أجهضتهم قوة المسلمين.

وبهذا الفتح العظيم سقطت دولة الأوثان، وبهذا العفو العام دخل المشركون في الإسلام، وأنزل الله قوله : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمدِ ربِّك واستغفره إنه كان توَّابا ﴾ النصر[16].

انتصارات أخرى

وما دمنا بصدد كبرى الانتصارات العسكرية التي أحرزها المسلمون في شهر الصيام، فلا تفوتنا الإشارة السريعة إلى معركتين خطيرتين، ونصرين عظيمين، تحققا في رمضان ولكن بعد خير القرون؛ أما المعركة الأولى فكانت مع «التتار»، وأما الأخرى فكانت مع «اليهود».

فلقد اجتاح التتار كالإعصار : خوارزم والعراق والشام، وقتلوا الخليفة العباسي «المعتصم بالله» في بغداد في ١٤/ ٢/ ٦٥٦هـ ودمروا المدينة فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان، وظلت سيوفهم تقتل أهل بغداد أربعين يوما، حتى أصبح القتلى في الطرقات كالتلول؛ كما قال ابن كثير[17]، ومثل ذلك فعلوا بمدن الشام.

ولما أرسل زعيمهم «هولاكو» إلى مصر رسالة تخويف وتهديد إن لم تستسلم، كان السلطان «قطز» قد سارع فعمل بمشورة العلماء ـ خاصة الشيخ عز الدين بن عبد السلام ـ فأعلن التعبئة العامة، وحث العلماءُ والخطباء الناس على التبرع والتطوع، والجهاد في سبيل الله.

ولم ينتظرهم «قطز» حتى يتموا أمرهم ويهاجموه، وإنما بادرهم قبل أن يبادروه، وأقدم عليهم قبل أن يُقْدِموا عليه، حتى انتهى إلى الشام، وفي فلسطين، وعند قرية «عين جالوت» نشب القتال، في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان عام ٦٥٨هـ[18]، ولقد نصر الله المسلمين نصرا عزيزًا فهزموا التتار هزيمة هائلة وقُتل أمير المغول «كتبغانوين»، وتبع المسلمون فلولهم المنهزمة يقتلونهم في كل مكان.

ومما يستفاد من هذه الملحمة ونتائجها العظيمة : قوة قلب الحاكم، وتوكله على الله، ومشاورته لأهل العلم، ودور العلماء في إعداد الأمة «نفسيا» للجهاد حتى تتحمل تبعاته، واختيار الوقت الأنسب، ومبادءة العدو بالقتال. ولقد كانت المعركة في العشر الأواخر من رمضان، وفي يوم الجمعة، وبدأها الجيش والناس في المساجد يصلون الجمعة ويدعون، وفي ليلة السابع والعشرين من رمضان كان جيش المسلمين في «دمشق» يطهرها من بقايا التتار.

قال ابن كثير : «وقد رُوِيَ عن المظفر «قطز» أنه لما رأى عصائب التتار قال للأمراء والجيوش الذين معه : لا تقاتلوهم حتى تزول الشمس، وتفيء الظلال، وتهبَّ الرياح، ويدعو لنا الخطباءُ والناسُ في صلاتهم . . رحمه الله»[19]. ولما قُتِلَ أميرُ التتار وتحقق «قطز» من قتله سجد لله تعالى،ثم قال : الآن أنام طيبا[20].

وفي العاشر من رمضان عام ١٣٩٣هـ السادس من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م عبر جيش مصر قناة السويس، ودمر الجنودُ ـ وهم يهللون ويكبرون ـ خط «بارليف» أقوى خط دفاع عرفه العالم في القرن العشرين، وقبل أن تتدخلَ (قوى كبرى) ويتوقف القتال لصالح اليهود كان الجنود المسلمون قد اجتاحوا مواقع بني إسرائيل في معظم سيناء.

ولئن كانت معركة العاشر من رمضان لم تُؤتِ من ثمارها إلا على قدر الثمن المبذول والنيات الدافعة، فإنها أكدت أن فلسطين لا يحررها ـ بما فيها من القدس والمسجد الأقصى ـ سوى جيشٍ من المؤمنين، وقيادة على مستوى «صلاح الدين».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الحواشي

(١) من قوله تعالى في سورة النساء الآية ٦٠ : ﴿ يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمِرُوا أن يكفروا به ﴾ الآية.

(٢) رواه البخاري في كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شُتِم؟ ومسلم في الصيام رقم : ١١٥١.

(٣) رواه البخاري في كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به.

(٤) انظر فتح الباري جـ ٤ ص١١٧ ط المكتبة السلفية.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

(٨) الغزوة : هي الواقعة التي اشترك فيها النبي ﷺ بنفسه، والتي لم يشترك فيها تسمى سرية.

(٩) العِيصُ : هنا موضع من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش إلى الشام. انظر سير النبي ﷺ لابن هشام جـ٢ حاشية ص٢٣٠ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

(١٠) لا يخفى على من قرأ التاريخ كيف طرد أهلُ مكة المسلمين من ديارهم وصادروا أموالهم، ولا يجادل عاقل منصف في أن للمسلمين الحق في معاملة أهل مكة بالمثل، ومصادرة ما يمكن مصادرته من أموالهم.

(١١) سيرة النبي ﷺ لابن هشام جـ٢ ص٢٣٠، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

(١٢) اقرأ الآية ٤١ من سورة الأنفال ﴿ وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان. . . ﴾ الآية.

(١٣) راجع رقم (١٠) من هذه الحواشي.

(١٤) في صحيح البخاري : «دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصُب، فجعل يطعنها بعود في يده وهو يقول : ﴿ جاءَ الحقُّ وَزَهَقَ الباطلُ إن الباطِلَ كانَ زَهُوقا﴾، انظر فتح البارى جـ٨ ص٤٠٠ ط المكتبة السلفية.

(١٥) رواه ابن إسحاق كما في فتح الباري جـ٨ ص١٨. وذكر الألباني أنه «ضعيف» انظر : فقه السيرة لمحمد الغزالي، وتعليق الألباني على هذا الحديث ص٤١٥ ط عالم المعرفة دون تاريخ.

(١٦) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص٢٣٧ ط دار إحياء العلوم بيروت ١٤٠٠هـ.

(١٧) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ١٣ ص١٩٠ وما بعدها، تحقيق محمد عبد العزيز النجار.

(١٨) المصدر السابق.

(١٩) المصدر السابق.

(٢٠) المصدر السابق.

وفي الصيام عبادة وشفاء

د. محمد مصطفى السمري

يقف العقل البشري حائرا مأخوذًا أمام الحكمة العظيمة من فرض الصيام، فعلى مدى أربعة عشر قرنا من ظهور الإسلام تُكتشف حكم جديدة من فرض الصيام شهرا من كل عام. وتضيف الأبحاث العلمية والطبية عمق الحكمة وأبعادها التي تفوق كل تصور للعقل البشري.

وثمة غرابة تبدو في توصل بعض أطباء الغرب من غير المسلمين إلى الفوائد الطبية الكثيرة لهذه الفريضة السامية، فهؤلاء الأطباء يعالجون مرضاهم بالصوم لعدة أيام في الأسبوع أو لعدة أسابيع في السنة. فهذا طبيب أمريكي اسمه (**ماك فادون**) عالج كثيرا من الأمراض عن طريق الصيام، يقول: «إن كل إنسان يحتاج إلى الصيام وإن لم يكن مريضا.. لأن سموم الأغذية والأدوية تجتمع في الجسم فتجعله كالمريض، فتشغله وتقلل من نشاطه، فإن صام، خف وزنه وتحللت هذه السموم، فتذهب عنه حتى يصفو صفاء تاما ويستطيع أن يسترد وزنه، ويجدد جسمه في مدة لا تزيد عن العشرين يومًا بعد الإفطار، ولكنه يحس بنشاط وقوة لا عهد له بهما من قبل».

والطبيب (**ألكسيس كاريل**) صاحب كتاب (**الإنسان ذلك المجهول**) يقول: «إن كثرة وجبات الطعام وانتظامها ووفرتها تعطل وظيفة لعبت دورا عظيما في بقاء الأجناس البشرية، وهي وظيفة فقد التكيف على قلة الطعام. فقد كان الناس في الزمان الغابر ترغمهم المجاعة على الصوم.. ثم جاءت الأديان تدعو الناس إليه». ويقول الدكتور بيار شرنبر: «إن صيام شهر واحد في السنة هو أساس الحياة، وأساس الشباب الدائم».

أما الزعيم الهندي **غاندي** (١٨٦٩ - ١٩٤٨م)، فكان يلجأ إلى الصوم أياما عديدة، وكان يردد: «الصوم لروحي كعيني للجسد، وما تفعله العينان للدنيا الخارجية، يفعله الصوم للدنيا الباطنية». وقال لقمان الحكيم: «يابني إذ امتلأت المعدة، نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة».

وقاية وشفاء

الصوم، الذي هو ركن من أركان الإسلام الخمسة، أصبح أيضًا ركنا من أركان الطب والعلاج، فالملاحظ في أغلب الأمراض أن الطبيب ينصح المريض بالتخفيف من الطعام أو الامتناع عن أنواع معينة منه. وتقوم فلسفة الصيام الصحية على أساس أن إرهاق المعدة والجهاز الهضمي بالطعام الزائد طول العام، يسيء إلى الجسم بصفة عامة ويجلب عليه أنواعا من المرض.. **ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾** الأعراف ٣١. **ويقول النبي ﷺ: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه. حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»** رواه الترمذي وابن ماجه. **وقال: «صوموا تصحوا»** رواه ابن السني وأبو نعيم في الطب عن أبي هريرة.

وليس من شك في أن الصوم يعطي أجهزة الجسم كلها فرصة للراحة والاستجمام، وخاصة الجهاز الهضمي الذي يعمل طوال العام دون راحة. **ولقد وجد أن الصوم يعالج الكثير من الأمراض - وخاصة تلك المرتبطة بالجهاز الهضمي - أو يخفف من حدتها مثل: الانتفاخ المزمن بالبطن، التهاب المعدة، التهاب القولون المزمن (القولون العصبي)، الدوسنتاريا حيث يساعد الصيام على التئام القرح بالأمعاء الغليظة، وأمراض الكبد والمرارة المزمنة، أيضا زيادة الضغط الذاتي، التهاب الكلى الحاد المصحوب بالتورم الشديد، الأمراض الروماتزمية وخاصة النقرس، وزيادة الوزن (السمنة) الناشئة من كثرة الغذاء وقلة الحركة. كما يفيد الصيام في علاج بعض الأمراض الجلدية مثل: الصدفية، الأرتيكاريا، الأكزيما، حب الشباب. كما أن الراحة النفسية التي يتمتع بها الصائم تساعده على التخلص من بعض الأمراض الجلدية الأخرى الناجمة عن التوتر العصبي مثل (الأكزيما) العصبية، التي تظهر عادة على مؤخرة الرقبة.**

ويقي الصيام - بإذن الله - من كثير من الأمراض أشهرها التخمة، عسر الهضم، توسع المعدة، والسمنة التي تقود إلى العديد من الأمراض الخطيرة مثل: تصلب الشرايين، تشحم الكبد، حصى المرارة، الروماتيزم، ارتفاع الضغط، ومرض السكر.

ولقد اتضح أن لمرض السكر عمومًا علاقة كبرى بالأكل، فهو يختار مرضاه من الذين يأكلون

كثيرا. ولقد وجد أن كل عشرة مرضى بالسكر يميل تسعة منهم إلى السمنة، مما يدل على أن كثرة الطعام التي يؤدي إلى السمنة، تؤدي أيضا إلى السكر عند مَن لديهم الاستعداد الوراثي لذلك. ووجد أن تقليل الأكل فقط يؤدي إلى تحسن ملحوظ في مرضى السكر، مما يقربهم من الشفاء دون استعمال أي علاج آخر غير تنظيم الغذاء. كما أوضح بحث أُجرِيَ على ١٢٠ صائما من الرجال والنساء في مصر، أن الصيام قد عمل على ضبط متوسط معدل الجلوكوز في الدم طوال الشهر، وساعد على تخلص الجسم من الدهنيات الزائدة. ليس هذا فحسب، بل وجد انخفاض في معدل الكولستيرول للصائمين الذين بدؤوا الصيام بكولستيرول مرتفع، بينما لم يتأثر معدل الكولستيرول عند مَن بدؤوا الصيام طبيعيًا. كما حدث أيضا انخفاض في مستوى حمض البوليك.

صحة للفم والأسنان

شهر رمضان أفضل أوقات السنة لعلاج الأسنان وشفاء بعض الأمراض الفموية، فالامتناع عن الطعام طوال فترة الصيام فرصة طبيعية لراحة الانسجة المخاطية المبطنة للفم والأسنان، وعلاج التهابات الفم واللثة، وكذلك التئام الكثير من القرح. كما أن الصيام يعطي الأنزيمات الفرصة الموجودة في اللعاب للقضاء على الميكروبات التي يمكن أن تسبب بعض الأمراض اللثوية مثل مرض تخلخل الأسنان. ناهيك عن أن الصوم يعطي أنسجة الفم الرخوة الوقت الكافي لكي ترمم نفسها بعيدا عن الحوامض ومختلف الأطعمة.

فرصة للإقلاع عن التدخين

معلوم أن المدخن يقلع عن التدخين فترة تصل إلى ١٥ ساعة، هي الفترة التي يقلع فيها الصائم عن الطعام والشراب والتدخين أيضا، كجزء لا يتجزأ من شعائر الصيام نفسه ولذا فإن فرصة الإقلاع عن التدخين خلال شهر رمضان تكون سانحة. ومن الناحية الطبية فالأمر يبدو أكثر تفاؤلاً، ففترة الصيام فرصة عظيمة لراحة الجهاز التنفسي من عناء التدخين ومن آثاره الضارة، وبناءً عليه حبذا لو أمكن للمدخن أن يزيد فترة امتناعه عن التدخين وذلك بإنقاص معدل التدخين إلى أقل قدر ممكن. وقد ثبت أن الصيام يقلل من نسبة (النيكوتين) في الدم عند المدخنين، وبالتالي تزداد الفرصة أمامهم للإقلاع عن هذه العادة الضارة.

والأمر يحتاج من المدخن إلى الإرادة، ولا شيء كالصوم يخضع لإرادة الحرمان، والتسليم بأن ما أمر به الله كله خير. يقول **الأستاذ خالد محمد خالد**: «إذا كانت إرادة الإنسان أهم عناصر شخصيته، فالصوم أستاذ قدير في تلقين الصائمين فن الإرادة وذلك برغبتهم المقتدرة في تعظيم الأوامر والحرمات، وفي إقبالهم على الصوم مهما تكن مشقته عزيمة لا تعرف الوهن وإصرارًا لا يعرف النكوص».

> الصوم علاج للأمراض النفسية وفرصة لمكافحة التدخين

علاج الأمراض النفسية

ليس ثمة شك في أن الصيام إلى جانب فوائده العديدة بسلامة الجسم وصحته، فإن له تأثيرا لا ينكر على النفس وسلامتها والأعصاب وقوتها. فسرعة التهيج، والتوتر، والانفعال الشديد يمكن أن يشفيها الصيام ويخفف منها، شريطة أن يدرك الصائم أن الصيام لا يعني فقط الامتناع عن الطعام والشراب. كما أن الصيام مهم جدًّا في علاج حالات القلق، والفصام والاكتئاب غير الحاد. والسبب بسيط، فهؤلاء المرضى سوف يشعرون بأنهم كالأسوياء تمامًا، كيف لا ؟ وهم يمارسون الأوامر الدينية ومنها الصيام. ومن ثم تزداد ثقتهم بأنفسهم، وتقوى لديهم الرغبة في الشفاء.

يقول الدكتور أحمد عكاشة أستاذ الأمراض النفسية والعصبية بطب عين شمس: «مريض الاكتئاب يعاني من صعوبة في النوم، حيث تبدأ المعاناة من الصباح الباكر، بينما الإنسان العادي يشعر بالخمول في آخر اليوم. وقد تمت تجربة مفيدة في مصر وبعض البلدان العربية حيث يتم منع مريض الاكتئاب من النوم بعد صلاة الفجر، وجاءت التجربة بأحسن الفوائد وتم التحسن الكبير بإذن الله تعالى. فإذا تم تطبيق هذه التجربة على ما يحدث أثناء شهر رمضان المبارك، تجد أن مريض الاكتئاب الذي يسهر الليل ويصلي الفجر ـ وهو في حالة من الخشوع والإيمان والتدين ـ مثل هذا المريض تتحسن حالته في شهر الصيام».

الصيام رحمة

يقول الله تعالى: ﴿ ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ البقرة ١٨٥. وفي هذه الآية الكريمة منتهى الرحمة ببعض الناس الذين أحل لهم الفطر في رمضان، فالمريض ـ بعد مشورة طبيب مسلم عادل ـ له أن يفطر إذا كان الصوم يجلب له الضرر مثل حالات: الأنيميا (فقر الدم)، بعض مرضى السكر، قرحة المعدة، الجذام، الدرن، الذئبة الحمراء، وروماتيزم القلب، والأمراض التي تحتاج إلى علاج متصل عن طريق الفم.

ولعل أعظم رحمة ينعم بها المولى سبحانه وتعالى على عباده الصائمين، هي (السكينة) التي تهبط على الصائم وتلازمه طوال شهر رمضان، وهي إحساس يدفع إلى التفاؤل والعمل والنشاط والإبداع، إحساس يفتح القلب لنفحات الإيمان والاتصال بالخالق العظيم، إحساس بالسعادة والهدوء وزوال كل المشكلات والهموم، إحساس ـ لا شك ـ يعرفه كل صائم، نرجو أن يدوم كل شهور العام.

أهم المراجع

(١) القرآن دواء.. فيه وقاية وشفاء، عبد الرزاق نوفل، كتاب اليوم، القاهرة١٩٨٣.
(٢) الصيام، د. يوسف القرضاوي، مجلة اللواء الإسلامي، عدد ٢٧ شعبان١٤١١هـ.
(٣) القرآن دواء وعلاج وشفاء. حبشي فتح الله الحفناوي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
(٤) مدخل إلى الطب الإسلامي، د. علي محمد مطاوع، وزارة الأوقاف بمصر ١٩٨٥م.
(٥) في رحاب الطب النبوي، د. نجيب الكيلاني، دار القادسية، الإسكندرية١٩٨٢م.
(٦) الصيام بين الطب والإيمان، د. علي أحمد الشحات، كتاب اليوم الطبي، ٥أبريل ١٩٨٩م.



مجازر البوسنة والهرسك

فصول من المؤامرة الكبرى على المسلمين في أوروبا

د. سوسن سليم إسماعيل

ستظل محنة المسلمين في البوسنة والهرسك غصة في حلق التاريخ الإسلامي من جراء ما تقاسيه هذه الجمهورية الإسلامية الوليدة من محاولة إبادة لم يسبق لها مثيل في التاريخ المعاصر. «الفيصل»، وهي تدرك عمق المأساة، تطرح هذه القضية من رؤية إسلامية تاريخية تكشف أبعاد الصراع القائم بين المسلمين والصرب والكروات في منطقة البلقان الأوربية.

فمنذ أن تفككت إمبراطورية اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية الشيوعية، بدأ حلم الاستقلال يراود الجمهوريات الست، المكونة ليوغسلافيا، فأعلنت **سلوفينيا** استقلالها، ثم **صربيا والجبل الأسود** و**كرواتيا** وأخيرًا **البوسنة والهرسك**، بينما بقيت **جمهورية مقدونيا** دون استقلال!

ولكن الأغلبية الكاثوليكية الصربية الصليبية، المسيطرة على **يوغسلافيا**، وجدت في إعلان **البوسنة والهرسك وكرواتيا** استقلالهما، خطرًا يهدد وجودها في أوربا، حيث ادعت الصليبية الصربية، بأن جمهورية البوسنة والهرسك، وبمعاونة **كرواتيا** تسعى إلى «**إقامة جمهورية أصولية في أوربا**»!

من كتاب العدد

● د. سوسن سليم إسماعيل

- أستاذة التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة المنيا، مصر.
- من مواليد ١٩٥٢م.
- من مؤلفاتها: الجذور التاريخية للحرب اللبنانية ١٩٨٣م، مشكلة الحدود الجزائرية المغربية ١٩٨٤م، الإمام المجدد عبد الحميد بن باديس، الملك عبد العزيز ابن سعود في الشعر والنثر المصري الحديث.
- عضو الجمعية التاريخية المصرية، والجمعية الجغرافية المصرية.
- شاركت في العديد من المؤتمرات العربية والدولية.

وهنا فقط، وأمام هذا الادعاء الصليبي الواهي، انفضحت النوايا الصليبية ضد الإسلام في أوربا.

وسعيًا لتحقيق الحلم الصليبي في قلب أوربا، والذي تعود جذوره التاريخية إلى نحو خمسة قرون من الزمان، والمتمثل في تصفية مسلمي البوسنة والهرسك، وتذويب الهوية الإسلامية، لهذه الجمهورية العريقة في إسلامها، استخدم الصليبيون الصربيون جميع أنواع الأسلحة الثقيلة وغيرها من الطيران والصواريخ لهدم الجمهورية الإسلامية على من فيها، في الوقت الذي لا يملك فيه المسلمون هناك سوى الأسلحة الخفيفة. هذا إلى جانب الجرائم غير الآدمية، وغير الأخلاقية، ضد النساء المسلمات، والأطفال والشيوخ والعجزة. إنها مواجهة صليبية إسلامية غير متكافئة.

إن العداوة بين الصليبية العالمية والإسلام في البوسنة والهرسك هي عداوة قديمة، تعود جذورها التاريخية إلى الوقت الذي دخل فيه النصارى في هذه البلاد إلى الإسلام طواعية مختارين، فقد كان هؤلاء النصارى - في البوسنة والهرسك - ينتمون إلى الكنيسة البوسنية، وعندما دخل إليها الإسلام في القرن الأول الهجري كان فريق كبير من سكان البوسنة النصارى على مذهب خاص في العقيدة النصرانية، **وكان هذا الفريق يعرفون بـ(البوجوميل Bogomiles)، يؤمنون بإنجيل برنابا فقط، وهو** الذي ينص على، «**أن عيسى بن مريم، نبي ورسول، وأن أمه مريم البتول، وأنه ولد من غير أب، وأنه بشَّر بنبي سوف يأتي من بعده اسمه أحمد**»(١).

ولما عرفوا الدين الحق، دخلوا طواعية في الإسلام، دون قهر أو ضغط. وهؤلاء كانوا يمثلون الدرع الشمالي الحصين للدولة الإسلامية - مع الصقالبة - وقد برز منهم قادة وعلماء أجلاء، في عهد الدولة الإسلامية العثمانية، وكانوا يحجون إلى مكة المكرمة، «وقد تعرض (البوجوميل) - في القرن الثالث عشر - لاضطهاد الكاثوليك الرومان، وطالما دعا البابوات في روما إلى شن حرب صليبية ضدهم» (٢). «فقد كتب البابا جون الثاني والعشرون في عام ١٣٢٥م إلى ملك البوسنة يطلب منه أن يستأصل شأفة هؤلاء (الخوارج)، ويجتثهم من جذورهم، ولا يبقي منهم على أحد».

وكانت الدولة العثمانية الإسلامية، عند النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادي (الثامن الهجري)، قد أخذت سلطتها العسكرية والسياسية تسود في البلقان، ولم يجد (البوجوميل) أمامهم غير المسلمين العثمانيين الذين عاملوهم بالكتاب والسنة، فطلبوا النجدة والعون منهم، فوجدوا فيهم حقًا - كما يقول مؤرخ صليبي محايد - «عمامة المفتي العثماني، أفضل بكثير، من قُبعة الكاردينال» (٣)، ولذلك لما جاءهم المسلمون

العثمانيون لم ينهض أحد منهم إلى مقاتلتهم ومدافعتهم، بل رحبوا بمقدمهم واستقبلوهم استقبال من جاء لإنقاذهم وتحريرهم (٤).

ويقول توماس أرنولد، في هذا الصدد: «وأخذ هؤلاء النصارى، يدخلون في دين الله أفواجا، منذ ذلك الوقت لم نسمع عن (البوجوميل) إلّا قليلاً. فقد دخلوا الإسلام بمحض إرادتهم في جموع كبيرة، على إثر الفتح الإسلامي العثماني، أما البقية الباقية منهم، فيظهر أنهم ـ كذلك ـ اعتنقوا الإسلام بعد ذلك تدريجيًا» (٥)، مما أثار أحقاد الصليبيين عليهم، وبشكل أعنف من ذي قبل، فشنوا ضدهم حروبًا قاسية في كل البلقان، وبالذات في البوسنة والهرسك، ثم هدأت هذه الحملات الصليبية ضد هؤلاء المسلمين الجدد في البلقان.

بداية المشكلة المعاصرة

في أعقاب سقوط الدولة الإسلامية العثمانية، تزايدت الهجمة الصليبية ضد مسلمي البلقان، وخاصة في البوسنة والهرسك، في محاولة لاجتثاث جذور الإسلام من هناك. وأخذ الصربيون الأرثوذكس والكروات الكاثوليك يقتلون المسلمين هناك في لجة الليل، فهاجر من هاجر منهم بدينه الحنيف إلى تركيا، وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨م) أعلن عن قيام مملكة الصرب والكروات والسلوفان، ونظمها دستور ١٩٢١م، الذي أوجد طابعًا برلمانيا شديد المركزية، تسيّد فيه (الصرب الأرثوذكس) على بقية الشعوب الأخرى.

وفي محاولة صليبية مفضوحة، تحت ستار صَرْبنة المملكة، اتّبع الصربيون الأرثوذكس، وسائل الإرهاب والاضطهاد كافة ضد المسلمين، في محاولة فاشلة لتمزيق الكيانات الأخرى للشعوب المنتمية إلى المملكة. ولكن مثل هذه المحاولة ـ التي قادها الملك الصربي ألكسندر، والتي انتهت باغتياله عام ١٩٣٤م ـ أوجد على خريطة أوربا مؤسسة يوغسلافية واحدة تلغي الانتماءات العرقية الأولية لبقية الأجناس كافة، تحت اسم (المملكة اليوغسلافية)، وقد كان هذا الحل بمثابة لطمة للصليبية العالمية.

وعندما وصلت الشيوعية إلى يوغسلافيا، أثناء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٣م، وعدت السلطات الجديدة في البلاد مسلمي البوسنة والهرسك بحسن المعاملة والعيش معًا في أمن وسلام، خاصة بعد أن شارك المسلمون في البوسنة والهرسك في التصدي للاحتلال النازي ليوغسلافيا. ويبدو أن السلطات الجديدة كانت شبه صادقة في وعودها.

ففي البداية ـ ولأول مرة بعد الفتوحات الإسلامية للبلقان ـ تمتع المسلمون في البوسنة والهرسك بوجود مستقل في إطار الدولة الثانية التي أسسها جوزيف بروز تيتو عام ١٩٤٣م تحت اسم (يوغسلافيا الحديثة). وكان المسلمون بالفعل يشكلون الغالبية العظمى من جمهورية البوسنة والهرسك، وبعضهم يعيش في جمهوريات يوغسلافيا الخمس الباقية (صربيا ومقدونيا والجبل الأسود وسلوفانيا وكرواتيا). فقد كان عدد المسلمين يزيد على مليوني نسمة، هم بقية المسلمين الذي صارعوا النمسا وبلغاريا واليونان وأرثوذكس الجبل الأسود وصربيا طوال خمسة قرون.

والحقيقة أن تيتو حاول جاهدًا أن يجعل الصيغة الفيدرالية للدولة اليوغسلافية صيغة قائمة بشكل عملي وإيجابي، لتحول دون تفجير الصراعات العرقية، والتي تعرضت لها المنطقة في عام ١٩١٨. لكنه فشل فشلاً ذريعًا، ونكث بوعوده للمسلمين في البوسنة والهرسك، والذين اختاروا الإسلام دينا لهم ليميزهم من غيرهم من الصرب والكروات، ولقي المسلمون من السلطات الشيوعية في عهد تيتو كثيرًا من القهر والظلم والاضطهاد، وهدم المساجد التاريخية والأثرية، وتغيير الأسماء، وطمس الهوية، والمحاكمات الصورية القاسية، التي وصلت في كثير من الأحيان إلى السجن لمدة تتراوح بين ١٥ سنة والمؤبد.

”أول مذبحة إسلامية معاصرة عام ١٩٤١م ضحيتها ١٥٠ ألف مسلم على يد الصرب“



وبدأت عملية نهب منظم لأموال المسلمين وأراضيهم، بدعوى الإصلاح الزراعي، في حين كانت السلطات الشيوعية تسلمها بعد ذلك للنصارى الأرثوذكس. ثم بدأت سلسلة أعمال خطيرة شيوعية ضد المسلمين، تهدف إلى إفقار المسلمين وإجبارهم على اعتناق النصرانية أو الرحيل عن البلاد قسرًا (٦). واتفق الصرب والكروات على تقسيم البوسنة والهرسك في عام ١٩٣٩م، وقد تم التوقيع على هذه الاتفاقية في ٢٦ من آب (أغسطس) عام ١٩٣٩م، بعد ٥٨ يومًا فقط على وفاة الزعيم المسلم هناك (الدكتور محمد سباهو)(٧).

وكيف ينسى المسلمون ما حدث لهم، حينما نشبت الحرب العالمية الثانية، يوم أن قاد المقاومة ضد الألمان النازيين ذلك الجنرال الصربي المجرم ميخائيلوفتش، فغدر بالمسلمين، ونظم لهم عمليات قمع وإبادة رسمية، بأمر رسمي صدر عنه (برقم ٣٧٠) في ٢٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤١م، يأمر فيه عصاباته المسلحة النصرانية بذبح المسلمين عن بكرة أبيهم. وكان هذا الصليبي الصربي الحاقد قد نجح وعصاباته القذرة وفي خلال بضعة أيام في ذبح أكثر من ١٥٠ ألفًا من المسلمين رجالاً ونساءً وأطفالاً، شيبًا وشبانًا، ومن لم يمت ذبحًا مات حرقًا أو تحت الأنقاض أو غرقًا(٨).

ومن ميخائيلوفيتش إلى تيتو، الذي خدع مسلمي البوسنة والهرسك، كانت الطامة الكبرى يوم أن اعترف تيتو بقومية الصربيين وقومية الكروات، وتجاهل قومية البشناق المسلمين في البوسنة والهرسك، وظلت أحوال المسلمين في البوسنة والهرسك في غاية القسوة، من الاضطهاد والعنت ومحاولة تذويب الشخصية الإسلامية أو تنصيرها حتى عام ١٩٧٨م.

محاولات تذويب الشخصية الإسلامية

بلغ الاضطهاد والظلم أقسى حالاته في عهد تيتو حيث توقفت جميع المؤسسات الإسلامية

"لماذا اعترفت أوروبا باستقلال كرواتيا وسلوفانيا وتحفظت على البوسنة؟!"

الثقافية في البوسنة والهرسك وأغلقت الكتاتيب بعد إلغاء التعليم الديني الإسلامي المنظم، بحجة أن هذه الدراسة تلحق الضرّر بالنمو الروحي والجسماني للأطفال. ثم وضعت العراقيل لمنع الأطفال المسلمين من تلقي أمور دينهم في المساجد نفسها، وأغلقت جميع المدارس الثانوية، وحورب حملة الشهادات الدينية الإسلامية بالنسبة للوظائف الحكومية وغير الحكومية، وكان يُحال على المعاش كل عام عدد من ذوي المؤهلات الدينية السابقة.

وفي عام ١٩٤٦م ألغيت المحاكم الشرعية في البلاد، ومنع تحكيم الشرع الحنيف في مسائل الأحوال الشخصية، وكذلك نظام المواريث، وأغلقت الجمعيات الإسلامية كلها، وصودرت المجلات والدوريات الصحفية الإسلامية كافة.

ومن القوانين التعسفية التي صدرت، مستهدفة مسلمي البوسنة والهرسك، قانون إجبار المسلمات على السفور، وتشجيع الفتيات المسلمات على الفساد والانحلال الأخلاقي، مما أدى إلى إقدام آلاف منهن ـ قسرًا ـ على الزواج من غير المسلمين. وقانون إرغام المسلمين في الجيش، ومنازل الطلبة وكتائب العمل، على أكل لحم الخنزير وشحمه، وقانون مصادرة أموال الأوقاف وأملاكها. حتى المساجد التاريخية والأثرية لم تنج من قبضة الشيوعية الصليبية، فقد صودرت أكبر هذه المساجد واستعملت مخازن للغلال، ولقوات الجيش، وهُدم بعضها مع الكثير من المؤسسات الإسلامية، بدعوى توسيع الشوارع والميادين.

وأمام هذه الموجة السافرة من الاضطهاد والظلم، ومحاولة التذويب التي يواجهها المسلمون في يوغسلافيا، بالبوسنة والهرسك، تأسست في



سراييفو عام ١٩٧٢م حركة إسلامية سريّة تحت اسم (جماعة الشبان المسلمين)، تزعمها الشاب الوطني المسلم علي عزت، كمحاولة مخلصة للتصدي لهذه الحرب الشرسة التي تقودها السلطات الشيوعية الصليبية ضد الإسلام والمسلمين في البوسنة والهرسك. وبرز دور (الشبان المسلمين) ضد السلطات الشيوعية، وكان لزعماء هذه الحركة أكبر الأثر في لفت أنظار العالم الإسلامي، والرأي العام العالمي، لما يحدث من انتهاكات صارخة ضد الإسلام والمسلمين في يوغسلافيا.

وعندما بدأت ضغوط المجتمع الدولي والشرق الإسلامي، في عام ١٩٧٨م، على يوغسلافيا حتى يتم تخفيف الأحكام القضائية ضد الشبان المسلمين، وتخفيف حدَّة الحرب الشرسة ضدهم، والسماح للمسلمين هناك ببناء بعض المساجد ودور العلم، سمحت السلطات الشيوعية، أمام الضغط الدولي، ببناء بعض المدارس الابتدائية، في بعض المدن للمسلمين، وكليتين جامعيتين إسلاميتين في سراييفو. وعندما تنامت الحركة الإسلامية داخل البلاد لجأت السلطات الصليبية الشيوعية عام ١٩٨٠م إلى قمعها باعتقال جميع زعمائها، وعلى رأسهم (علي عزت)، وحوكموا أمام محاكم صورية، ونُفذت الأحكام ضدهم فورًا، والتي تراوحت بين ثلاث سنوات إلى خمس عشرة سنة بالسجن.

وفي بداية عام ١٩٨٥م كانت مؤشرات انهيار الشيوعية في يوغسلافيا قد أخذت طريقها إلى البلاد. وانهارت الشيوعية، وأفرجت السلطات الجديدة عن زعماء الحركة الإسلامية، فخرجوا من السجون وعلى رأسهم (علي عزت)، فسرعان ما أعلن عن تأسيس (حركة الجبهة الديمقراطية)، والتي أخذت تسعى لاستقلال البوسنة والهرسك. وقد بدأ التحول الحقيقي في أحوال المسلمين في البوسنة والهرسك، يبدو ملحوظًا، عندما أعلن الحزب الشيوعي في يوغسلافيا التخلص من احتكاره للسلطة والسماح بالتعددية السياسية، بما في ذلك الاشتراك في انتخابات برلمانية حرَّة.

مولد جمهورية البوسنة والهرسك الإسلامية المعاصرة

وفي عام ١٩٨٩م استقلت بالفعل البوسنة والهرسك بوصفها جمهورية إسلامية في قلب البلقان، تتكون من ست ولايات إسلامية، يبلغ تعداد سكانها سبعة ملايين نسمة، وقد تولى رئاستها علي عزت. وبدأ الوجه الإسلامي الحقيقي للبوسنة والهرسك ينضر ويتفتح عندما أعلن في ٢٦ أيار (مايو) ١٩٩٢م عن تأسيس أول تنظيم سياسي إسلامي، لا في يوغسلافيا وحدها، وإنما في كل أوربا، فكان مولد (حزب العمل الديمقراطي الإسلامي) الذي انضم إليه فور تأسيسه ما يزيد على ٨٠٠ ألف عضو، من خلال ثلاثين فرعا له، في الجمهوريات اليوغسلافية المختلفة، وفي غضون أيام قليلة أعلن عن تأسيس أربعة عشر فرعًا للحزب الإسلامي في أوربا الغربية، وثمانية فروع في كندا وأستراليا والعالم الأمريكي، مما أقلق الصليبية العالمية، فراحت على الفور تدبر لهذه المؤامرة الكبرى التي مازالت فصولها مستمرة.

ويوصَفُ يوم افتتاح علي عزت رئيس الحزب ورئيس الجمهورية مقر الحزب الإسلامي باليوم المشهود في تاريخ الإسلام المكافح في أوربا الحديثة والمعاصرة. وعندما دخل الحزب الإسلامي لأول مرة الانتخابات البرلمانية العامة في يوغسلافيا، والتي

شارك فيها ٣٨ حزبا صليبيا، فاز الحزب بـ ٨٦ مقعدًا، مما جعله أحد العوامل الرئيسة في صنع القرار السياسي، وفي إدارة السياسة اليومية في الجمهورية. وهنا جن جنون الصربيين الأرثوذكس، والكاثوليك الكروات، فأعدوا مخططا سريًا صليبيًا لشن غارات وحروب دامية، خوفًا من الإسلام المعاصر، حتى يقتلوا آخر مسلم في البوسنة والهرسك، وتقسيم الجمهورية الإسلامية المعاصرة بينهما.

وعندما نشبت الحرب في يوغسلافيا، نتيجة لتبادل المزاعم القومية، بين الصرب والكروات، عقب إعلان كل من كرواتيا وسلوفينيا انفصالها عن الدولة الاتحادية في ٢٥ حزيران (يونية) ١٩٩١م، كان الحزب الإسلامي بقيادة علي عزت يحاول تجنب الحرب والانفصال، بطرح صيغ كونفدرالية، تبقي على روابط اتحادية اقتصادية، وتسمح للقوميات بأن تعبر عن نفسها. وقد كانت آخر هذه الصيغ التي طرحها علي عزت ما سُمي بـ(اتحاد الدول اليوغسلافية)، لكن عوامل الانفصال ورائحة التآمر الصليبي تغلَّبت، لذلك لم يكن بمقدور الجمهورية الإسلامية البوسنة والهرسك أن تبقى بدون كرواتيا وسلوفينيا، فأعلنت سيادتها على أراضيها، من خلال استفتاء.

خطوات المؤامرة الصليبية المعاصرة

لم يدر بخلد الجميع أن الكروات الكاثوليك طرف في المؤامرة الصليبية العالمية التي تستهدف الإسلام المعاصر في أوربا، وبالتحديد في البوسنة والهرسك، باعتبارها الجمهورية الإسلامية الأنموذج، لكن عندما اتضح موقف المجموعة الأوربية، يوم أن أعلنت موقفها المتحفظ حول الاعتراف باستقلال كرواتيا وسلوفينيا والبوسنة والهرسك، ثم عودتها إلى الاعتراف كاملاً باستقلال كرواتيا وسلوفينيا فقط، هنا ثار التساؤل حول خيوط المؤامرة الصليبية وانفضاح أمرها ضد الإسلام المعاصر في أوربا، وعن مصير الجمهورية الإسلامية في البوسنة والهرسك التي أعلنت استقلالها في نهاية آذار (مارس) ١٩٩١م.



"البوسنة والهرسك نموذج اجتماعي إسلامي غير مرغوب فيه أوروبيًا"

بدأ الإعداد للإعلان عن هدف المؤامرة الصليبية العالمية من خلال حوادث متلاحقة في عام ١٩٩١م، منها:

أولاً: تنصيب قس صليبي حاقد، معروف بتعصبه ضد الإسلام، أُعِدَّ لهذه المهمة وهو كميلوفيتش الرئيس الجديد الذي ورث الشيوعية في يوغسلافيا.

ووجود مثل هذه القيادة الصليبية المتطرفة من شأنه تغذية مشاعر الغوغاء من النصارى الصربيين، من خلال رفع شعار يدّعون فيه رغبة المسلمين في إقامة (جمهورية أصولية في أوربا)، في الوقت نفسه تواصل الزعم بإقامة (جمهورية الصليب الكبرى في الصرب)، خاصة إذا عرفنا أن نحو ٣ ملايين صربي يعيشون خارج أوطانهم في الجمهوريات الأخرى.

ثانيًا: الحملة الإعلامية العالمية ضد الإسلام المعاصر في أوربا، الناجحة بكل المقاييس، في تحويل مشاعر الرأي العام العالمي، وخاصة في أوربا والولايات المتحدة، من الشعور بالتعاطف تجاه مسلمي البوسنة والهرسك إلى وصفهم بأنهم «ينوون مع أعوانهم في الشرق إقامة جمهورية أصولية في أوربا» ضد تعاليم السيد المسيح! وقد نجحت الوسائل الإعلامية في تحويل المشاعر إلى التعاطف المطلق مع النصارى، دون أي اعتبار لشعب البوسنة والهرسك الضعيف. وفي الوقت نفسه نجحت الوسائل الإعلامية العالمية في تطوير المشاعر المسلمة ــ للأسف الشديد ــ لتقبل أي مشروع لتقسيم الجمهورية الإسلامية في البوسنة والهرسك، مع مراعاة حقوق أهلها الأصليين.

ثالثا: الإيعاز للجيش اليوغسلافي الاتحادي بالحل القومي للأزمة. ومعلوم أن هذا الجيش يتألف ٨٠٪ من قيادته من الجنس الصربي الصليبي المتطرف الحاقد، وكان هذا يعني أن حلَّ الأزمة لن يكون إلاَّ في الإبادة الكاملة لكل المسلمين في البوسنة والهرسك، فقد صرَّح أحد هؤلاء القادة الصربيين بقوله: «إنهم يريدون تنظيف المدينة من المسلمين» وبدعوى (إقامة الجمهورية الصليبية الكبرى في الصرب).

وهكذا نجحت الصليبية العالمية في الإعلان عن تنفيذ المؤامرة الكبرى وبشكل سافر، والتي تزامن الإعلان عنها والبدء في تنفيذها مع تفكيك الاتحاد السوفيتي، وفي أعقاب حرب الخليج، وتحول نظر العالم كله إلى الدعاية المفتعلة لانتخابات الرئاسة الأمريكية. حتى الذين نجحوا من المسلمين في الفرار بدينهم الإسلامي، من لهيب الحرب الطاحنة، ومن بين الأنقاض في البوسنة والهرسك، يتعرضون الآن لعمليات التنصير القسري، تحت رايات براقة إنسانية خادعة، وهي تقديم (العون والإغاثة) لهم عن طريق المؤسسات والإرساليات والجمعيات التنصيرية. فماذا نحن فاعلون يا مسلمي الشرق الإسلامي؟!

الهوامش

(١) عبد العزيز نوار، الشعوب الإسلامية، دار النهضة الحديثة، بيروت ١٩٧٣، ص ٥٦.

(٢) Lamauche, Colonel, Histoire de la Turquie; Paris, 1924 pp. 64-65.

(٣) Ibid, p.66.

(٤) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن، عبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٧، ص ٧٠.

(٥) المرجع السابق ص ٧٣.

(٦) محنة الإسلام في يوغسلافيا (نشرة رقم ١٧)، صادرة في بيروت، ١٩٦٢، ص ١٤.

(٧) عبدالله التل، الأفعى اليهودي في معاقل الإسلام، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٢، ص ١٢٢.

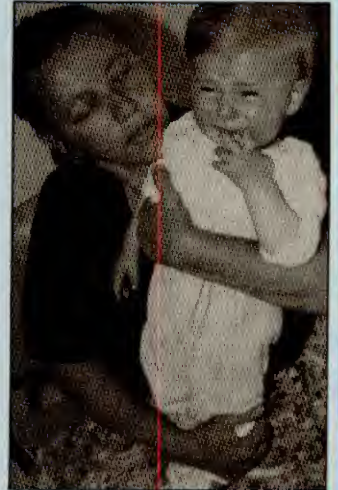
(٨) المرجع السابق، ص ١٢٢-١٢٣.

صرخات في أذني قطار الحافلات التي
تقل أُطفال البوسنة إلى أنحاء أوروبا

بُركان

شعر: خالد الحليبي

قف يـا قطـار فإننـي ... منـذ انطلقـتَ بهـم كئيبُ
تـرتـادني الغَصَـصُ الظمـ ... ـاءُ ويرتـوي منـي اللهيبُ
وتثُـورُ في عينـي ... أشبـاحُ الشقـاءِ ولا تثـوبُ
قـف إنَّـني من هـؤلا ... ءِ وإن تباعـدت الـدُّروبُ
بيني وبينهـمُ حبـالٌ ... لـن تقطعَهـا الخطـوبُ
وبـراءة الأطفـال تـد ... عـو نخـوتي، أفـلا أجيب
دعنـي أسـائلهم وإن لـم ... يستطيعـوا أن يجيبوا
لغتـي الـدمُ المفجـوعُ فـي ... خـدَّيَّ والـدمعُ الصبيب
وجـراح قلبٍ راعـفِ الـزّ ... فـرات يقـدحها الـوجيبُ
دعنـي فـإن الحبَّ يبلـ ... ـغ مـا يُسِـرّ بـه الحبيبُ
وإذا تحدثـت القلـو ... بُ، فإنَّـمـا تُصغـي القلـوبُ



★★★

دعني أحـدق في صحـائف ... لـم تلطخهـا ذنـوبُ
أستقـرئُ العبـراتِ في ... أهدابِهـا ومنًـى تلـوبُ
وأذوبُ ـ يـا للجمـر ـ في ... أنفاسِهـا لـما تـذُوبُ
وأغيب في عينيـن عـر ... بـدَ في مـآقيهـا الشحـوبُ
يجتـاحها ألـمُ الكبـا ... رِ، ويصطلي فيهـا الغُـروبُ
جمـدت على أجفانهـا ... صـورُ المجـازرِ لا تغيبُ
وتـلفـتـت فـإذا الـمـدى ... جثـثٌ وآلامٌ تجُـوب
ومـلاعبُ الأمسِ الجميـ ... ـلِ تئـنُّ ليس بهـا دبيبُ
طـوتِ المدافعُ حسنـهـنَّ ... وأُحْـرِقَ الغصـنُ الـرطيبُ
لـم يبقَ إلا مسجـدٌ ... يبكـي، وصـربيٌّ غـريبُ
وبقيـةٌ للجـوع أنفسـ ... ـهُـم، وللخـوفِ القلـوبُ
في لحظـة حـيرى أمـرُّ ... من الـردى، كـان الـهـروبُ
ورحلتَ، فارتحـل النهـا ... رُ، ووجْهُـهُ الضـاحي القشيبُ





يا أيها الطفلُ البريء   دُعيتَ والمضيافُ ذيبُ
سلبوكَ من وطنٍ يحنُّ   إليكَ، وهو هنا سليبُ
قطفوكَ والزهرُ المزجَّى موته القطفُ الأديبُ
يا حسرتاه إذا غدو   تَ، وأنت بينهم ربيبُ
تمتصُّ دَمعَك بسمةٌ   وتحوطُكَ العَضُدُ الكذوبُ
أهدوكَ مِعطَفَ رحمةٍ   وحنوا كما يحنو الطبيبُ
لم تدر أن وراءَ بسمـ   ـتِهم توارى ما يُشيبُ
ووراءَ كُلِّ هديَّةٍ   براقةٍ جثَمَ الصليبُ



لا يُلْهِكَ الكَلِمُ المهذَّ   بُ، إنه ذهبٌ مشوبُ
وترقب السقطات إذ   لا بد أن يهوي المريبُ
لا تنسَ أمَّك كيف أد   مى طُهْرَها النذلُ الهَيُوبُ
صَرَخَتْ ولكن ليس في الد   نيا لنجدتها مَهيبُ



ويحَ الشعوبِ أما تمـ   ـمل حسُّها، (أمرٌ عجيب)
تجري وسوطُ القهْرِ يجـ   ـلدُها، ولكن تستطيب
شبَّتْ على العيشِ الذليـ   ـلِ، وفي براثِنِهِ تشيبُ
والأمةُ الخرساءُ يحـ   ـجلُ في نواحيها النعيبُ
نامت عيون العزِّ من   ساداتها، وغفت شعوبُ
لكنَّ نار الأكرميـ   ـن وإن خبتْ يومًا تئوبُ
مهلاً قطارَ الماكريـ   ـنَ، فإنه يومٌ قريب
قف : هؤلاء الصبيةُ الـ   أغرارُ (بركانٌ) رهيبُ
فترقبنْ يومَ انفجا   رِ فؤادِهِ إني رقيبُ

المغرب العربي في ألفي عنوان

كتابات وقراءات

الطائع الحداوي

أنجزت مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود - يرحمه الله - للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية في مدينة الدار البيضاء بالتعاون مع معهد العالم العربي في مدينة باريس أحدث مشروع ثقافي عربي تجسد في إصدار مجلد (المغرب العربي في ٢٠٠٠ عنوان : كتابات وقراءات في المجموعة المغاربية).

وهنا نقدم لمتابعي الحركة الثقافية في الوطن العربي لمحات من هذا المجلد العلمي المهم. إنّ أغلب الكتابات التي تناولت المغرب العربي بالدرس والتحليل تركز على شيئين أساسيين هما : الموقع الجيو - سياسي والمكوّن الحضاري - الثقافي.

فالموقع الجغرافي للمغرب العربي المتجذر بين أوربا وإفريقية والشّرق أهّله لأن يؤدي دورًا استراتيجيا على صعيد التواصل والتبادل الاقتصادي والهجرة البشرية كما جعله مركزًا (لوجيستيكيا) حسّاسا من الناحية العسكرية بحكم امتداده على طول الضفة الجنوبية لبحيرة البحر الأبيض المتوسط.

لكن هذا الموقع الجغرافي برغم إيجابيته فقد اتّصف بمظهر سلبي تجلّى في الصراعات الدولية التي عبرت هذه المنطقة وبخاصة أطماع الدول الغربية وعنفها الاستعماري الحديث الذي جعل منها رهانًا استراتيجيا في عملية ضبط شبكة التحالفات والمحاور من الناحية الجيو - سياسية ولينتقل بسكانها في وضعهم الطبيعي للسيادة إلى وضع مختلف للأهالي من الناحية الاجتماعية.

وكان بَدَهِيًّا أن تتولد عن هذا الوضع البراني العنيف مقاومة مادية وأيديولوجية تَعْبُر كفاحات بلدان المغرب العربي ونضالاتها لتفضي، في النهاية، إلى حصول هذه البلدان على استقلالاتها الوطنية ومحاولة تأسيس البنيات التنظيمية الحديثة القائمة على نموذج الدولة - الوطن (الأمة) المحفّز على التجانس والوحدة برغم العوائق العديدة التي يطرحها هذا النّموذج.

حضارات وثقافات متعاقبة

أمّا المكوّن الحضاري - الثقافي فيظهر في تعاقب الحضارات التي عرفتها هذه المنطقة المغاربية وفي أنواع التّمثلات التي أنتجتها طوال تاريخها الممتد عبر قرون من الزمن والتي يمكن اختزالها في منظومتين : المنظومة المتوسطية ومنظومة فكرة العربية L'Arabite، وما نتج عن هاتين المنظومتين من أشكال تعبيرية ورمزية ونظرية تبدو واضحة في الإبداع اللفظي والحركي وفي الألوان والتاريخ واللباس والمطبخ والحكي الشعبي بمختلف أجناسه وفي المعمار وفي السلوكيات الاجتماعية للفرد وللجماعة. وكانت بلدان المغرب العربي ولا تزال تحاول تكوين تركيبتها الثقافية الخاصة داخل المنظومة المتوسطية مما يجعل المقاومة الثقافية تمتلك ديمومتها الراهنية في الزمن الثقافي لهذه البلدان المغاربية.

فالامتداد الثقافي في الزمن التاريخي لم يكن صمام أمان عند هذه البلدان حتى تقف في وجه التّحيين التّقني المعاصر وتعاقب أجياله وسرعة إنتاجيته أو تصمد أمام رواسب الإرث الاستعماري وإكراهاته المتنوعة. فكان منطقيا أن تختلف المقاومة الثقافية في عهد المغرب العربي القديم عن المقاومة الثقافية في عهده الحديث والمعاصر.

فتوجيه هذه المقاومة الثقافية داخل جغرافية المغرب العربي التي يحدد رقعتها أحمد الونشريسي صاحب كتاب «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب»، «من تخوم مصر شرقًا إلى المحيط، إلى تخوم السّودان جنوبًا» كانت مؤسسة على الإنتاج الثقافي الأصيل الذي اتّخذ أشكال المناظرة، والمسامرة، والدارات، والساحات العمومية، والإجازة، والمحاجّة والبرهان، والسّفر إلى حيث يُرابط أهل العلم وشيوخه، والتفرغ للكتابة، والتأليف في القضايا الجزئية والعامة... إلخ، فكان الإنتاج المعرفي والتقعيد والتأصيل من السمات الجوهرية التي طبعت المقاومة الثّقافية للمغرب العربي القديم. نلمس هذه المواصفات في تآليف هذه الفترة من مخطوطات وفتاوى ومجلدات في الطب والفلك والرياضيات والهندسة والمنطق والفلسفة والشّعر وأنواع السرد... إلخ. أي كلّ ما يتعلق بالطبيعيات والعقائد والإبداع.

والمؤسف، في هذا السياق، أنّ أغلب هذه التّحف والكنوز العلمية والثقافية لا يزال عبارة عن مخطوطات تنتظر من يُزيل عنها غبار الأزمنة وغبن التاريخ بالتحقيق والتحليل حتى يستفيد من ثرائها المعرفي أبناء هذه الأمة العربية والإنسانية جمعاء. لأن ما حُقّق منها هو قليل جدّا ولا يعكس وضعها العلمي الطبيعي.

مجالات التأليف المعاصرة

وفي انتظار تحقيق هذه الغاية العلمية، نجد أن شذرات من هذه الذخيرة المعرفية كانت محلّ دراسةٍ وعناية من قبل باحثين عرب أو مستشرقين وأجانب بصفة عامة. ومن هذه الفئة الأخيرة نذكر، على سبيل المثال لا الحصر، المستشرق ألفرد بل الذي اهتمّ بتكوّن الفرق الإسلامية في الشّمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، حيث تطرق في بحثه هذا إلى نمط الحضارة البربرية قبل الإسلام واندماج هذه الحضارة في الحضارة الإسلامية، كما تناول بالدراسة تكوّن الممالك ونشوء الدولة السياسية... إلخ. كما أنّ المستشرق المعروف جاك بيرك جعل ضمن اهتمام دائرة بحثه بلدان المغرب العربي وبخاصة البحث في كلّ ماله صلة بالمنظومة الفقهية والتنظيمية.

وبشكل عام، فإن موضوعات التأليف الحديثة والمعاصرة في الكتابة المغاربية نجدها مؤطرة في المجالات التالية :

- تكوّن منظومة الدولة (المنظومة السياسية).

- (المورفولوجية) البشرية والثقافية والهوية الاجتماعية (القبائل، الإنتاج الثقافي، الأحوال الشخصية . . . إلخ).

- الحقوق التشريعية وتنظيم المجال القانوني.
- تحقيق النصوص والمخطوطات وضبطها والتعليق عليها.
- التنظيم المعماري والبيئة.
- النسيج اللّغوي وظواهره.
- علاقات المغرب العربي بالبلدان الأوربية وبالشرق العربي.
- إشكالات المغرب العربي وقضاياه.
- اتحاد المغرب العربي: التأسيس والآفاق.
- مستقبل المغرب العربي.

ويجد القارئ هذه المجالات مضبوطة في التآليف التي يضمها المجلد العلمي الأكاديمي الذي نحن بصدده الآن.

في ألفي عنوان

يشكل ما قدمناه خلفية ثقافية كانت، في تقديرنا، وراء إصدار كتاب توثيقي يكون رهن إشارة الباحثين والمهتمين بقضايا المغرب العربي في مختلف مجالات المعرفة التي سجلناها سابقا، ولتحقيق هذا الهدف العلمي النبيل تضافرت جهود المؤسستين الثقافيتين المذكورتين: مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية في مدينة الدار البيضاء (المغرب)، ومعهد العالم العربي في باريس (فرنسا) لإصدار هذا المجلد المهم. وقد جاء هذا العمل التوثيقي الضخم في طبعة أنيقة توضح الاهتمام الكبير الذي أولته المؤسستان لهذا العمل الجادّ الذي تعكسه محتوياته التي تمت فهرستها بشكل تنظيمي وتربوي متميز يستجيب لمتطلبات الأرشفة الدولية والكتابة البيبليوغرافية المعاصرة. **وإذا تفحصنا فهرسة هذا المجلد التوثيقي نجدها موزعة إلى قسمين رئيسين:**

- **قسم خاص بالقراءات.**
- **قسم خاصّ بالجرد البيبليوغرافي.**

وقد رُتب هذان القسمان ترتيبًا إخراجيا اتّخذ الهيئة التالية:

أولاً: مقدمة باللّغتين العربية والفرنسية من توقيع مؤسسة الملك عبد العزيز.

ثانيا: قراءات في المجموعة المغاربية: أنجزها باحثون ومثقفون في عدد من الكتب والإنتاجات المغاربية، وذلك باللّغتين العربية والفرنسية أيضًا.

ثالثا: كتابات في المجموعة المغاربية: التي تشكل متن هذا المجلد ومناط القراءات في النقطة السابقة.

كشافات دقيقة ومتنوعة

نظمت هذه المواد جميعها داخل كشافات دقيقة توضح، بجلاء، المجهود المبذول في تصنيفها وتبويبها بطريقة فنية تلبي مطلبين: الفعالية والسرعة في البحث والتّنقيب.

- كشاف أول خاصّ بالمؤلفين.
- كشاف ثان خاصّ بالهيئات المؤلفة.
- كشاف ثالث متعلق بالواصفات.
- كشاف رابع يحدد الأعلام الجغرافية.
- كشاف خامس يحدد الأعلام التاريخية.
- كشاف سادس يحدد الأعلام البشرية.
- كشاف سابع يؤطر المؤسسات.
- كشاف ثامن يُنمّطُ العناوين.
- كشاف تاسع عبارة عن قائمة بعناوين القراءات.



يتبين للقارئ أنها كشافات تستفيد من التقنيات المعاصرة الخاصة بالتوثيق (الأرشفة الدولية) كما تغطي الحقول المعرفية التي حددنا أبرزها سالفًا.

فالوصف البيبلوغرافي جاء مطابقًا لقواعد الفهرسة المتبعة عالميا وضمّ نحو ثلاثة آلاف تسجيلة بيبليوغرافية بما فيها من مقالات وإسهامات في ندوات علمية إمّا وطنية أو قطرية أو دولية شملت المجالات العلمية المختلفة. واحتوى هذا الجرد البيبليوغرافي على الإنتاجات الصادرة باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية والإسبانية والإيطالية كلغات تمتلك قدرة على الانتشار والاستهلاك والممارسة العلمية.

أمّا القراءات فقد قام بها - كما أشرنا - مجموعة من الباحثين والمثقفين، وهي عبارة عن تقارير مركزة لجزء مهمّ من التسجيلات البيبليوغرافية السابقة وصل عددها إلى ثلاثة وستين مؤلفًا. والغرض منها هو وضع متلقي هذا المجلد التوثيقي العلمي، سواء كان قارئًا عاديًّا أو باحثًا مهتمًّا، داخل الصّورة المعرفية المغاربية حتى يتسنى له توجيه فضوله الثقافي واهتمامه العلمي توجيها سليمًا. وما يجعل هذه القراءات تكتسي مصداقيتها المعرفية هو توافرها على شرط (بيداغوجي) يتجسّد في إيلاء الأهمية للمحاور الأساسية في هذا الإنتاج أو ذاك (موضوع القراءة) وطرح بعض الأسئلة الجوهرية ذات الطابع الإشكالي التي تفتح أفق انتظار القارئ على أسئلة إنتاجية أخرى، كلّ ذلك بواسطة أسلوب في القراءة يرتهن إلى الوضوح والبساطة وتلمس الطريقة العملية والمثلى في توجيه المعنى.

فجمع مجلد «المغرب العربي في أَلْفَيْ عنوان» بين الجرد البيبليوغرافي السابق وتنظيمه الدولي (بما في ذلك الترتيب الهجائي) وبين الطابع البيداغوجي في القراءة المشار إليه آنفًا، يجعل من هذا المجلد أداةً معرفية ناجعة لاستشارة أهمّ الكتابات المغاربية وفق خطة توثيقية رصينة تُسجل بكفاءة حضورها العلمي في المكتبات العالمية والمكتبات العربية.

ولا بدّ أن نشير، في النهاية، إلى أن إخراج هذا المجلد التوثيقي إلى الوجود إغناء لخزانة المعرفة العلمية في العالم العربي؛ كما ينبغي، أن نشدّ بحرارة على أيدي هؤلاء الجنود المجهولين العاملين في هاتين المؤسستين (الثقافيتين) الذين تحملوا عبء إعداد مواد هذا المجلد وإخراجها من مصادرها وترتيبها وتصنيفها وفق الفهرسة الدولية وما يتطلبه ذلك من تعب ومشقة وطول نفس حتى جاء هذا المجلد متميزًا شكلاً ومضمونا، إلى درجة لا يمكن أن يستغني عنه أي باحث في مجال الكتابات المغاربية.

أزمة الفكر العربي والاتجاه الصحيح

بقلم: د. صدقة يحيى فاضل

الحياة البشرية هي ـ بلا شك ـ فكر وعمل، والأصل أن الفكر يسبق العمل ويحدد بالتالي سيره وطريقه وضوابطه، وعند وجود أيّ نشاط إنساني، تبرز حتمية وضع إطار قيمي مرجعي، أو إطار قانوني عام يحكم ذلك النشاط ويقننه وينظمه، والدول لم تتقدم وتتطور وتزدهر بشكل سليم إلا بعد تبنّي إطارٍ قيمي مرجعيّ أو قانون عام متفق عليه سلفًا بصفة عامة، يحكم نشاط المجتمع، وينظّم وجوده ويرعى تطوره ونموه في الاتجاه الصحيح الذي يحقق مصالح الأغلبية المعنية، ويرضي رغباتها.

وعندما ننظر إلى عالمنا العربي، من هذا المنطلق، ونحاول أن نعرف وضع الإطار المرجعي الرئيس (الإطار الدستوري الأساسي) وملابساته في بعض أجزاء هذا العالم، فمن المنطقي أن نفرق في هذا الصدد بين «ما هو كائن» فعلاً و«ما يجب أن يكون» في ذلك الوطن الكبير.

ولعل أبرز ما يلاحظ على «ما هو كائن» التالي: سيادة أُطُر تعكس مصالح قله خاصة، ولا تعبّر عن توجه الأغلبية ومصالحها، في كثير من أجزاء العالم العربي. على المستوى الرسمي، أو عدم سيادة أطر مستوردة (غربية)، في بعض أجزاء هذا العالم العربي.

ونتيجة لكل ذلك، فقد أصبح معظم (وليس كل) العالم العربي، في حيرة وارتباك وضياع، ولا نبالغ إذا قلنا: إن السبب الرئيس لتخلف العالم العربي المشهود (عن بقية أمم العالم، قياسًا بما لديه من إمكانات) هو ذلك الضياع، وهذا التيه الدستوري إن صح التعبير.

وعندما نتحول إلى «ما يجب أن يكون» في هذا الخصوص، فلا بد من أن نبحث عما يجب أن يكون، لدى المفكرين والمثقفين العرب؛ فالمفكرون هم عقل الأمة، ومستودع أسرارها وطموحاتها، والمرآة التي تعكس آمال الأمة وآلامها.

إن النظرة المتفحصة لاتجاه معظم المفكرين والمثقفين العرب المعاصرين، في هذا الشأن توضح ـ بما لا يدع مجالاً للشك ـ أن هناك تخبّطًا بين معظم هؤلاء المفكرين، وكثيرًا ما يشار إلى هذا التخبط بعبارة «أزمة الفكر العربي» أو ما شابه ذلك، وغالبًا ما تتجسد هذه الأزمة، عند مواجهة الفكر العربي لحدث أو تطور، أو عندما يبدي المفكرون العرب ـ بصراحة واطمئنان ـ آراءهم تجاه بعض قضايا عالمهم العربي وأمتهم الإسلامية، ويلاحظ أننا هنا نستبعد «الفكر» العربي الرسمي، أو المتأثر بالتوجيهات الرسمية، لبعض الدول العربية.

اغتراب.. لماذا؟!

يرى بعض المهتمين بهذه القضية الكبرى أن أزمة الفكر العربي هذه، تتجسد في اغتراب معظم المفكرين العرب الزماني والمكاني، ذلك الاغتراب الذي يتجلى في قراءة أولئك المفكرين للواقع العربي والوصفات العلاجية التي يقترحونها لمداواة ذلك الواقع وتصحيحه.

إن أزمة الفكر العربي المعاصر، تتجسد ـ في رأي هؤلاء ـ في انقسام المفكرين العرب إلى ثلاث فئات، كما يلي:

(١) ـ فئة تنظر إلى الحاضر والمستقبل بعين الماضي فقط، وهي الفئة التي تنادي بنبذ كل ما هو أجنبي، متجاهلة ضرورة التلاقح الحضاري، وحتمية الأخذ بأسباب القوة مادامت لا تتعارض تلك الأسباب مع الدين، وهذه الفئة هي التي توصف بأنها مغتربة زمانيًا.

(٢) ـ فئة «مستغربة» (**Westernized**): وهي التي تنظر إلى الواقع العربي (وما يجب أن يكون عليه) من منطلق الفكر الأوربي وحده، وبناء على أسس هذه الأيديولوجية الغربية أو تلك، متجاهلة الخصوصية الحضارية للعالم العربي، وغير مكترثة ـ كثيرًا ـ بالتوجه الديني لغالبية سكانه، وهذه الفئة توصف بأنها مغتربة مكانيًا.

(٣) ـ فئة واقعة (بعضهم يقول حائرة) بين **غربتي الزمان والمكان،** وتحاول جاهدة التوفيق بين التيارين السابقين، ولكنها ـ في رأي هؤلاء ـ كثيرًا ما تخفق في عملية التوفيق وتقع ـ بالتالي ـ في إشكالية التلفيق.

ومع بعض التحفظات على بعض مضمون هذا التقسيم، إلا أنه بصفة عامة قريب إلى الصحة، وواقع الحال الثقافي والفكري العربي.

ولا شك في أن أبرز عيوب الفئة الأولى هو رفضها للأخذ بكل أسباب القوة والتقدم (المباحة)، والإفراط في التمسك بالشكليات، وتغاضيها عن الاستبداد، وعدم اهتمامها بالاجتهاد والاقتباس، الذي يحتمه التطور الزمني، ومخالفتها ـ بالتالي ـ لمبدأ إسلامي راسخ، يتجلى في قوله تعالى: ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ الأنفال ٦٠.

أما الفئة الثانية، فيجب أن يرفض المسلمون طروحاتها التي تختلف بالتأكيد مع مبادئ الشريعة الإسلامية الغراء، هذا بالإضافة إلى عدم اكتراث معظم من ينتمون إلى هذه الفئة بالفارق الحضاري الواضح بين الغرب والشرق العربي المسلم.

مبادئ راسخة

إنني أعتقد ـ والله أعلم ـ بأن أصحاب الاتجاه التوفيقي الصحيح هم أقرب هذه الفئات إلى الصواب؛ فإن الإسلام ـ في رأيي ـ قد وضع المبادئ والأسس التي يجب أن تحكم حياة المسلمين، وترك معظم التفاصيل لعلماء الأمة ومفكريها؛ كي يجتهدوا ويضعوا التفاصيل المطلوبة التي تحقق الخير وقوة الإسلام والمسلمين.

إن المقصود بالاتجاه التوفيقي الصحيح ليس هو المزج بين الإسلام وغيره، بنسب معينة، وإنما المقصود هو الاجتهاد في وضع واقتباس كل التفاصيل اللازمة للحياة العامة، التي تحقق للمسلمين الخير والمنعة، على ألاَّ يكون هناك تعارض، بين ذلك الاجتهاد ومبادئ الإسلام ومقاصده السامية.

ومعروف أن الحياة العامة تحتاج إلى تنظيم مستمر، فكل جانب من جوانب مجالات الحياة العامة (الاقتصاد، السياسة، الأمن، الاجتماع . . . إلخ) بحاجة إلى أطر تنظيمية معينة تقنن نشاطه، وتواكب تطوره، وتدعم رقيه، مع الأخذ في الاعتبار الفارق البيئي والاجتماعي، وهناك أطر عالمية تنظم كثيرًا من مجالات الحياة أثبتت صلاحيتها في كل مكان، وضرورتها في كل زمان.

ولا حرج ـ كما أظن ـ في استيراد واقتباس كل ما تحتاج إليه الأمة العربية والإسلامية من هذه النظم والأطر إذا لم يوجد فيها ما يخالف الشريعة الإسلامية. إن التلاقح الحضاري هو أحد سنن الله في خلقه، وإن استعانة العرب والمسلمين بمثل هذه الأطر والنظم واقتباسهم لها (بعد تطويعها بما يتلاءم والنفسية العربية)، أمر شبيه باستيراد العرب والمسلمين للسيارة والطائرة والحاسب الآلي، وأسلوب بناء المساكن والقصور والمدن . . . إلخ.

المهم ألاَّ تتحكم المصالح الخاصة في تحديد ما يجب اقتباسه، في هذا الشأن، من أشياء مباحة، وما لا يجوز تبعًا لمدى انسجام الشيء المقتبس مع تلك المصالح. إن المصلحة العامة ـ دون سواها ـ هي التي يجب أن تكون المحدد الأول والأخير لما يجب تبنيه وما لا يجب. وهناك، كما هو معروف، معيار إسلامي عالمي معروف، تحدد على أساسه المصلحة العامة، ويحدد من يمثلها.

إلى الأفضل . . كيف؟

وحبذا لو ركز المفكرون والمثقفون والمبدعون العرب والمسلمون، في الوقت الحاضر، على محاولة تغيير واقع الأمة إلى الأفضل، وإلى ما يجب أن يكون عليه هذا الواقع، وذلك انطلاقًا من الاتجاه التوفيقي بالمعنى والمضمون الذي أوجزناه هنا.

إن قيام المثقفين العرب الحقيقيين بهذه المهمة الضخمة يعد ممارسة مخلصة للمسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقهم، لكونهم عقل الأمة، وضميرها، وحاملي مشاعل النور المشع لقهر ظلامها الدامس. إن قيامهم بهذه المهمة، ونجاحهم فيها، في الواقع، سيقفل الباب في وجه المفكرين «المستغربين» (دعاة التغريب)، وسيبرهن لـ«المتزمتين» بأن الإسلام هو دين القوة والتقدم، لا دين «الدروشة» والأوهام والعجائب.

وكما ألمحنا، فإن جميع المعنيين يدركون صعوبة تعميم هذا الاتجاه وتبنيه في الواقع الفعلي؛ فالإصرار على هذا الاتجاه قولاً وفعلاً سيضع أنصاره وجهًا لوجه في مواجهة أعداء الأمة العربية والإسلامية الذين يهمهم أن يظل العالم العربي في تخبط فكري؛ ومن ثم في فوضى حضارية حتى يستمر ضعيفًا، فيسهل عليهم تحقيق مآربهم المدمرة والقاتلة في الأرض العربية والإسلامية.

وغني عن القول: إن أعداء الشعوب العربية والأمة الإسلامية المعروفين يحاربون هذه الأمة ويكيدون لها، في كل مجال، وعلى مختلف الصُّعُد. لذا، فإن المعركة بين أصحاب الاتجاه الفكري الصحيح وأعداء الأمة هي أشرس المعارك؛ لأن موقعة الفكر هي الأهم، فمن ينتصرْ على جبهة الفكر يفُزْ في بقية الجبهات، والعكس صحيح أيضًا.

إن الذين يمكن أن نشير إليهم بأنصار الاتجاه التوفيقي الصحيح هم ـ في رأيي ـ أصحاب الاتجاه الفكري الصائب، ويجب أن ننأى بهم عن تهمة «التلفيق» مادامت لا توجد في طروحاتهم مخالفة أكيدة للإسلام، ويمكن اعتبار أصحاب الاتجاه التوفيقي الصحيح من المفكرين العرب، المثقفين العرب الحقيقيين فعلاً.

وأعتقد ـ جادًّا ـ بأن غالبية هؤلاء قد اهتدوا ـ منذ أمد ليس بالقريب ـ إلى «الإطار القيمي المرجعي» العام، الذي يجب أن يحكم فكر الإنسان العربي وسلوكه بصفة عامة، والمثقف العربي بصفة خاصة.

وأعتقد أن مقومات ذلك الإطار هي بصفة عامة: التمسك بمبادئ الدين الإسلامي الصحيحة، والالتزام بفكرة الأمة العربية الواحدة، أصلاً ولغة وأرضًا وتاريخًا وحضارة وهمومًا، على أن يكون ذلك قائمًا على أساس احترام رأي الغالبية (داخل الإطار المرجعي المعني، والذي يتعين تقنين أسسه دفعًا للاختلاف وسوء التفسير)، **والحرص على مبدأ ضرورة الرقي الفعلي والمستمر بالإنسان العربي ـ بشتى الطرق المشروعة ـ ليقف ذلك الإنسان شامخًا دائمًا، متفوقًا دائمًا، وسيدًا (في أرضه على الأقل) إلى الأبد.**

نحو التميز المنشود

وعندما نركز على «ما يجب أن يكون» فقط، نقول: يجب أن يلتزم المثقف العربي دائمًا بهذا الإطار، يجب أن يكون هذا الالتزام أبديًّا (يُتَوَارث جيلا بعد جيل)، حتى يتحقق للعرب الاستقلال والتميز، وتُبنَى شخصيتهم في إطار النموذج الأمثل (هذا) بالنسبة لهم.

إن الإشكالية ـ في رأيي ـ ليست في غياب ذلك الإطار بالنسبة للمثقف العربي الحقيقي، بل في ضرورة تعميم ذلك الإطار من المحيط إلى الخليج، وفي حتمية غرسه في عقول النشء العربي وأفئدتهم منذ الصغر، وأيضا في مسألة صياغة نظم وقوانين توضع وتطبق ليحيا العربي فعلاً في ظل ذلك الإطار.

وبالإمكان ـ إن تحقق ذلك ـ أن نقول للعالم: إن العرب قادمون، حيث سيكون بالإمكان يومئذ أن نثبت للآخرين بأن العرب لا يختلفون ـ فكرًا وإمكانات ـ عن شعوب اليابان وألمانيا وروسيا وأمريكا والصين . . . إلخ، كما أثبتنا لهم ذلك حينما كنا أمة مسلمة وصفنا رب العالمين بقوله: ﴿ كنتم خير أمةٍ أُخرجت للناس ﴾ آل عمران ١١٠.

نعم، يبدو أن عدد أصحاب هذا الاتجاه الفكري مازال قليلا مقارنة بعدد الذين ينتمون فكريًّا إلى الفئتين الأولى والثانية. لذا، فإن تعميم هذا الاتجاه، بعد الاتفاق النهائي عليه وعلى أسسه ومبادئه، يمثل تحديًا فكريًّا وسياسيًّا معروفًا؛ على أنصاره مُواجَهَتُهُ بالمنطق والحجة قبل أن تجرفهم التيارات الأخرى، ويعود العالم العربي ـ كما هو حاله الآن ـ إلى الفوضى الفكرية ومن ثم الفوضى الحضارية.

نجيب محفوظ

ذكريات وملاحظات



بقلم: د. علي شلش

عندما هاجرتُ من الإسكندرية إلى القاهرة للعمل في الصحافة وضعته في قائمة المطلوب رؤيتهم والتعرف إليهم من الأدباء. ولكن كيف السبيل؟ قيل لي إنه يجلس صباح يوم الجمعة مع بعض أصدقائه بكازينو أوبرا. ولكن كيف أستيقظ مبكرا وأنا نؤوم الضحى، ولا سيما يوم الجمعة، حتى أصل إليه من مسكني البعيد؟ حاولت مرتين على أي حال، وفي كلتا المرتين وصلت بعد انصرافه. ولم أجد أمامي إلا طلب المبيت ليلة الجمعة عند صديق يسكن بالقرب من ميدان الأوبرا. وبعد فترة عثرت على هذا الصديق، وتمثل في الشاعر مجاهد عبد المنعم مجاهد، الذي كان يسكن في آخر شارع القلعة مطلاً على مسجدي الرفاعي والسلطان حسن. ومع ذلك كان هذا أهون عليّ وأقرب من المجيء من حي العجوزة، أو هكذا تخيلت حين رحب مجاهد بي والذهاب معي في الصباح التالي إلى عرين أسد الرواية العربية كما تصورته وقتها وبعدها.

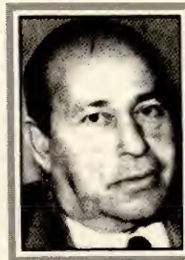
وفي هذه المرة نجحت في الاستيقاظ مبكرا، والوصول إلى كازينو صفية حلمي في موعد مناسب. وكان الكازينو - ومازال - يطل على ميدان الأوبرا ودار الأوبرا. ولا أدري من الذي أطلق عليه هذا الاسم؟ ولكن يبدو أنه شاع بين المثقفين كنوع من التخفيف لوقع الاسم الأصلي ونسبته إلى راقصة لا علاقة لها بالأدب أو المتأدبين.

كان علينا أن نعبر المقهى الذي يتصدر الكازينو، وأن نستمر في الصعود طابقين، حتى نصل إلى قاعة علوية فسيحة، متناثرة المناضد والمقاعد، لا محل لها بالليل إلا أن تكون قاعة للطعام.

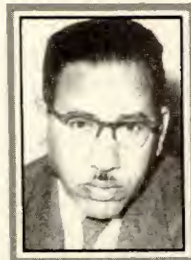
ووسط هذه القاعة الفسيحة تجمعت بضع مناضد في صف قصير. وفي صدر الصف جلس **نجيب محفوظ**، وحوله أصدقاؤه: **عبد الحميد جودة السحار وعلي أحمد باكثير وهارفي أرمانيوس** وعدد قليل آخر من شباب الأدباء. وسلمنا على الجميع، ثم جلسنا في آخر الصف. وجاءت جلستي في مواجهة **نجيب محفوظ**، وهو المطلوب.

أوقفت الشرطة ندوته

ظللت طوال الجلسة بلا كلام ولا مناقشة، وإنما صمت وإصغاء، كأن على رأسي الطير كما قال أجدادنا. ورحت أتابع صاحب الجلسة وهو يصغي ويتناقش، ويقهقه أحيانا لنكتة أو نادرة، ويحتفظ بنظاراته الغامقة التي لا تكشف حقيقة وجهه وعينيه. ولم أشعر بأنه يتكلف الكلام أو الضحك، وإنما شعرت بأنه «ابن بلد» مثقف يطرب لحسن الرواية وتشويق الحديث. كما شعرت بأنه صاحب مجلس ديموقراطي، على عكس



السحار



باكثير

مجلس **العقاد** الذي لا يكاد يتكلم فيه أحد سواه. والأهم من هذا كله أنني ارتحت له.

وفي تلك الفترة عرفت أن أحد أقاربي من أعز أصدقائه وأوائل زملائه، وهو **عبد الحي الألفي** الذي تربى معه في حي العباسية، وشاركه في كثير من صعلكة الشباب ومغامراته. وقادني فضول الصحفي إلى قريبي راجيا أن أخرج من جعبته بعض أسرار صديقه، ولكنه خيب ظني، وكان أكثر حرصا على الصداقة من القرابة.

استمر ترددي على ندوة نجيب محفوظ أو صالونه المجازي هذا سنوات بعد ذلك، أي من عام ١٩٥٨ إلى عام ١٩٦٢. وبعدها توقفت الندوة، وانتقلت من كازينو أوبرا إلى قهوة ريش، وصار موعدها في المساء فلم أتمكن من الانتظام في حضورها. ولكن توقفها وتشردها كانت وراءهما حكاية طريفة. فذات جمعة من شهر مارس ١٩٦٢ — على ما أذكر — فوجئنا بضابط شرطة يدخل علينا، ولا يبدو عليه أنه أديب أو متأدب.

واقترب من أحد الحاضرين الشبان، وجلس إلى جواره قليلاً. وكانت الجلسة قد اتسعت وقتها، وصار جمهورها كبيرا معظمه من الشباب بعد اشتهار الندوة في الصحف. وبعد قليل من الهمس انتقل الضابط الشاب إلى نجيب محفوظ.

وهمس في أذنه قليلا، فنهض محفوظ وخرج معه إلى مدخل القاعة. وبعد قليل من الهمس أيضا عاد وحده، ثم جلس وخط شيئا على ورقة صغيرة، ثم نهض مرة أخرى، وغاب قليلا. ولكنه عاد فكرر ما فعل، وخرج للمرة الثالثة. وحين عاد خيم الصمت على الجميع، مع أن أحدا من الجالسين في المؤخرة مثلي لم يشعر بشيء غير عادي.

وبعد قليل عرفنا عن طريق الهمس سر زيارة ضابط الشرطة!

في صباح ذلك اليوم، ولأمر ما، انتشر رجال الأمن في أنحاء الميدان بطريقة غير عادية، وأدركنا أن **عبد الناصر** سيمر بالميدان في طريقه إلى مكان لا نعلمه، ربما للصلاة بمسجد الحسين أو الأزهر أو زيارة قصر عابدين. ولكن المهم أن رجال الأمن اكتشفوا أن بعض الشباب يصعدون إلى كازينو أوبرا فرادى وجماعات، فأرسلوا ذلك الضابط الشاب للمعاينة والتحري. وهكذا فاجأنا متلبسين بالتجمع والثرثرة. ولما قام بتحرياته تبين له - بسرعة - أن المجلس أدبي، وأن شيخه هو **نجيب محفوظ**. وطبقا لقانون الطوارئ والأحكام العرفية الذي ينام على رفوف أجهزة الأمن، ولا يصحو إلا في مثل هذه المناسبات، كان لا بد من الحصول على ترخيص لأي تجمهر. ولما كنا جاهلين بهذا الموضوع، لأننا لم نتجمهر بالمعنى السياسي، فقد طلب الضابط الشاب من شيخ المجلس كتابة طلب إلى مأمور القسم التابع له الكازينو للإخطار عن الندوة. وكتب محفوظ الطلب في أول مرة، ولكنه لم يصلح، لأن قانون الطوارئ يقضي بالإخطار عن كل مرة. بل يقضي بتقديم ملخص لما يدور في الجلسة. وكان معنى هذا أن يتحول أحدنا - ولا سيما صاحب المجلس نفسه - إلى كاتب تقارير. وبسرعة تشاور زعيم الندوة مع كبار مؤسسيها، واتخذوا قرارًا بفرطها.

وبهذه النهاية غير السعيدة أسدلت الستار على ندوة أسبوعية من أهم ندوات القاهرة في الخمسينيات على الأقل، لأنها بدأت بحفنة من الأصدقاء عام ١٩٤٣، ثم تكاثرت الحفنة فصارت تجمعا كبيرًا كان يصل أحيانا إلى ثلاثين شخصا.

وكان من حسنات هذه الندوة - عدا ديموقراطيتها - أنها كانت متطورة باستمرار من حيث النظام. فقد اقترح صاحبها عندما تكاثر روادها أن تناقش الكتب الجديدة، وأن تدعو مؤلفي هذه الكتب إلى حضور المناقشات. وفاز الشباب بنصيب الأسد في هذا النشاط، لأننا تخصصنا تقريبا في مناقشة أعمالهم القصصية والروائية.

الصعلوك المحظوظ

عرفت في هذه الندوة عددًا لا بأس به من الأدباء، ولا سيما أصدقاء **نجيب محفوظ**، مثل **السحار وباكثير وأرمانيوس ونظمي لوقا وزوجته صوفي عبد الله ومحمد فهمي**. وكان **السحار** رجلاً طيب القلب، مهذب اللسان، ودودا، عطوفا. ومثله كان **باكثير**، كأنما الطيور على أشكالها تقع. ولكن باكثير تفوق على الجميع في الهدوء، والتواضع. أما **أرمانيوس** فكان محاميا أحب الأدب مثل كثيرين من المحامين في جيله، ونشر بضع قصص قصيرة في الأربعينيات، ثم طلق الكتابة مثل زميله وصديقه **عادل كامل**. وأما **لوقا** فكان مترجما قديرًا وكانت **زوجته** روائية مجتهدة. غير أن **محمد فهمي** كان شخصية روائية دستويفسكية من الطراز الأول. ولا أدري كيف أفلت من نجيب محفوظ. وربما لم يفلت لو أننا نقبنا عنه بعناية في روايات صديقه.

كان شاعرًا قليل الحظ، محدود الموهبة، جمع ونشر بعض مختارات لثلاثة شعراء: **أبي القاسم الشابي والتيجاني يوسف بشير ومحمد عبد المعطي الهمشري**. واشتهر بهذه المختارات الرومانتيكية. ولكنه قبل أن يصدرها في الأربعينيات كان قد قام بمغامرة عمره. فقد استقال من وظيفته الحكومية الصغيرة - التي شغلها بمؤهله المتوسط - وباع كل ما يملكه، وجمع مدخراته، وسافر إلى باريس، وكانت باريس في جيله حلم كل مثقف في مصر، ولكنها - كأي مدينة كبيرة - لا تخلو من الغدر بأهلها، فما بالك بزائريها. وكان **محمد فهمي** من الذين غدرت بهم مدينة النور، فعاد بخفي حنين

> ”من أين جاء بكلمة حرافيش التي أطلقها على بعض أصدقائه؟“


نجيب محفوظ

بعد بضعة أشهر. ولكن حتى العودة الخائبة من باريس كانت مؤهلاً ذا قيمة في مجتمع ذلك الزمان. وهكذا عاش العائد الخائب على الصيت لا الغنى، وفشل في الالتحاق بالصحافة فراح يتصعلك، وينشر مقالة هنا وقصيدة هناك، من وقت لآخر. **وفي عام ١٩٤٧ نشر بمجلة «المقتطف» مقالة قصيرة عن رواية «زقاق المدق» لنجيب محفوظ**. وكانت المقالة كلها غزلاً خطابيا في الرواية وإعجابا بالغا بمؤلفها، مع أنه أخذ عليها وعليه بعض المآخذ الساذجة.

وكان من غزله وإعجابه الفقرة التالية:

«إنني أقولها قولة صريحة وأنا لا تربطني صلة شخصية بهذا الأديب. وأعلن اليوم، وستؤمن على قولي الأجيال القادمة: لقد خُلق لنا أدب قصصي في مستوى الأدب الروسي الذي استرعى أنظار العالم بفضل دستويفسكي وتشيكوف وترجنيف. وسيقف أدب القصة عندنا بين الآداب العالمية سامقا، يفيض قوة وحياة ونبضا».

صدق توقع **محمد فهمي** على أي حال، وارتبط



من يومها بنجيب محفوظ، مع أنه لم يكتب عنه كلمة بعد ذلك، وربما لم يقرأ له رواية أخرى. وكان يتردد عليه في جلسته الأسبوعية هذه دون انتظام.

وحين أدركته عام ١٩٥٨ كان المشيب يغطي رأسه، ولكن الشباب كان يتدفق من حماسته في الكلام، وإن كان كلامه من قبيل الخطب الفارغة من المعاني العميقة المتماسكة. وكان ملبسه مثار سخرية الشباب من أمثالي وقتها. فهو شديد الحرص على الأناقة، وتوحيد لون ربطة العنق ومنديل الجيب العلوي. ولكنه لا يغير سترته، فهي دائما من «الشاركسكين» الأبيض ــ لباس الصيف المشهور وقتها ـ حتى في عز الشتاء!

وذات يوم ظهرت النعمة فجأة على محمد فهمي، الصعلوك الذي عجز الأشقياء منا عن معرفة مقره وسكنه. وأرانا وجهه يوما ثم اختفى إلى الأبد، بعد أن واجهناه ـ نحن الشباب ـ بالتندر والسخرية. أما سر تلك النعمة المفاجئة فيرجع إلى قصيدة كتبها في مدح أحد الأثرياء العرب، ونشرتها جريدة «الأهرام» على صفحة كاملة، على سبيل الإعلان بالطبع. وكان الثري العربي قد جاء إلى القاهرة عام ١٩٥٩، واجتذب عددا من الشعراء المحدودي الموهبة مثل محمد فهمي، فكتبوا معلقات في مدحه مقابل ألف جنيه لكل منهم، وهذا مبلغ مهول في ذلك الحين، من شأنه أن يغير تاريخ الصعلوك وجغرافيته. وهذا ما حدث بالضبط. فقد سمعنا بعدها أن فهمي سافر مع الثري العربي إلى بلده. ثم سمعنا أنه سافر بعد ذلك إلى سويسرا، حيث أقام، ولم يعد. وربما مات هناك، ولكن بعد أن نجحت غزوته لأوربا في النهاية. فقد جاء من مدينة الزقازيق ليغزو القاهرة، ولكنه كان يهزم كل يوم. وكان يقول لنا إنه صديق فلان وفلان من كبار الأدباء، ولكن أحدا لم يعطف عليه. بل كان يقول إنه خال الشاعر **صلاح عبد الصبور**، وكان الأخير يضحك كلما سمع ذلك ويقول إنه زميل خاله بالفعل، وإنه عرفه في الزقازيق وتأثر به، ثم التقاه في القاهرة، وتعلق به، وتصعلك معه قليلاً، ثم انصرف عنه إلى الأفضل.

ولكن ها هو الحظ ابتسم أخيرًا لفهمي بعد طول عبوس. ويا له من حظ هذا الذي يعطي المال ويأخذ الشعر!

أول ناطحة سحاب

حتى ذلك الحين كان نجيب محفوظ نفسه شخصية روائية من نوع آخر، أهم وأخطر، لأنه رجل متعدد الأبعاد والجوانب. فقد عرفت منه ومن قدامى أصدقائه أنه كان لاعب كرة قدم في شبابه، وأنه جرب الصعلكة، وأنه ـ على حيائه وخجله البادِيين ـ ابن نكتة كما يقول التعبير العامي، أي يحب الضحك والفرفشة ويتميز بحضور البديهة الفكاهية. بل عرفت أنه رجل منضبط، يعشق النظام في حركته ونشاطه وقراءاته وكتاباته. وفوق هذا كله كان قريب الشبه بشخصية كمال عبد الجواد التي صورها في ثلاثيته، تلك الشخصية الهاملتية الحائرة المعجونة بالرومانتيكية والعناد والتمرد. كما كان قريب الشبه في أحد جوانبه بتلك الشخصية الأخرى التي طغت على الجزء الأول من الثلاثية، وأصبحت من أهم الشخصيات الروائية في الأدب العربي، وهي شخصية أحمد عبد الجواد لأن لكل منهما حياتين تقريبا: حياة عامة أمام الناس والأهل تتخذ مظهر الجد، وأخرى أمام أقرب الأصدقاء وتتخذ مظهر الهزل. والفارق هنا أن عبد الجواد تاجر يملك ويحكم، ومحفوظ موظف وعبد للوظيفة وراتبها المحدود. ومع ذلك لا أعتقد أنه حرم نفسه كثيرا من متع الحياة الخاصة، ولا سيما في شبابه وقبل زواجه.

> «اقترن الكم عنده بالكيف فجمع بين الغزارة والجودة»

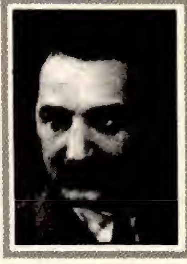
وربما كان نجيب محفوظ الموظف الحكومي الوحيد في أدبنا الحديث الذي استفاد من الوظيفة أكثر مما استفادت منه. فهي التي دعمت في نفسه حسن النظام والانضباط، ولولاه ما استطاع أن ينشئ هذا الهرم من الروايات والقصص. وهي أيضا التي قدمته إلى صف من أخصب وأغنى الشخصيات التي صورها، ابتداء من شخصية أحمد عاكف في رواية «خان الخليلي» إلى شخصيات كتاب «المرايا» ورواية «حديث الصباح والمساء». وهي التي أتاحت له الاقتراب من طابور آخر من النساء اللواتي يملأن رواياته. ومع أنه تقلب في الوظيفة الحكومية، وتنقل بين العمل الكتابي والعمل الإداري فلا شك أن أخطر فترات وظائفه وأغناها هي التي قضاها بوزارة الأوقاف طوال الأربعينيات وما بعدها بقليل. ولا يلغي هذا كله ـ بالطبع ـ **دور الموهبة والإرادة وحب الكتابة القصصية. وله في هذه وتلك نصيب كبير. بل له نصيب كبير أيضا في عادة المراقبة أو القدرة على الملاحظة والمتابعة، وعادة التأمل أو توظيف العقل فيما تتلقاه الحواس. وهذه من خصاله البارزة.**

هل اكتسب المقدرة على التأمل من الوظيفة أم من دراسة الفلسفة في الجامعة؟ أعتقد أنه لم يكتسبها من هذه أو تلك. والأغلب أنها جزء من موهبته التي لا يستطيع أحد ـ ولا هو نفسه ـ تتبع جذورها وتحديدها وتعريفها. وكل ما فعلته دراسة الفلسفة والمنطق هو أنها شحذت هذه المقدرة، ولولا وجودها فيه أصلاً لما اتجه إلى الفلسفة أو المنطق. ثم جاءته الوظيفة بمعرض كامل شامل يدعو إلى التأمل وإعمال العقل، ولاسيما في النماذج البشرية ـ إذا استعرنا تعبيرا مندوريا نسبة إلى **الدكتور محمد مندور**. وهذه المقدرة على التأمل وتوظيف العقل، الواضحة في رواياته، تزداد وضوحًا كلما جلست إليه، على الرغم من حس الفكاهة الذي قد يتخللها. فصاحبها «سمِّيع» من طراز فريد، قليل الكلام، صموت، بعيدا عن جلسات الحرافيش بالطبع.

من أين جاء بكلمة «الحرافيش» هذه التي أطلقها على «شلة الأنس» من أصدقائه؟ ومن الحرافيش الذين صنع لهم ملحمة باسمهم؟

لا أدري المصدر الحقيقي للكلمة، فليس لها

مجلسه مفتوح للحوار بعكس العقاد الذي كان لا يترك أحدًا يتكلم سواه


العقاد

في معاجم اللغة الموثوق بها ذكر ولا شأن. ولكني أدري أن مؤرخي العصور الوسطى في مصر استخدموها في وصف صعاليك القاهرة. وأدري أيضا أن ابن خلدون استخدمها في وصف الكلمات الخشنة!

وعندما عرفته عام ١٩٥٨ كنت أعجب لطاقته المدهشة على الكتابة والإنتاج. فقد كانت الثلاثية في السوق وقتها. وكان السؤال: كيف تأتي له أن يكتب آلاف الصفحات وسط أعباء الوظيفة؟

كانت الكتابة عنده ـ حتى ذلك الوقت ـ وظيفة نصف اليوم، أو وظيفة مسائية، لأن الوظيفة الصباحية استغرقت وقته وجهده الأساسيين. ومع ذلك خرج منها بما لم يستطع الكثيرون من المتفرغين للكتابة أن ينتجوه. ولا بد أنه كان صاحب تجربة ممتلئة، ولا بد أيضا من أنه «تحرفش» أحيانا، وجرب وذاق صنوفا من الأشياء أحيانا أخرى، بل «قطّع السمكة وذيلها» كما يقول التعبير العامي في الكناية عن هذه المعاني. ولكن المدهش أيضا أننا إذا حسبنا إنتاجه بعد الثلاثية لوجدناه أغزر وأكثر. ففي الفترة من عام ١٩٥٩ الذي نشر فيه «أولاد حارتنا» إلى عام ١٩٨٩ الذي نشر فيه «قشتمر» صدر له ٣٥ كتابا، أي بواقع كتاب على الأقل في السنة. وهذا في ذاته رقم قياسي للإنتاج القصصي الجاد، برغم أن فترة الثلاثين سنة هذه بدأت وهو يقترب من سن الخمسين التي يميل الروائيون بعدها عادة إلى البطء في الإنتاج. فكأنه كلما ازداد نضجًا وتقدما في السن ازداد إنتاجا، على العكس تماما من فترة الثلاثين سنة التي سبقتها (١٩٢٩ ـ ١٩٥٨) ولم يزد إنتاجه فيها على ١٣ كتابًا، أي بواقع نصف كتاب أو أقل في السنة.

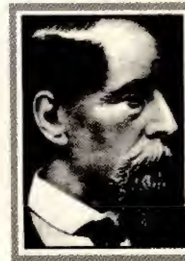
ومثل هذا الخط البياني الكمي الصاعد يجلب على صاحبه ـ عادة ـ نوعًا من الإسهال والاستسهال في الكتابة، ولكن نجيب محفوظ نجا من هذين المرضين الخبيثين، وقدم للنقاد والدارسين ومؤرخي الأدب دليلاً عمليا على أن في الإمكان اقتران الكم بالكيف، والغزارة بالجودة. ومع أن رواياته الأولى أضعف فنيا من اللاحقة، وقصصه القصيرة ليست كلها جيدة، وشخصياته النسائية أقل دقة وأبعادا من شخصياته الرجالية، **فإنتاجه الروائي والقصصي يشكل في مجموعه عالمًا متميزًا من التجارب والبشر، لا يقل عن عوالم ديكنز في إنجلترا، وبلزاك في فرنسا، ودستويفسكي في روسيا**. وهذا العالم المحفوظي ـ إذا صح التعبير ـ عالم مدينة واحدة هي القاهرة، وشريحة واحدة هي الزقاق أو الحارة أو العوامة أو البنسيون، وصراع واحد هو الصراع من أجل التقدم، أو الأفضل، أو الأبقى، أيا كان تصورنا له.

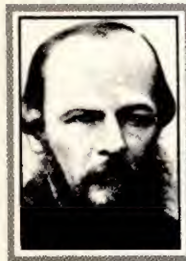
بهذا العالم الذي قام على المواظبة والدأب والرغبة في التجويد بنى نجيب محفوظ أول ناطحة سحاب على أرض الرواية العربية. وكانت هذه الأرض قبله متناثرة البيوت والعمارات، لا يزيد ارتفاع أحدها أو إحداها على بضعة طوابق من الروايات الجادة الناضجة. ولكن الناطحة المحفوظية هذه بلغ ارتفاعها ٤٧ طابقا بعدد رواياته (٣٣) ومجموعاته القصصية (١٤)، وهو رقم لم يبلغه من الناحية الكمية ـ على الأقل ـ أي كاتب عربي آخر، حتى في عصر الإسهال الروائي الذي صاحب نشأة الرواية العربية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر. فإذا أضفنا إلى هذا الرقم ما يقوم عليه من جودة ونضج لأدركنا أنه يستحق جائزة نوبل. بل كان يستحقها ـ بالفعل ـ منذ ظهور ثلاثيته عام ١٩٥٧.

ولا شك أن حصول محفوظ على نوبل حلَّ عقدة نفسية وثقافية حادة كانت تؤرقنا كلما أعلن عن الفائز بهذه الجائزة كل عام، ولا سيما بعد الحرب الثانية عندما نضج أدبنا الحديث في أشكاله ذات التأثرات الأوروبية من جهة، ورسخت نوبل بوصفها أكبر جائزة عالمية من جهة أخرى. ومهما كان رأينا في هذه الجائزة فهي ـ كغيرها من الجوائز المحلية والدولية ـ لا تخلو من المزايا والنواقص.

ولكنها ـ في النهاية ـ وسيلة للاستحسان والاعتراف بالقيمة. ومع أن الجوائز لا تصنع الأدباء، وإنما تشرف بهم، فهي تلقي ضوءا مهما ـ أحيانا ـ على أدب الفائزين بها. وإذا كانت نوبل توزع يمينا ويسارًا وشرقا وغربا فنحن لسنا أقل من غيرنا في مجال الرواية خصوصا، وعلى يد نجيب محفوظ بعينه، وهكذا جاءته منقادة إليه تجرر أذيالها، فلم تك إلا له، ولم يك إلا لها، إذا صح تحوير بيت الشعر المشهور عن الخلافة.

كنت ـ ولا أزال ـ أعتقد أن نوبل ـ كغيرها من الجوائز أيضا ـ ذات بعد سياسي منذ بداية توزيعها عام ١٩٠١، وأنها جائزة أوروبية غربية، يتغير هواها السياسي بتغير الزمان والمصالح، وأنها منذ نهاية الحرب الثانية ارتدت ثوبا معاديا للشيوعية والنازية والفاشية، ومناصرا للقيم الغربية، ومؤيدا حقوق إسرائيل في فلسطين. وهذا كله أمر طبَيعي لا نملك له دفعًا ولا تغييرًا، وليس أمامنا إلاّ التعايش معه، لأن رفضه يحتاج إلى قوة وبدائل ليست في حوزتنا، ولأن الغرب لن يسمح لنا إلا بالتعايش مع عدونا. وقد أدرك محفوظ هذه النتيجة عقب هزيمة ١٩٦٧، ونادى بالتفاوض مع إسرائيل قبل توقيع اتفاقيات كامب ديفيد وبعدها، وصرح بأن موقف اللاسلم واللاحرب


ديكنز


دستويفسكي



الذي انتهجناه موقف مضحك وضار بمصالحنا، بل هو فخ دولي نصبه لنا الكبار، ولا سبيل لنا إلا الاعتراف بالأمر الواقع وإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وتوجيه المليارات إلى السلام والبناء والتعمير، لأن البديل هو ضياعها في السلاح، وضياع السلاح في حروب تعود علينا بالمزيد من الهزائم. وتحمل الكثير إزاء هذه التصريحات كما هو معروف، ابتداء من وضع اسمه في قائمة المقاطعة العربية إلى الهجوم عليه في الصحف والإذاعات العربية. ومع ذلك فهذا الموقف نفسه هو الذي سهل له الحصول على نوبل، لأن أصحاب نوبل ما كانوا يعطونها لأديب عربي يعادي السلام مع إسرائيل، وإلاّ أثاروا على أنفسهم ما لا تحمد عقباه. ولكن لا بد من الإشارة إلى أن الرجل لم يدبر موقفه ويرتبه حبا في نوبل، وإنما حبا في وطنه المغلوب على أمره، وليس خيانة كما صوره البعض.

نوبل وما بعدها

تلقيت خبر فوز محفوظ بنوبل - فور إذاعته - أثناء زيارة لجريدة عربية في لندن. وأسعدني الخبر مثلما أسعد غيري. وعندما عدت إلى داري في المساء فاجأتني زوجتي بأن تليفوني لم يكف عن الرنين منذ الصباح مع أنه اعتاد على الصمت أياما وراء أيام. وكان معظم أصحاب الرنين من طلاب الحاجات: هذا يريد مقالاً عن نجيب محفوظ، وتلك تريد مقابلة إذاعية عنه، وهذه - إحدى جاراتنا - تطلب رواية مترجمة له لقراءتها. ووجدت نفسي لمدة أسبوع على الأقل أتلقى تهاني الكثيرين، ومن بينهم حماتي التي تقيم في أمريكا وبعض الأصدقاء المقيمين بمدن أوربية أخرى، كأنني أنا الفائز بنوبل!

وفي أول زيارة للقاهرة - بعد نحو شهر - سعيت لأقدم تهاني للنوبلي الجديد. وذهبت ذات صباح باكر إلى مقهى علي بابا بميدان التحرير حيث اعتاد الجلوس في الصباح. ولكني وصلت بعد التاسعة والنصف، أي بعد موعد انصرافه الدقيق. ثم ذهبت إليه في «الأهرام» بعد يومين فوجدته مرهقا غائر العينين، ولكنه كان متماسكا، لم تخدش الجائزة تواضعه، ولا عكرت صفاءه، وإن كانت أمطرته بالكاميرات والميكروفونات والأسئلة من كل نوع. ورحت أتخيل محاولات الغزو الإعلامي لعالمه الخاص ورشاشات الأسئلة بكل اللغات المتاحة، وأتخيل مراوغاته ودبلوماسية إجاباته وملله من الإجابات المكررة. وتذكرت اثنين من أعضاء نادي نوبل قبله، وهما الأمريكي **وليم فوكنر** والإنجليزي **وليم جولدنج**. فقد امتنع الأول عن الرد على التليفون، وكان إذا سأله صحفي عن حياته أجابه باختصار: «ارجع إلى رواياتي ففيها ما يكفي»، واختفى الآخر عن الجميع حتى صار مقره سرا من الأسرار.

> ”نوبل“ لها بعدها السياسي ويتغيّر هواها بتغيّر المصالح

قال نجيب محفوظ إنه كان أكثر إرهاقا في الأسبوعين الأولين اللذين أعقبا انضمامه إلى النادي النوبلي. ولما رويت له ما فعله **فوكنر وجولدنج** قهقه وعلق تعليقا من الصعب أن يخطر لرجل أمريكي أو أوربي:

- هذا كلام لا ينفع في بلادنا. فأنا هنا لا أستطيع التهرب من الناس، ومن الواجب أن ألقاهم.

وفي هذا الكلام لخص نجيب محفوظ جانبا مهما من جوانب شخصيته وأدبه، وربما لخص أيضا جانبا مهما من جوانب شخصيتنا القومية، وهو الشعور بالواجب، والالتزام بالناس.

وتطرق بنا الحديث إلى سيرته.

من المعروف أنه لم يكتب سيرته الذاتية بالمعنى الذي طبقه **طه حسين وسلامة موسى وأحمد أمين**، مع أنه نشر بعض أحداثها وبعثرها في أربعة أعمال هي: الثلاثية، المرايا، صباح الورد، قشتمر. وفي هذا فعل مثل **العقاد وإليوت وداريل وفوكنر** وعشرات آخرين في الشرق والغرب. وكان **داريل** صاحب رباعية الإسكندرية الذي لم (يتنوبل) يرى أن الأديب الموهوب لا يحتاج إلى كتابة سيرته الذاتية لأنه ينشرها في كتبه بشكل أو بآخر. ويبدو أن محفوظًا من أتباع مذهب زميله الإنجليزي. ومع ذلك فكتابة السيرة الذاتية عمل أخلاقي بالدرجة الأولى، لأنها مواجهة للنفس. ومن الصعب أن يواجه الأديب صاحب التجربة الممتلئة نفسه في مرآة الزمن دون أن يخدش زجاجها الرقيق. فما بالنا إذا كان هذا الأديب نفسه أخلاقيا، ذا شعور بالواجب، حريصا على عدم المساس بالغير أو تجريحهم، مثل نجيب محفوظ؟ فإذا أضفنا إلى هذا اعتلال صحته وضعف ذاكرته فمن الصعب، إن لم يكن من المستحيل، أن نتوقع منه سيرة ذاتية بالمعنى الصحيح.

ولكن هناك حلا وسطا. وقد عرضته عليه فلم يمانع.

من الممكن أن يتطوع أحد لكتابة سيرته العامة لا الذاتية، وأن يساعده هو في أداء هذه المهمة الصعبة. وهذا ما رحب به، وأعلن إضافته إلى جبل واجباته وأعبائه.

وكتابة سيرة رجل مثل نجيب محفوظ تحتاج إلى قدر هائل من الصبر والمتابعة للتاريخ العام والشخصي، فضلاً عن المقدرة على فهم أعماله ووضعها في إطار المراحل المختلفة في حياته. بل تحتاج إلى موهبة قصصية تجعل السيرة - في النهاية - عملاً أدبيا راقيا، دون التضحية بمتطلبات العلم من الأمانة والدقة والتحليل وموضوعية الأحكام.

هذا بعض واجبنا نحو نجيب محفوظ. وبعضه الآخر يتمثل في تعليم الأجيال الطالعة بعض الدروس التي طرحها الرجل بشخصه وأدبه، وعلى رأسها التواضع والبساطة والدأب والإخلاص للكتابة. وهذه كلها من فضائل المهنة وأسرارها. وقد التزم بها أسد الرواية العربية. ونرجو أن تلتزم بها أسود المستقبل.

الأدب بين الأكاديميين ووسائل الإعلام

بقلم: د. عادل سلامة

ربما يتساءل عن الربط في عنوان هذا المقال بين الأدب في المجال الجامعي والأدب في وسائل الإعلام، فقد جرى العرف على النظر إلى المؤسسات الأكاديمية على أنها أبراج عاجية يقوم فيها الصفوة بالبحث عن الحقيقة المجردة الثابتة، بينما ينظر إلى وسائل الإعلام على أنها أدوات تخاطب العامة، ولا تهتم بالثقافة الرفيعة، وتركز على الأحداث اليومية العارضة.

الواقع أن العلاقة بين هذين المجالين - خصوصا فيما يتعلق بالأدب - أوثق مما يمكن تصوره لأول وهلة.

إذ إن الأساس في كلا الحالين هو عملية الاتصال التي تجري بين الأستاذ وجمهرة طلابه في الحقل الأكاديمي، وبين المُعلم والجمهور المشاهد أو القارئ من خلال أجهزة الإعلام.

وفي كلا الحالين أيضا تجري عملية تعليم وتعلم، أو إعلام وعلم، وهناك رسالة تتم من خلال عملية الاتصال هذه. بل إن الأمر له بعد آخر. فالأدب تخصص أكاديمي، ولا يقتصر الهدف من هذا التخصص على مجرد إعداد المؤهلين فيه ليصبحوا معلمين له في مراحل التعليم ما قبل الجامعي (وهو أمر يبدو أنه أكثر مناسبة للمتخصصين في اللغة لا في الأدب)، وإنما لابد أن يكون لهم هدف وظيفي يتخطى ذلك، مثلهم في ذلك مثل المهندسين أو الكيميائيين أو الزراعيين، الذين يؤهلهم تخصصهم الجامعي للعمل الوظيفي في حقول تخصصهم، وفي اعتقادي أن المجال الوظيفي للمتخصص الجامعي في الأدب لابد أن يكون بداهة في حقل الإعلام على اختلاف سبله وأنواعه.

السؤال المطروح هو أنه برغم بداهة العلاقة بين الأدب ووسائل الإعلام، فلماذا هذا الفصام القائم إذًا بين هذين المجالين؟

الإجابة عن هذا السؤال متعددة الجوانب. في التخصصات الأكاديمية الأخرى هناك علاقة عضوية بين ما يجري داخل الجامعات من إعداد، والحقل الوظيفي في تلك التخصصات. فدارس الكيمياء أو الهندسة أو ما إلى ذلك ترسم خطة دراسته بحيث يكتمل تكوينه الأكاديمي عند التخرج ليكون صالحا لممارسة تخصصه في الحياة العملية، فهل يجري إعداد للمتخصص في الأدب داخل أسوار الجامعة، كي يكون صالحا للمهمة التي تناط به عند خروجه إلى الحياة العملية؟

ولا يعترضَنَّ معترض بأن الأدب فن ولا ينبغي أن يخضع للمعايير التي تخضع لها سائر التخصصات العلمية الجامعية. إذ الواقع أن الأدب فن يتطلب الموهبة، ولكنه ككل الفنون له آلياته ومهاراته التي ينبغي إتقانها والدربة عليها ضمن خطة محكمة ليصبح صاحب الأدب مجازا لممارسة الفن وتطبيقاته.

وإذا كان من المستساغ أن يكون للفنون التشكيلية والمسرح أكاديميات متخصصة تجيز الفنانين في إطار خطط مدروسة كي يصبحوا مؤهلين لممارسة هذه الفنون في الحياة العامة، فإنه لا بد أن يكون من الطبيعي أن يعد المتخصص في الأدب خلال الدراسة الجامعية في إطار خطط مثيلة تؤهله لممارسة هذا الفن بعد تخرجه.

الأدب في خطط الدراسة

هل رسمت خطط الدراسة في أقسام الأدب بالجامعات بحيث تؤهل خريجيها للاشتغال بالأدب؟ الإجابة السريعة عن هذا السؤال سلبية. فلا تتضمن خطط الدراسة في أقسام الأدب بأي من الجامعات العربية أية مقررات تستهدف التدريب على الكتابة الأدبية الفنية، فضلا عن أن عدد الساعات الأسبوعية المقررة لدراسة الأدب محدود بالنسبة للمقررات الأخرى.

وحتى هذه الساعات لا تتجه نحو دراسة النصوص الأدبية وتحليلها، وإنما هي في الأغلب الأعم تتجه نحو دراسة «تاريخ الأدب». ولا تنكر أهمية دراسة التاريخ الأدبي باعتباره يمثل الحركة الديناميكية للأعمال الأدبية خلال العصور، ونشأة الأنواع الأدبية وتطورها، واستمرار التقليد الأدبي، وهمزة الوصل بين الأدب والتاريخ العام، وبذلك

من كتّاب العدد

● د. عادل سلامة

- من مواليد القاهرة ١٩٣٤م.
- دكتوراه في الأدب الإنجليزي من جامعة ليفربول بانجلترا عام ١٩٦٣.
- رئيس قسم اللغات الأجنبية، كلية التربية، جامعة عين شمس.

من مؤلفاته: الأدب الانجليزي المعاصر، دراسات وقضايا ١٩٨٤م، من المسرح المصرى القديم انتصار حورس والكويت ١٩٧٢م.
Shelley : Majon poems
University of Salzburg 1973
من ترجماته: نظرية الأدب لرينيه وأوستن وارن ١٩٩١م، مسرحية «شجرة التوت» لأنجس ويلسن ١٩٧٢م.



- عضو في اتحاد الكتاب وفي لجان علمية جامعية بمصر، وفي لجنة الموسوعة الأفريقية بهيئة اليونسكو بالقاهرة، واللجنة الاستشارية لمركز دراسة الآداب الناطقة بالإنجليزية بجامعة غراتس النمساوية.

فإنـه يتيـح المجـال للـربـط بين الأدب والقيم الاجتماعية والسياسية والفكرية . وإذا كانت دراسة تاريخ الأدب أمرًا لازمًا لدراسة الأدب بشكل عام، فإن ذلك يكون ألزم بالنسبة للأدب العربي للتأكيد على المنابع الإسلامية لهذا الأدب .

غير أنـه لا ينبغي أن ينفـرد «تـاريخ الأدب» بـالساحـة عنـد التخطيط لـدراسـة الأدب في جامعاتنا، ولا ينبغي أن يقتصر في تقديم النصوص الأدبية على دراستها من حيث تمثيلها للعصر الذي كتبت فيه . وهذا ما يبـدو لي أنه واقع الأمر الغالب في معظم أقسام الأدب في الجامعات العربية . فقد وضعت الخطط الـدراسيـة في هـذه الأقسـام من منظـور تـاريخي وربط فيها بين دراسـة النصـوص والعصـور التـاريخيـة المختلفـة، ولهذا فـلا تسنح الفرصـة لدراسـة النص الأدبي من حيث هـو كيان قائم بذاته، أو لدراسة الأنواع الأدبية أو الأساليب والفنون الأدبية باعتبارها فنا وليست تاريخا .

والنصوص الأدبيـة التي تقدم للتمثيل لسمات العصر غـالبا مـا تقدم مجزأة وليست كـاملة، وقـد كـانت هنـاك عنـايـة من قبل دور بـالنشر بإحيـاء التراث العربي ونشره في سلاسل معروفة مثل «ذخائر العرب»، وقد كان هذا النشر مواكبا لصحوة كانت قائمة تتجه للاهتمام بـالنصوص الأدبية الرئيسة من قبل الدراسين، ولكن هـذا الاهتمام ـ فيما يبدو لي ـ قـد فتر داخل الجامعـات بـوجـه عـام، ولم يعـد المتخصص في الأدب الآن مطـالبا بقراءة الـدواوين الشعرية لكبار الشعراء، أو الأعمال النثـرية الرئيسة للكتـاب العظام، كما كـان نظيره يطالب منـذ ربع قرن أو أكثر من الزمان . وربما كان السبب في ذلك هو خلـل في الأداء الجامعي يجعل الدارس مطـالبا بـالالتـزام بما يسمـى «الكتـاب» أو «المذكـرات» الجامعية التي يعـدها المدرس ليجد فيهـا غناء عن الذهاب إلى النصوص الأدبية ذاتها .

وليس الأمـر في هذا قـاصرا على دارسي الأدب العـربي، وإنما يستـوي في ذلك دارسـو الآداب الأجنبيـة في الجامعـات العـربيـة . اتجهت هـذه الأقسـام نحـو دراسـة الحضـارة التي ينتمي إليهـا الأجنبي المعني، ووضعت خطـة الدراسـة بما يتفق

○ لماذا لا يتهيأ المتخصص في الأدب للعمل الأدبي الميداني ؟

مع التطـور التـاريخي لهذه الحضـارة، ثم اختيرت النصوص الأدبية لتمثل لهذا التطور التاريخي . وفي كثير من الأحيـان ينتهي المطـاف مع نهايـة القـرن التاسع عشر دون الولوج إلى القرن العشرين، وربما اختفى الأدب المعاصر كلية من خـريطة الدراسة . وهنـا أيضا وقفت اللغـة الأجنبيـة حـائلا إضافيـا صرف الطـالب عن مطـالعـة النصـوص الأدبيـة الأصليـة، فـاكتفى بقـراءة ملخص للنص، أو تهذيب له في لغة أبسط، أو مذكرات تعقب عليه .

ولا تعنى هذه الأقسام بـالربط بين الآداب الأجنبية التي تدرس، والأدب العـربي (وهذه مشكلة مجالها في بحث آخر) .

التدريب على الإبداع الفني

لعل أهم نقيصـة يمكن أن تؤخـذ على خطط دراسـة الأدب في الجامعـات العـربيـة أنها لا تفتح مجالا للتدريب على الإبداع الفني . فلا تتضمن أي من هذه الخطط ـ بادئ ذي بـدء ـ مقـررا تـطبيقيا للتدريب على آليات الكتابة، ولا تتضمن أيضا أي مقرر للتدريب على الكتابة الفنية . والمتخصص في الأدب في حـاجـة إلى المعـرفـة النظـريـة والـدرايـة بالنصوص، ولكنه ـ كي يكون ذا فاعلية في مجتمعه وفي حيـاته العمليـة ـ ينبغي أن تتـاح له الممارسـة الفعلية والمران على الإبداع الأدبي .

نحن لا نقـول إن هـذا التـدريب العملي على الإنشاء سـوف يثمر كتّـابا عظـاما، أو عبقـريات مخلدة، كما أن تدريب دارسي الكيمياء أو الهندسة لا يضمن تخريج مكتشفين أو مخترعين، ولكن هذا التدريب الإنشائي سوف يهيئ منـاخا إيجابيا عاما وجمهـرة من الـدارسين لا تكـون عمليـة الابتكـار والإبـداع لـديهم عمليـة مستغـربـة، أو بعيـدة التحقيق، وإنما تصبح مكونا أساسيا من مكونات ثقافتهم الأدبية، ويمكنهم من الاشتراك في توسيع قاعـدة النشاط الأدبي في مجالات الإعـلام المختلفة ليحلوا محل المدعين والدخلاء الذين تنوء بهم تلك الأجهـزة الحيويـة . ومستويـات الإبداع والابتكـار الفني متعددة ومتفاوتة تبدأ من تحرير الخبر القصير وكتـابـة المقال، وتنتهـي إلى كتابـة الأعمال الأدبيـة الكبرى كـالمسرحيـة والـروايـة وربما الملحمـة . **وفي الغرب يبدأ التـدريب على الإبداع الفني في المراحل ما قبل الجامعية، لتنمية ملكات الشباب في مراحل مبكـرة من تكـوينهم**، وفي الجامعـات الأوربيـة والأمريكية يعد مقـرر الكتابة الإبداعي Creative writing مقررا أسـاسيا مستمـرا في أقسام الأدب، وينـدب لتدريسـه أصحاب الكفايات العـالية من المتخصصين . وهنـاك تقليد في العـديـد من تلك الجامعات باستضافة كاتب مرموق على مدار العام الجامعي ليكون على مقربة من الطلاب والأساتذة، وفق ما يسمى بنظـام «الكاتب المقيم» Writer-in-Residence ولا تكـون مهمتـه تـدريـس مقـرر بعينـه، وإنما ليلتفّ حـولـه الطـلاب في حلقـات خارج نطـاق الدرس، للإفادة من خبرتـه العملية في مجال الإبداع الفني .

هـذا التـدريب العملي على الإبداع لـه أهميـة قصوى في مـواجهة الازدواجيـة اللغويـة التي هي مظهر من مظاهر الفصام الثقافي الذي نعاني منه .

فنحن في أداء مجمل وظائفنا اليومية نتخذ اللغة العـاميـة أداة للتعبير في كثير من جـوانب حيـاتنـا الفكريـة، ولا نكاد نرى للعربيـة الفصحى وجودا حتى في الجانب الثقـافي من حيـاتنـا إلا فيما نـدر. وطغيان العـامية هذا لـه أثـره ـ لا شـك في ذلك ـ ليس في عجمة اللسان بل في عجمة الفكر أيضا .

ولهذا فإننا نرى أن التدريب على الإبداع سيؤدي إلى تضييق الفجـوة بين المستـويين اللغـويين العـامي والفصيح، ومن ثم في تضييق الفجوة بين المستوى المتـدني من الفكـر والفكـر النـاضج، ومع الـزمن ستتاح الفرصـة لظهور جيل طلق اللسان، واضح البيـان . ولا شك أن مثل هـذا سيمكنـه أن يسهم بشكل فعال في النشاط الأدبي خارج أسوار الجامعة

وعبر وسائل الإعلام .

وإذا استطردنا في الحديث عن التدريب على الإبداع، فلابد أن يأخذ هذا التدريب في اعتباره متغيرات العصر في وسائل النشر والتعبير، وهي متغيرات لها مقتضاها في صيغ الإبداع التي ينبغي أن يعد لها دارسو الأدب حتى تتوافر لهم الأدوات للتعامل معها . فالكتابة الفنية لا ينبغي أن تكون مقصورة على المطبوع والمقروء فحسب، بل ينبغي أن توجه نحو ما هو مذاع، وما هو معروض في التليفزيون أو السينما، ويقتضي هذا بالطبع معرفة مدروسة بآليات هذه الوسائل وما يلائمها من أسلوب فني في الكتابة .

انكماش الصحافة الأدبية

وينقلنا هذا إلى الحديث عن الأدب في وسائل الإعلام في شقيه : المقروء، والمسموع أو المشاهد .

لا ينكر ما كان للصحافة الأدبية من فضل في صحوة الأدب العربي مع مطالع هذا القرن وخلال العقود الأولى منه، وهي صحافة كان اللواء معقودا فيها لعمالقة الأدب أمثال طه حسين والعقاد والرافعي وزكي مبارك والمازني والزيات وأحمد أمين، وعلى أيدي بعض هؤلاء وتلامذتهم كانت صحوة الأدب في الجامعة في فجر حياتها .

ولكن إذا نظرنا إلى الصحافة الأدبية في مصر الآن، وجدنا أنها انكمشت من حيث عدد المجلات الأدبية، ومن حيث الانتشار وبالتالي من حيث الفاعلية، ويغلب على القائمين عليها صفة الهواية وليس صفة الاحتراف، بمعنى أنهم ليسوا متفرغين تماما لهذا النشاط الأدبي المهم، أو ربما لأن الإشراف على هذه المجلات يحتمه عليهم واجب وظيفي ضمن أعمال أخرى . أما الأركان الأدبية التي تظهر أسبوعيا في بعض الصحف الكبرى فيسودها طابع إخباري صرف مع تعقيبات مقتضبة من محرري الصفحة يغلب عليها الصفة الصحفية .

وبعض الصحف ألحقت بها كتّابا بشكل مستديم، لا تتضح الأسس التي تم بناءً عليها اختيارهم ليتصدروا صفحات الرأي والأدب لتفرض مقالاتهم على الرأي العام أسبوعيا . قد يفهم المرء وجود الأعمدة الصحفية التي يعلق فيها كتابها من الصحفيين المتمرسين على مجريات الحياة اليومية بوصفه جزءا من صميم العمل الصحفي . ولكن فرض مقال أدبي أسبوعي على مساحة كبيرة في صحيفة سيارة لبعض أوساط الكُتّاب فيه إهدار كبير فهو ــ فضلا عن أنه نوع من الاحتكار الذي يحجب أقلاما كبيرة مدربة عن الوصول إلى القارئ الذي هو في حاجة إليها ـ يضع هذا القارئ تحت تأثير مكثف لفكر منفرد ربما يكون ضالا ومضللا .

استعانة الصحف بأساتذة الجامعات

وربما يكون من الأوفق لهذه الصحف أن تفتح الساحة الأدبية على مصراعيها لتجتذب أفضل العناصر وأصدقها، وبخاصة أساتذة الجامعات المتخصصين في الأدب ليكون لهم دور رئيس في تغذية هذه الصفحات بالفكر الأدبي المتقدم .

وعلى كل الأحوال فإن ضيق الساحة المتاحة في الصحافة الأدبية الآن لا يسمح بنشر الإبداع الأدبي الخلاق، ومن ثم فقد تركز النشاط في هذه الصفحات على النقد الأدبي، وهو ما يدعونا إلى تأكيد الاستعانة بأساتذة الأدب الجامعيين في هذا المجال .

الارتقاء بالثقافة الجماهيرية

أما في مجال الإعلام المسموع والمرئي فإن الموقف الأدبي هنا يقتضي وقفة متأنية ؛ فهذان المجالان الإعلاميان باعتبار أنهما يقدمان مادتها في صيغة شفهية، فقد تخطيا حاجز الأمية ووصلا بهذه المادة إلى جماهير غفيرة العدد ممن لا تتاح لهم الثقافة المقروءة، ومن ثم فقد ارتبطت هاتان الوسيلتان الإعلاميتان بما يمكن أن يسمى «بثقافة العامة» أو «الثقافة الجماهيرية»ووضع هذا المستوى من الثقافة في مواجهة الثقافة الرفيعة .

○ الإذاعة والتلفاز بين خدمة ثقافة العامة والثقافة الأدبية الرفيعة

وشكل من أشكال هذا الضغط هو تشجيع المادة المقدمة باللغة العامية بزعم أنها أقرب إلى الواقعية والانصراف كلية عن اللغة الفصحى . وأهم من ذلك تدني مستوى الذوق والركاكة من حيث الموضوع والشكل بهدف استهواء الجماهير.

إن التلفزيون والإذاعة يقدمان أكثر من مجال للنشاط الأدبي . هناك أولا مجال نشر الأعمال الأدبية المكتوبة على نطاق أوسع لتصل إلى مستمعين يصل عددهم أضعاف أضعاف قراء العمل في صيغته المطبوعة، وهناك مجال إتاحة الفرصة للكتاب المعاصرين لتوجيه أعمالهم مباشرة من خلال الإذاعة والتلفزيون . وقد كان أحد أوجه القصور التي تؤخذ على الأعمال الأدبية التي تقدم للتلفزيون أنها لا تضمن الاستمرار، ولكن مع ظهور الفيديو أصبح من الممكن استبقاء هذه الأعمال واسترجاعها عند الحاجة، وأصبح لها ميزة الدوام مثلها في ذلك مثل الكتاب المطبوع .

ومما لا شك فيه أن وسائل الإعلام هذه كان لها أثر كبير في إعادة صياغة الأشكال الأدبية بشكل جوهري بما يتفق مع آليات هذه الوسائل، ولا يقتصر الأمر هنا على المسرحيات أو المسلسلات المستحدثة، بل يشمل أيضا إعادة تسجيل التراث الأدبي القديم وإخراجه بصورة أكثر حيوية تمكن الشاهد من استرجاعه ليس بوصفه أمرًا منقضيًا ولكن تقليدًا حيًّا . والشعر ــ بحكم كونه فنا من فنون القول الشفهي ـ له مكان رئيس في هاتين الوسيلتين الإعلاميتين .

نحن نرى أن على وسائل الإعلام أن ترقى بوظيفتها من خدمة «ثقافة العامة» إلى خدمة «الثقافة الأدبية الرفيعة»، ونرى أن هذا يمكن أن يتحقق إذا تم التواصل بينها وبين الأكاديميين في الجامعات .

وعلى أي الأحوال فإن الموقف الأدبي في الساحة الجامعية وفي مجال الإعلام يحتاج إلى وقفة يعاد فيها النظر في الأساليب التي يقدم بها الأدب لكي تتحقق له الوظيفة الأساسية لهذا الفن باعتباره تعبير الإنسانية عبر العصور وفي مختلف الآفاق في محاولتها للبقاء في مواجهة عوامل الاندثار والتحلل والنسبية .

دقة اللغة العربية في التذكير والتأنيث

بقلم: د. محمود الذوادي

أصبح مفهوم النسق System واسع الاستعمال في العصر الحديث في كل من العلوم التجريبية والبحتة من ناحية، والعلوم الإنسانية والاجتماعية من ناحية أخرى. ويمكن تعريف النسق بأنّه مجموعة من العناصر المترابطة فيما بينها والتي تكون في النهاية وَحْدَةً يغلب عليها التناسق والانسجام. فيمكن من هذا المنطلق اعتبار اللغة نسقًا، إذ هي تتكون من مجموعة من الكلمات من أهمها الأسماء والنعوت والأفعال والحروف وأدوات التعريف أو التنكير. وحتى تُصبح اللغة نِظامًا نسقيا كان لاَ بُدَّ من وجود قواعد نحو وصرف مثلا كي يقع ضبط عملية التنسيق بين عناصر النسق اللغوي. فاللغة تشبه إذن النسق المجتمعي، فهذا الأخير يتكون من أفراد وجماعات ومؤسسات مختلفة تتطلب وجود أعراف وقيم وقوانين تُساعد بالتأكيد على قيام نسقيته والمحافظة عليها.

التذكير والتأنيث في الأنساق اللغوية

إنّ القواعد التي تستعملها الأنساق اللغوية تشمل فيما تشمل قواعد التأنيث والتذكير. ونقتصر هنا على موازنة هذه القواعد بين كلٍّ من لغة الضاد واللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية. تمثل هذه اللغات الأربع ثلاثة مواقف من قضية التذكير والتأنيث لأسماء الكائنات الحيّة والجامدة على السواء.

(١) اللغة الإنجليزية لا تهتم على العموم بعمليتَي التأنيث والتذكير كما نجد ذلك في اللغات الثلاث الباقية. فمعجم لغة شكسبير لا يذكر التذكير ولا التأنيث أمام الأسماء. وبعبارة أخرى فاللغة الإنجليزية تلتزم الحياد بشأن تأنيث الأسماء أو تذكيرها.

(٢) أما في اللغتين العربية والفرنسية فأسماء الكائنات الحية والجامدة تكون إما مذكرة وإما مؤنثة. وبالتالي فهما تُقرَّانِ بظاهرة الازدواجية الذكرية الأنثوية في الكون.

(٣) وبالنسبة للغة الألمانية فموقفها من التذكير والتأنيث يجمع في الحقيقة بين الموقفين الأول والثاني السابقي الذكر. أي إن لغة جوته Goethe تؤنث وتذكر الأسماء من ناحية وتلازم موقف الحياد في بعضها من ناحية أخرى.

ويلخّص ذلك الجدولُ التالي بأكثر تفاصيل عملية التأنيث والتذكير في الأنساق اللغوية الأربعة.

دقة في التعريف بالجنسين

تُمثل الدقة التعبيرية إحدى الوظائف المهمة التي تؤديها عملية التأنيث والتذكير في الأنساق اللغوية. فكُلّما ازدادت مستويات التأنيث والتذكير في لغة ما ازدادت درجة دقة تعبيرها بخصوص مسألة التعريف بجنسي الذكر والأنثى. ويتبيّن من الجدول أن لغة الضاد ولغة شكسبير هما على شبه طرفيْ نقيض بالنسبة للتأنيث والتذكير. فالإنجليزية لا نكاد نعثر فيها على ظاهرة التذكير والتأنيث، بينما تشمل **عملية التأنيث والتذكير في اللغة العربية كلَّ المستويات تقريبا**. ومن هذا المنطلق فاللسان الإنجليزي هو بالتأكيد أقل دقة في التعريف بالجنسين من اللغتين العربية والفرنسية كما يوضح الجدول ذلك. فعلى سبيل المثال، إن ضمير الجمع بالإنجليزية في حالة الغائب (They) يُستعمل للإناث والذكور مثله مثل ضمير الجمع (Sie) في اللغة الألمانية.

فالمستمع الذي تباغته جُملةٌ بالإنجليزية أو الألمانية تبدأ بأحد هذين الضميرين لا يمكنه معرفة جنس أفراد المجموعة المشار إليهم والمتكونين من ذكور أو إناث فقط، في حين تسمح لغة الضاد في حالة الجمع بتعرُّف جنس المجموعة بدقة؛ وذلك لوجود ضميريْ جمع للمؤنث (هُنَّ) والمذكر (هُمْ). وبعبارة أُخرى، فإن شمولية عملية التأنيث والتذكير تُعطي النسق اللغوي قدرة أكبر على مَدِّ المستمع بمعلومات أكثر حول جنس الآخر المتحدَّثِ عنه أو المخاطَب. ففي المثال التالي تُعطي اللغة العربية للمستمع معلومات أكثر وأدق عن جنس المخاطب (مفردا وجمعا) من كل من الإنجليزية والفرنسية والألمانية، فحضورنا لمكالمة هاتفية بين شخصيْن نعرف فيها بسهولة جنس المتحدّث أمامنا ولكننا لا نعرف جنس المخاطب على الطرف الآخر لأننا لا نراه. ولكن هذا صحيح إذا كانت المكالمة الهاتفية بين فردين يتحدثان بالإنجليزية أو بالفرنسية أو الألمانية أو بخليط من هذه اللغات. والأمر يُصبح مختلفا تماما لو أن المكالمة الهاتفية كانت بالعربية الفصحى. في هذه الحالة يتعرف المستمع بكل سهولة على جنس المخاطب في الطرف الآخر الذي قد يكون على مسافة شاسعة تبلغ آلاف الأميال. أي إن الناطقين بلغة الضاد لا يحتاجون رؤية الآخر المخاطب للتعرف على جنسه الذكوري أو الأنثوي. وبعبارة أخرى فإن **اللغة العربية تكتفي بعملية السماع** لمعرفة جنس المخاطب الخفي كما هو الحال في المكالمة الهاتفية المشار إليها أعلاه.

هذا التميّز للغة العربية في التأنيث والتذكير يجعلها **أكثر اللغات تأهلا، في عصر الاتصالات السمعية** المكثفة بين الأفراد عبر القارات، **للتعرف على جنس المخاطب** برغم المسافات الشاسعة الفاصلة بين المتحدثين. وفي ذلك رصيد معلوماتي للمستمع الناطق بالعربية لا يتوافر لنظيره في اللغات الثلاث الحديثة الأخرى. ولا يخفى على المرء الدور الإيجابي الذي تؤديه **وفرة المعلومات** عند بني البشر بخصوص تعاملهم مع محيطهم الصغير والكبير بكل مكوّناتها.

اللغة	تأنيث/ تذكير الأسماء	تأنيث/ تذكير النعوت	تأنيث/ تذكير الأفعال	تأنيث/ تذكير ضمائر المخاطب والغائب	تأنيث/ تذكير ضمائر الملكية
العربية	أسماء الكائنات الحية والأشياء الجامدة تكون إما مذكرة أو مؤنثة.	النعوت تتبع منعوتها (أسماء الكائنات الحية والأشياء الجامدة) أي إنها تكون مؤنثة أو مذكرة.	تؤنث وتذكر الأفعال وفقا لجنس الفاعل، المبتدأ... إلخ.	١ - ضمير المتكلم: أنا ونحن يُستعملان من طرف الجنسين الذكر والأنثى. ٢ - ضمائر المخاطب تؤنث وتذكر في المفرد والجمع: أنتَ، أنتِ، أنتُمْ، أنتُنَّ. ٣ - تذكر وتؤنث ضمائر الغائب في المفرد والجمع: هُوَ، هِيَ هُمْ، هُنَّ.	١ - تُحدّد ضمائر الملكية جنسَ المالك (ذكرًا أو أنثى) باستثناء ضمائر الملكية التالية: ي (كتابِي) نَا (كتابنَا) كُمَا (كتابكما) هُمَا (كتابهمَا). ٢ - ضمائر الملكية التالية تُحدد كلها جنس المالك (ة): كَ (كتابكَ)، كِ (كتابكِ)، كُمْ (كتابكُمْ)، كُنَّ (كتابكُنَّ)، هُـ (كتابهُ)، هَا (كتابهَا)، هُمْ (كتابهُمْ)، هُنَّ (كتابهُنَّ).
الفرنسية	تذكير أسماء الكائنات الحية والأشياء وتأنيثها يتماثلان تماما مع النمط المشار إليه في العربية أعلاه.	مثلما هو الأمر في العربية أعلاه	لا تذكر ولا تؤنث الأفعال، بل هي تبقى محايدة.	عملية التأنيث والتذكير تشمل ضمائر الغائب في المفرد والجمع فقط: il (هو)، elle (هي)، ils (هم)، elles (هن).	إن ضمائر الملكية لا تُعَرِّفُ هنا جنس المالك(ة) وإنما تُعرِّفُ جنس المملوك مثلما يوضح المثال: **son chat** والذي يعني قطه أو قطتها.
الألمانية	أسماء الكائنات الحية والأشياء تكون إما مؤنثة وإما مذكرة وإما محايدة.	النعوت تتبع منعوتها أي إنها تكون مؤنثة أو مذكرة أو محايدة.	الأفعال محايدة.	عملية التأنيث والتذكير تشمل ضمير الغائب المفرد فقط: er (هو) و sie (هي)	إن ضمائر الملكية لا تُعرِّفُ جنس المالك (ة) وإنما تعرف جنس المملوك كما يبين المثال: **Seine Idee** والذي يعني فكرته أو فكرتها.
الإنجليزية	أسماء الكائنات الحية والأشياء تتصف بالحياد.	النعوت تتبع منعوتها أي إنها تحافظ على صفة الحياد.	الأفعال محايدة.	عملية التأنيث والتذكير تشمل ضمير الغائب المفرد فقط كما هو الأمر في اللغة الألمانية أعلاه: he (هو) she (هي).	إن ضميريْ الملكية للغائب المفرد هما الوحيدان اللذان يُعرِّفَانِ جنس المالك (ة): his (هـ) وher (ها): **his book** (كتابه) و**her book** (كتابها).

قراءة في أفكار باحث:

النظرية الروحية

بين إمكانات التراث ومعطيات العصر

بقلم: د. عبد الحليم عويس



هذا تعريف بنظرية، من حق صاحبها ألا نترك أزهاره تذبل في صحراء الإهمال والنسيان التي تجتاح حياتنا المعاصرة. نحن لا نطرحها مؤمنين تماما بها، مع أننا نعترف بأننا معجبون بالكثير من جوانبها، ومعجبون أكثر بجدّية صاحبها وجهاده ومثابرته في عصر السطحية العربية والعفوية الفكرية الشائعة، ولكننا نطرحها لكي يناقشها المختصون والمهتمون، ولكي نعطيها حقها من البروز، وعليها ـ بمقوماتها الذاتية ـ أن تثبت أهليتها للحياة والبقاء والعطاء.

هذا موضوع جديد غريب.

وهو في الوقت نفسه موضوع قديم يعيش في وعي الإنسان منذ أصبح له وعي، ومنذ نفخ الله فيه من روحه وجعله مكونا من روح ومادة!

لقد لهث الإنسان كثيرا وراء المادة، وقد تحكّم في كثير من جوانبها وسخرّها لأغراضه الدنيوية وقلّما سخرّها لخدمة الروح والفكر والعقيدة والبحث عن الحق والخير والسلام، لكنه قلّما يفكر في الروح.

وبعض الناس ـ خصوصا من المسلمين ـ يرون أن البحث في الروح محاولة فاشلة لإسقاط مناهج مادية على كائن غير مادي، أو بتعبير آخر: منهج فيزيقي لموضوع ميتافيزيقي!

ولربما ردّد بعضهم قوله تعالى ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر رَبِّي ﴾ الإسراء ٨٥، للدلالة على النهي عن الوقوف الطويل عند دراسة الروح على أساس أن كلمة الأمر في الآية بمعنى (الاختصاص) فكأنّ الآية تقول لنا إن الروح من اختصاص ربي وليست من شأنكم!

لكن المؤلف يردّ على هذا التفسير الشائع ويرى أن كلمة (الأمر) لم ترد في القرآن مطلقا بمعنى الاختصاص أو الشأن، وبالتالي فليس في الآية دليل ولا حجة على منع البحث في الروح، وهو ـ في سبيل توضيح أفكاره ـ يجمع كل الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة (أمر) ويتتبع معانيها المختلفة ليصل إلى تأكيد رأيه!

وحسنا فعل الباحث حين سمى دراسته التي تقترب من سبعمائة صفحة من القطع الكبير «نظرية» ومع ذلك فهو لم يبخل على نظريته بأية معاونة بحثية من الروافد العلمية النظرية والتطبيقية، فبإضافة إلى أنه «طبيب» فقد استعان بأساتذة فيزيائيين، وسيكولوجيين، وعلماء دين.

إن النظرية الروحية تثبت وجود شيء له كيان ومعالم وقسمات، اسمه الروح، وتثبت أنّ هذا الشيء ليس في داخلنا، بل هو موجّه إلى داخلنا كما تتوجه إلى عيوننا إشعاعات الشمس وإلى أنوفنا نسمات الهواء، إنها ـ حقا ـ من الخارج، لكننا من غيرها لا نرى، ولا نتنفّس.

ويرى الباحث أنه كما أمكن لنا أن نثبت أن أبصارنا لا تبصر بقوتها الداخلية فحسب، بل بالتعاكس مع أشعة ضوئية خارجية، كذلك فإن قابليتنا للحياة تتفاعل مع إشعاع روحيّ خارجيّ تستمدّ منه وجودها، وحين يفقد فعاليته يتوفى، ثم يعود للحياة عندما تعود إليه الفعالية ﴿ الله يَتَوَفَّى الأنفُسَ حين موتها والتي لم تَمُتْ في مَنَامِهَا، فيمسك التي قَضَى عَلَيها الموتَ وَيُرسِلُ الأخرى إلى أجلٍ مُسَمًّى ﴾ الزمر ٤٢.

هكذا فهمت من خلال دراسته العلمية المعقدة.

والباحث لا يخشى أن يدخل إلى أعمق القضايا التي درج الناس على الظن بأنها بعيدة عن مجال البحث، وأن الخوض فيها لن يؤدي إلى نتيجة.

ونحن نحاول أن نستشف الإجابات التي وضعها المؤلف لأهم الجوانب المتصلة بتلك القضية القديمة الجديدة الخالدة. قضية ذلك الكائن الذي نؤمن ـ يقينا ـ بوجوده ؛ لأنه نحنُ ، لكننا لا نملك تصورا محددا له، ولا لطبيعة عمله فينا، ولا لنوع تفاعله مع هذا المبنى الذي نسكنه : الجسد ! وفي البداية يأتي السؤال التقليدي الصعب :

ـ إذا كنا نؤمن بأن هناك شيئا حقيقيا موجودا اسمه الروح، فما هذا الشيء ؟ هل هو حقيقة مادية، أو على الأقل حقيقة أثيرية لها صفات ومعالم محددة، أم هو موجود ذو صفة غير محددة أو فوق عقولنا ؟

يقول صاحب النظرية الطبيب الدكتور **راتب السمان** (سوري الجنسية ويعيش في جدة) :

الروح كائن حقيقي، شيء يمكن إدراكه وتصور شكله وبنيته ومكانه ووظيفته وعمله، وإنما تتألف من مادة خاصة لها ـ على الأغلب ـ نفس الأصل الذي للمادة والطاقة والتي يتألف منها جسمنا والأشياء العادية الأخرى من حولنا، من نبات وحيوان وأرض وكواكب، وإن البنيات الأصلية المركبة لها، هي أيضا شحنات كهربائية وقوى تحريكية، كما في المادة والطاقة المعروفتين، ولكن هذا التجمع يتم بطريقة مختلفة، تجعلها تتّصف بصفات خاصة هي :

ـ أنها ليس لها وزن بالمقاييس العادية .

ـ وأنها ليس لها شحنة كهربائية خارجية يمكن قياسها بالمقاييس العادية .

ـ وأنها تجمع كمية كبيرة من المادة والطاقة، هائلة من حيث الكمية، في حجوم لا متناهية في الصغر.

ـ ولها ثبات عظيم في بنيتها الهيكلية، ولها مرونة ونشاط في قسم التلقي والإصدار.

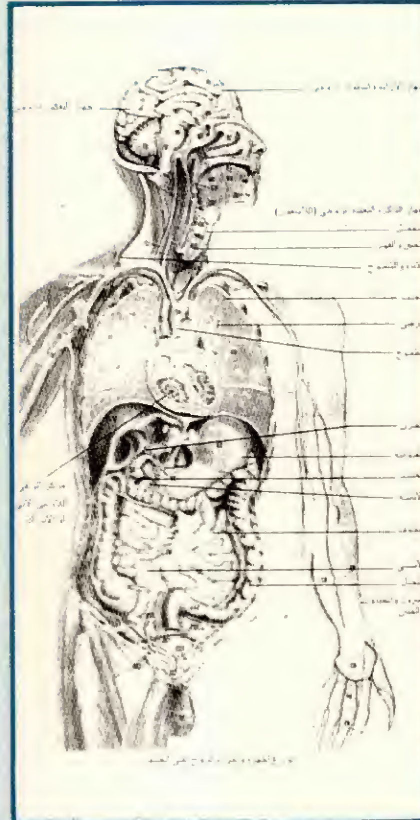
لكن ما شكل الروح ؟ وما بنيتها ؟ وما أجزاؤها ؟

يقول السمان في دراسته التي استمر سنوات في إنجازها :

إن بناء الروح هو من النوع المرن، القابل للتشكيل، كما يمكن أن نتصور ذلك ـ مثلا ـ من إمكان تشكيل المعجون أو الصلصال أو اللدائن الطرية أو العجين، وإن لها استمرارية، فلا يقطعها مرور أو احتجاز أشياء مادية بين أجزائها، حيث إن أجزاءها يتصل بعضها ببعض، برغم دخول حاجز مادي بين هذه الأجزاء، ويمكن تصور ذلك، من مقارنتها باتصال أمواج الراديو أو اللاسلكي مثلا، حيث إن تيار الأمواج هذا يبقى مستمرا متصلا، برغم وقوف جدار مادي، أو بناء، أو مرور سيارة في خط سير هذا الشعاع؛ ولذلك فإن قطع أو بتر عضو من أعضاء الجسد الذي تسكنه الروح، لا يقطع ولا يبتر أجزاء الروح التي تسكنه، ولا يبعدها بعضها عن بعض، ولا يفرق بين هذه الأجزاء.

"

الروح كيان له معالمه وقسماته وموجه إلى داخل الإنسان



وإن الهيكل الأساسي للروح يشبه شكل الشجرة ؛ فهو مؤلف من جذع رئيس، ومن تفرعات سفلية تشبه الجذور، ومن تفرعات علوية تشبه الفروع، وإن هذا الجذع، وهذه الفروع تسكن ضمن جسم الإنسان، في أمكنة محددة، إن الجذع الأساسي للروح، يمتد من عَجْبِ الذَّنَب، أو عَظْم العصعص، حتى جِذع الدماغ، في أسفل المخ، أي على مسير العمود الفقري.

وإن له انتفاخا في وسطه يمتد إلى جوف القلب، وإن الفروع السفلى (الجذور) تنتشر في الأجزاء المجوفة من أعضاء الجسم، فتبطنها، مثل بطانة الكم أو الثوب، فهي تبطن الجهاز الهضمي، والجهاز التنفسي، والجهاز الدوراني، والجهاز البولي التناسلي، والجهاز العضلي الهيكلي، وإن الفروع العليا (الأغصان) تغلف الأعضاء التي تنتشر حولها، فهي تغلف الدماغ، وأعضاء الحس، وعضلات الوجه، وقد تكون منتشرة أيضًا في أجواف الرأس والدماغ.

بنية تفصيلية

وعن البنية التفصيلية للروح ـ كما يراها صاحب النظرية الدكتور راتب السمان ـ يقول إن الروح تتألف من خمسة أجهزة هي :

جهاز الإدراك : وهو يتمركز في جزء الروح الذي سمّيْناه الجذع أو الساق، وعلى الضبط في منتصفه، في المنطقة المنتجة (المنفوخة) منه، وهو لذلك يسكن في داخل القلب العضوي، ولكن برغم ذلك لا يؤلف جزءا منه، وإن بتر أو نقل هذا



النظرية الروحية

القلب العضوي لا يؤثر في بنية جهاز الإدراك العام الروحي مطلقا.

ومهمة هذا الجهاز هي الإدراك: أي فهم معنى المدركات المختلفة من صور بصرية، أو أصوات، أو إحساسات جلدية، أو طعوم، أو آلام بطنية، وفهم معنى الكلام، ومعنى الأشياء، وفهم الأفكار.

أما جهاز الإدراك، فهو يستقبل هذه المعلومات، ويحتفظ بها لديه لمدة معينة تستمر ثواني قليلة حتى ١٥ دقيقة كحد أقصى، وخلال هذه المدة يقارن هذه المعلومات، ومعلومات أخرى قديمة، مخزونة في جزء آخر من الروح. هو جهاز الذاكرة.

وتخضع المعلومات المتجمعة ــ الجديدة والقديمة المتذكرة، والمتعلقة بالموضوع ــ تخضع جميعها لنشاط جهاز آخر في الروح هو جهاز التفكير، والذي يرتبها ويشكلها ضمن فكرة أو مفهوم مرتب جديد هو الإدراك.

جهاز الذاكرة: وهو يقع في أجزاء الروح السفلى التي سميناها التفرعات السفلى أو الجذور، وهي تنتشر في (أو تبطّن) جميع الأعضاء والأجهزة التي تشغلها هذه الجذور الروحية، فهي تبطن الجهاز الهضمي، والجهاز البولي التناسلي، والجهاز الحركي، والجهاز التنفسي، وكذلك تبطّن الأوردة والشرايين.

إن هذه الذاكرة هي مستودع ضخم يتم حفظ المعلومات القديمة فيه، وإن كل ما مر على الإنسان في السابق يختزن في هذا الجهاز.

وهناك نوعان من الاختزان:

* نوع ثابت جامد كالطبعة أو القالب، وهو يؤلف الهيكل الأساسي لهذا الجهاز.

* وهناك نوع آخر من الاختزان هو الاختزان القابل للتعديل، وفيه تتجمع الذكريات القديمة بشكل متقلقل ومتحرك.

جهاز التفكير: والروح مؤلفة من جهاز ثالث هو جهاز التفكير. وهو يسكن في الروح، في الأغصان العليا للروح، حول الدماغ، وبالضبط حول الفصّين الصدغيين، وهوَ هنا لا يؤلف جزءا منهما.

ومهمة هذا الجهاز إجراء عمليات فرز المعلومات وتصنيفها، وترتيبها، وتبقى المعلومات في أثناء ذلك مسجلة في جهاز الإدراك، ولا تخرج منه، ويتم التعامل مع المعلومات المهمة، في الإدراك الواعي، أي تكون العمليات التفكيرية واضحة وحاضرة، وهو ما يسمى الوعي، أما المعلومات الأقل أهمية فيتم التعامل معها بوضوح أقل ــ من حيث وضوح الإدراك ــ ويسمى تحت الوعي، أو اللاوعي أو اللاشعور.

إن مهمة جهاز التفكير هي رسم خطة أو استجابة تتناسب مع الموقف المدرك، بحيث يقرر الإنسان هل يجب أن يأكل ما يراه؟ وهل يؤكل؟ هل يتحرك؟ هل يتكلم؟ ما الفكرة التي يجب أن يعبر عنها؟ وهكذا.

وهناك في الروح جهاز رابع هو جهاز المتْعة:

وهو يقرر هل هذا الحل أو الفكرة ممتعة ولذيذة، أم هي مؤلمة وكريهة؟ ويعتمد قراراه على خلْفية قديمة متعلمة عن القبح والجمال، وعن اللذة والألم، ويعتمد أيضا على خلفية من المتع، والتي سميتها المتع الروحية، وهي حب البقاء، والسيطرة، والتملك، والتجبر، والإحسان، والتمنن، والانتقام... إلخ.

وهناك جهاز آخر في الروح هو جهاز السلوك:

وهو يوجد في الأغصان العليا، حول مقدمة الدماغ أو الفص الجبهي، ومهمته هي رسم برنامج تفصيلي للأمر السلوكيّ، الذي تَشَارك برسمه التفكير والمتعة، فهو يحدد تفاصيل الحركة السلوكية.

ولذلك فهو يشكل البرامج وفق ثلاثة برامج (أو مركبات) فرعية، ولكنها مترابطة:

- برنامج لحركات الكلام.
- برنامج لحركات العضلات في اليدين والرجلين.
- برنامج لحركات الانفعال، من تقطيب للحاجبين، أو خفقان القلب... إلخ. وتركيب البرنامج، ليس إلا إعادة ترتيب الأمر القادم، من جهاز التفكير والمتعة.

وظائف نفسية

إننا لا نعتقد سهولة بسط نظرية في هذا المستوى من التركيب، لكننا مع ذلك نستمر مع النظرية وصاحبها إلى آخر شوط نستطيع من خلاله أن نصل إلى المفيد والجديد في هذا الجهد، وبالتالي فالجديد الذي جاءت به هذه الدراسة أن صاحبها يرى أنها - أي نظريته الروحية كما يسميها - قد بينت، ولأول مرة، وبطريقة علمية مباشرة، أن الوظائف النفسية للإنسان ــ من إدراك وتفكير ومتعة وتعلم وذاكرة، وسلوك لغويّ وحركيّ وانفعالي وظائف لا يقوم بها الدماغ كما يعتقد حتى الآن، وكما هو مقبول حاليا في كل أنحاء العالم، فالوظائف النفسية هذه، يقوم بها كيان مستقبل عن الدماغ، ألا وهو الروح، وهي لا تؤلف جزءا من الدماغ، ولا تنجم عن نشاط الخلايا الدماغية، بل هي كيان مستقل تماما.

ووضعت هذه النظرية لأول مرة تصورا واقعيا لبنية الروح وتركيبها وأجزائها، وتصورا واقعيا لمادة الروح وكنهها، وتصورا واقعيا لمكان سكن الروح في الجسم، وتصورا علميا دقيقا لآلية انتقال المعلومات من الدماغ إلى الروح، وآلية انتقال الأوامر من الروح إلى الدماغ، وتصورا علميا واقعيا للأمراض الجسمية النفسية، كما وضعت تصورا شموليا متكاملا لعمل الدماغ وارتباطه بالروح، حيث بينت طريقة حصول الإدراك عبر انتقال المعلومات إلى الروح، وبينت تفاصيل دقيقة عن الذاكرة القريبة، وارتباط عمل الدماغ والروح

لحصولها، وبينت أن مخزن الذكريات هو في الروح ـ وليس في الدماغ كما هو معتقد حتى الآن ـ ووضعت التصور الدقيق لآلية حفظ المعلومات فيها، وآلية استرجاع المعلومات منها، ودور الدماغ وتركيباته المختلفة في ذلك.

أيضا بينت تفاصيل العمليات التفكيرية وفق فهم عصريّ، يستفيد من علم الكومبيوتر ومعالجة المعلومات، وبينت تسلسل العمليات التفكيرية لاتخاذ القرار التفكيري، وبينت ولأول مرة أن العمليات التفكيرية تتم في الروح، لا في الدماغ كما هو معتقد حتى الآن، وبينت تصورا لجهاز نفسي جديد، هو جهاز المتعة، ووضعت تصورا لعملياته ومنطقه الخاص، وبينت طريقة عمله، كما بينت أن السلوك بكامل تفاصيله يرسم ويقرر خارج الدماغ - أي في الروح ـ وأن مهمة الدماغ هي تنفيذ الأوامر الروحية فقط، بالكلام والحركة والانفعال، وفسرت أن الأمراض النفسية ليست إطلاقا أمراضا في الدماغ والجملة العصبية، وأنها فقط أمراض في الكيان المستقل عن الدماغ، أي الروح. وبالتالي فالمعالجات العصبية بالأدوية النفسية ليس لها أيّ تأثير أبدًا في الأمراض النفسية كما هو معتقد حتى الآن.

وبذلك تقلب الأمور رأسا على عقب في هذه النقطة.

وبينت النظرية أن الأدوية النفسية هي إما أدوية تشل أو تمنع تنفيذ الانفعالات القادمة من الروح، أو أنها أدوية تشوش نقل المعلومات المرسلة إلى الروح عن تنفيذ الانفعالات، فيشعر الشخص بالسعادة أو الهدوء، ولكنه شعور مؤقت، لا يؤثر في المرض النفسي إطلاقا.

وقد بينت النظرية لذلك ولأول مرة أن الأمراض العصبية إما أن تكون أثرا لتعطل في الطريق الحامل للمعلومات إلى الروح، أو نتيجة خلل في طريق تنفيذ الأوامر الروحية. ولذلك فإنه من الممكن نظريا دوما شفاء كامل الأمراض العصبية.

الأمراض العصبية نتيجة تعطل الطريق الحامل للمعلومات أو خلل في تنفيذ أوامر هذا الكيان

"

أهم جوانب النظرية

وإن أهم نقطة على الإطلاق في هذه النظرية بينت بشكل علمي مفصل أن الكيان المستقل، أو الروح، الذي يحكم الجسد ويسيره، لا يتخرّب ولا يتعطل ولا يفنى بخراب الجسد والدماغ، وأنه ينسحب عن العضو التالف أو الميت، وأنه يعود فينتشر في العضو المزروع أو المنقول، وأنه بذلك يتم إثبات البقاء لهذا الكيان المستقل، بعد الموت بطريقة علمية، وأنه بذلك يتم فهم كيفية حدوث البعث يوم القيامة، بانتشار الروح مرة أخرى في الجسد الذي ينبت من عَجبِ الذنب، والذي يبقى من الإنسان إلى يوم القيامة، ومصداق ذلك الحديث رقم ٢٠٦٦ من مختصر الإمام مسلم ـ صفحة ٥٤٩ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوما؟ قال أبيت، قالوا: أربعون شهرا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قال: «ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل» قال: «ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظما واحدا، هو عَجْب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة».

وبهذا يصبح البعث والخلود والدار الآخرة أسهل تصورا وأقرب مثالا، عقلا، بعد أن كان ذلك نقلا فقط.

وقد بقيت في نفوسنا وعقولنا ـ بعد هذا العرض الموضوعي الفسيح ـ أسئلة أخرى هي أقرب إلى أن تكون شخصية أو ذاتية توجهنا بها مباشرة إلى الدكتور راتب السمان. فشرح سر اهتمامه بقضية الروح موضحا أن البداية كانت حين درس الفلسفة المادية الديالكتيكية، وهي الفلسفة التى قام عليها النظام الشيوعي، وذلك في أيام الدراسة الثانوية، وقد اتضح له في وقتها أن الطريق الصحيح لنسف هذه الفلسفة من جذورها ليس الجدل الفلسفيّ، وإنما إثبات وجود الروح، وبيان ماهيتها وتركيبها . . . إلخ، وذلك بطريق علمي حقيقي ومباشر، حيث إن الإثبات سيعني إثبات الوجهة الدينية عن البقاء بعد الموت والبعث والحساب والدار الآخرة وذلك بشكل تلقائي، وبذلك نوقف المد الماركسيّ الملحد مرة واحدة وإلى الأبد. ولكن شاءت إرادة الله عز وجل أن يكون ظهور النظرية الروحيةـ كما سماها ـ بعد انهيار الشيوعية بوصفها نظاما اقتصاديا فاشلا، وهو يرجو أن تكون هذه النظرية العامل الحاسم في دفن الفلسفة المادية الديالكتيكية، إلى جانب النظام الاقتصادي الشيوعي، مرة واحدة وإلى الأبد، حيث لا يزال معظم العلم الغربي يتبنى هذه المادية حتى الآن، برغم انهيار الاقتصاد الشيوعي.

في استقبال رمضان

رحلة الأشواق

شعر: يس الفيل

عامٌ ونحن على الأشواق ننتظرُ … لا السمعُ أدركَ ما نرجو، ولا البصرُ
ولا الأماني في تجوالها نعمتْ … برحلةٍ، لم يشوِّهْ حسنها كدرُ
ولا الصفاءُ بنا عادت محافلهُ … تجتاح دنيَا بها الأحقاد تستعرُ
ولا أَمِنَّا بليلٍ والمدى خطرُ … ولا طَربنَا وبَوْحُ الملتقى ضجرُ
كلُّ المحطات لم تهمسْ لموكبنا … بما يخبّئه في الرحلة السفرُ
عامٌ ترحّلت عنا والضياع بنا … يخضلُّ تيهًا وأمنُ الأرض ينحدرُ
واليومَ ترجعُ يا شهرَ الصيام لنا … وفي مداك زروعُ الحب تزدهرُ
تُرَى أنشرقُ ودِيانا وأفئدة ؟ … أم أننا لم نزل في حبنا بشر ؟

• • •

عامٌ ترحلت عنا والمدى نِقَمٌ … من حولنا ودروعُ الحب تنكسرُ
أعداؤنا نحنُ يا أبناء جلدتنا … الخزي من حولنا والعارُ ينتشرُ
ليت السهام التي نزهو بها أبدًا … في النائباتِ، بأمر الله تأتمرُ
لكنها في سراييفو مناورة … بها صباح غدٍ في الليل ينتحرُ
عتادُنا بيد الشيطان كيف له … أن يسترد وجودًا بات ينشطرُ ؟
القدسُ تبكي فمن للقدس يا وطنا … لم يبق فيه لها قوسٌ ولا وترٌ ؟
والمسلمون جياعٌ في معاقلهم … فكيف يُدرأ عنهم ذلك الخطرُ ؟
ياليت من ضلَّ يا شهر الصيام خَطَا … يستوعب الدرسَ إن لم عنه يعتذر

• • •

شهر الصيام وأنت الآن تحملُنا … إلى مدًى لم تعكر صفوه غيرُ
وَحِّدْ قلوبًا أضل الحقد منطقها … وامنحْ هداكَ لمن للحب ينتصرُ
وعد إلينا بحق الحب منطلقًا … لله، إنا لعفو الله ننتظرُ
أنت الذي تشرقُ الدنيا بمقدمه … وأنت مَن بِهُدَى الإنسان يفتخرُ

• • •

صداع العقول

الأسماء تُعَلَّل!



أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

قال ابن عمر أبو عبد الرحمن فتح الله عليه: الأفكار مخاض عقول، وصداع رؤوس، ولهذا العناء آثرت العَنْوَنَة بصداع العقول تجوزاً في التعبير على أسلوب لغة العرب في التجوز. وكان رئيس كتبة مجلة الفيصل الدكتور زيد بن عبد المحسن الحسين طلب أن تكون مشاركتي فكرية، وتكون موجزة!

قال أبو عبد الرحمن: نفسي تنقبض من الإلزام المسبق والقيود، ولكن لما كان الاقتراح فكريًا كان القيد حريريًا.

وفذلكة هذا الشهر مُسيئلة فكرية منبعها المنطق ومصبها النحو، وتلك قول أرسطو معرِّفًا اللفظ المفرد غير المركب: اللفظ الذي لا يدل جزء منه على شيء أصلاً كلفظ الإنسان لا تأخذ جزءًا من لفظه كالهمزة والنون لتدل به على موجود خلال استعمالك اللفظ جملة.

وذلك بخلاف اللفظ المركب مثل «رامي حجارة» فمدلول رامي غير مدلول حجارة، ولكل من اللفظين مدلول.

وشُرَّاح المنطق حريصون على تنقيح أي تعريف، ليجمع ويمنع بالاحترازات والقيود، فيوردون على كل تعريف اعتراضًا ويحترزون له إن كان واردًا، ويردونه وينقضونه إن كان غير وارد.

وقد اعترض على تعريف أرسطو باسم «عبد الله» فاللفظان دلالة على ذات بشرية، فهو لفظ مفرد حكمًا، وهو يدل بتركيبه على معنَيَيْ العبودية والألوهية.

فأجابوا بأن اللفظ مفردًا أو مركبًا تتحدد صفته من مدلوله في مراد المتكلم.

فعبد الله مفرد مادام علمًا لذات بشرية فحسب. وهو مركب إذا كان نعتًا لرجل يعبد الله. واستمد المنطقيون من النحويين عندما بينوا كون عبد الله العلمية لفظًا مفردًا.

قال الفخر الرازي في شرح عيون الحكمة (١/ ٥١): «العلم هو اللفظ الذي جعل قائمًا مقام الإشارة إلى ذلك الشخص المعين من حيث إنه ذلك المعين. ولهذا قال النحويون أسماء الأعلام لا تفيد فائدة في المسميات البتة، بل هي قائمة مقام الإشارات».

قال أبو عبد الرحمن: قد يكون المسمى مخلوقا بشريًا مشؤومًا نحسًا ليس فيه شيء من السعد، ويكون أهله سموه سعدًا أو سعيدًا أو سعودًا أو مسعودًا قبل أن يكون له كسب، وقبل أن تحدد هوية فطرته.

فمسعود اسم دال على ذلك الشخص دلالة إشارة إلى شخصه، وليس دلالة تعريف بطبيعته، ولهذا لا يفيد اسم مسعود المأخوذ من السعد أدنى فائدة عن المسمى بحيث يكون مسعودًا من وجه، أو من وجوه، أو من كل وجه.

وأما القول الدارج على ألسنة المتأدبين: «لكل مسمى من اسمه نصيب»: فدلالة حينية من مصادفات اللقاء بين الاسم والمسمى في المشاهدة الحسية، ولا علاقة لذلك بالمواضعة اللغوية.

ومن هاهنا غلط الغالطون فقالوا: الأسماء لا تعلل، لأن العلم لا يفيد فائدة في المسمى. وهو جواب رخيص جاهز لكل من سئل عن عَلَم مكاني أو آدمي أو حيواني أو نباتي: لماذا سمي بهذا الاسم؟

قال أبو عبد الرحمن: الأسماء تعلل، ولا اسم إلا بعلة، ولكن العلة قد تجهل أو تنسى. وبيان ذلك أن ثمة فرقًا بين اشتقاق الاسم، ووضعه لمسمى، واستمرار استعماله لمسميات أخرى.

فمحمد اسم مشتق من الحمد، فهو معلل بكثرة المحامد.

وقد تكون التسمية محض علم الله الخالق للمسمى، فتكون المطابقة كتسمية الله لعبد الله ورسوله محمد ﷺ. وقد تكون التسمية اجتهادًا بشريًا يصيب ويخطئ، فتكون تسمية شخص محمدًا ويكون مذممًا.

والتسمية معللة بالتفاؤل، أو تقليد العرف، أو إحياء اسم قريب. وقد تكون التسمية اجتهادًا بشريًا ولكن عن طريق الارتجال والمطارفة كأسماء سامجة يرتجلها بعض المعاصرين لمولوديهم، فالارتجال غير المعلل تعليل، والله المستعان.

زواج الطوارق في الجزائر

العجوز تحمل العروس والزوج لا يرى زوجته نهارًا!

أحمد بيوض - الجزائر

تتميز الجزائر باتساع مساحتها البالغة ٢,٣ مليون كلم٢، مما جعلها ثاني أكبر بلد أفريقي بعد السودان، وهي أيضًا تتميز بتنوع تضاريسها ومُنَاخها ومناظرها الطبيعية واختلاف أنماط عيش سكانها البالغ عددهم ٢٥ مليون نسمة. كلهم من المسلمين.

ففي غرب البلاد الجزائرية أو في شرقها وفي شمالها أو في جنوبها تتنوع الثقافة والمورثات كما تتنوع العادات والتقاليد، سواء المتعلق منها بإحياء المواسم والأعياد، أو بالختان والزواج.

ففي ولاية «تمنغاست» بأقصى جنوب البلاد مثلا، توجد مظاهر زواج خاصة لدى «الطوارق» الذين يُسمّون أيضا في الجزائر بالرجال الملثمين أحيانًا وبالرجال الزرق أحيانًا أخرى. فكيف تتم الخطوبة لديهم؟ ولماذا تختص العجوز فيه بدور ثنائي يخص كل واحد من العروسين؟

إعلان الخطوبة والمهر

يتم إعلان الخطوبة لدى الطوارق غالبًا في غياب الخطيبين حيث تقوم بذلك عائلتاهما. وللأهل الدور الفاعل في عقد قرانهما بالرغم من ميل الجيل الجديد إلى تغيير هذه العادة، سعيًا وراء حرية اختيار الزوج زوجته.

ويشترط في الخطيب أن يكون طارقيا، كما يشترط فيه ألا يكون قد سبق له الزواج لقلة وجود ظاهرة الطلاق لديهم.

وأن يكون ابن عائلة طارقية شريفة ليحظى برضى عائلة خطيبته. أما فيما يتعلق بالمهر، فعلى كل خطيب أن يقدم لخطيبته سبعة من الإبل مهرًا يشهد عليه أهل القبيلة. وإذا حدث أن عجز عن تحقيق هذا الشرط لفقر أو لضائقة مالية طارئة، فيكتفي أهل الخطيبة بقبول اثنين من الجمال على أن يقدم الباقي خلال أربعين يومًا. ولا يتم العقد الشرعي بين الخطيبين إلا ليلة زفافهما.

ليلة الزفاف ودور العجوز

بعد أن يتم تجهيز العروس لدى الطوارق التي يفضل قبائلها الأشراف ألاَّ ترتدي ما يأتي به أهل العروس (الرجل)، وإنما ما يشتريه لها أهلها، تتزين بطريقتها المعهودة والأصيلة عن طريق الكحل والحُلَى الفضية المصنوعة تقليديا، وتلتحف بـ«حوليها» الأسود لتتهيأ بعد ذلك للانتقال إلى بيت زوجها.



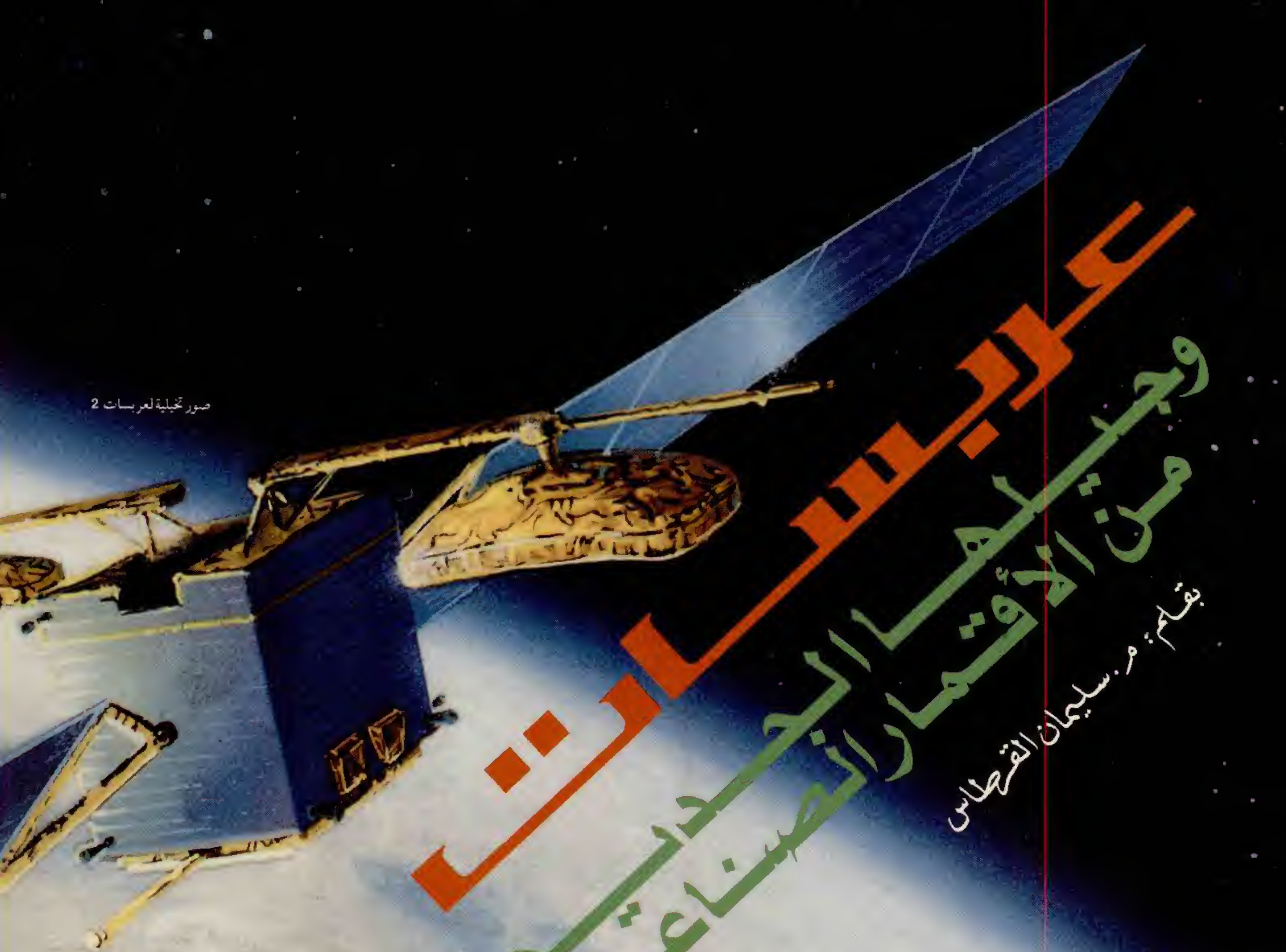


وجرت العـادة لدى الطـوارق أن تُختارَ عجوز من أهل العروس، تكون معروفة بسمعتها الطيبـة، وخالية من العيوب والمشكلات لتحمل العروس على ظهرها إلى بيـت زوجها كـ«فأل» طيب بمستقبل زاهـــر وبيت زوجي سعيـد للعـروس. ويحيط بـالعجـوز نسـوة القبيلة الـلائي يهللن ويـرددن البسملة والـدعاء للعروس بـالسعادة والهنـــاء. ولـدى وصـــولهن إلى بيت العـروس الذي لا يكـون عادة بعيـدًا جدا، يَطُفْـنَ بالبيت ثـلاث مرات.

ولا تزف العروس لزوجها إلاّ في الليلة الثانية.

وبعد دخول العروس على عروسه يبقى الاثنـان مدة سبعـة أيام، تعـودُ بعـدهـا العـــروس إلى بيت أهلهـــا لتمكث فيه حتى تَضَعَ حملها الأول. أمـا الـزوج فيقضي نهاره لـدى أهلـه ويتناول طعامه وينظف ملابسه بينهم ولا يرى زوجته إلاّ ليلاً.




صور تخيلية لعربسات 2

عربسات وجيلها الجديد من الأقمار الصناعية

بقلم: م. سليمان القرطاس

أعلن مسؤولون في المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية (عربسات) أن مجموعة هيوز للاتصالات والفضاء التابع لشركة «جنرال موتورز ـ هيوز» فازت بعقد صناعة قمرين صناعيين من الجيل الثاني (عربسات ـ ٢) بقيمة ٢٥٨ مليون دولار أمريكي يسلم أولهما في منتصف عام ١٩٩٥م.

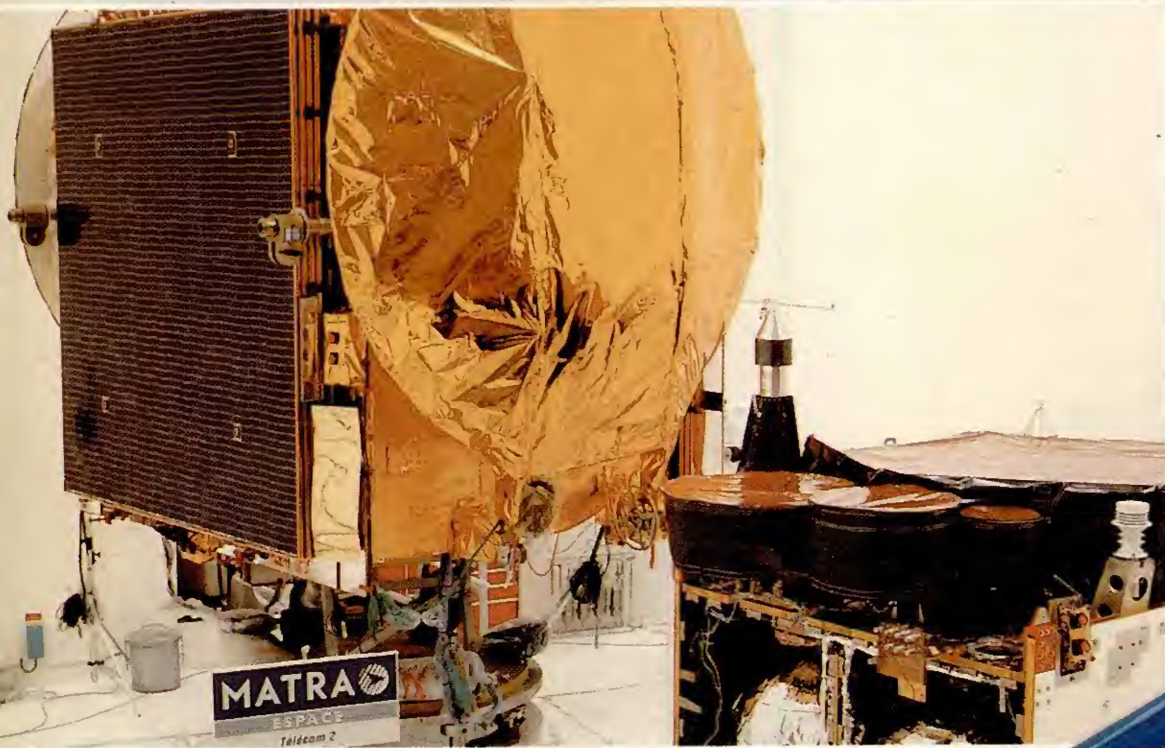
وقد تقدمت ثلاث شركات بعروض : الأولى بريتش إيروسبيس بنموذجها Eurostar وتشاركها في صنع هذا النموذج ماترا ـ ماركوني سبيس، وسبق لهاتين الشركتين أن تعاقدتا على صنع أحد عشر قمرًا صناعيًا من هذا النموذج هي (انمارسات II) (أربعة أقمار) وتيليكوم II (ثلاثة أقمار) وهسباسات I (قمران) وأوريون I (قمران)، أما الثانية فهي إيروسباسيال الفرنسية بنموذجها Spacebus الذي تشاركها فيه MBB الألمانية وسبق لها الفوز بعقود تصنيع لثمانية أقمار صناعية هي : Eutelsat (ستة أقمار صناعية) وقمران من نوع Turksat II، وأخيرًا هيوز الأمريكية وسبق لها صنع ما يزيد على أربعين قمرًا صناعيًا من نموذج HS376 الأسطواني التلسكوبي وتعاقدت على صنع ٢٤ قمرًا صناعيًا من نموذجها الجديد HS601 ، وكان من المقرر أن تتقدم هيوز بعرضها لصنع عربسات ٢ حسب نموذج HS376 .

وقد فازت هيوز بهذه الصفقة لأنها تملك خبرة ودقة في تصنيع الأقمار الصناعية للاتصالات بعد أن وافقت على خفض قيمة العرض من ٢٦٧ مليون دولار إلى ٢٥٨ مليون دولار وزيادة العمر الافتراضي للقمر الصناعي من عشر سنوات إلى خمس عشرة سنة.

وكانت عربسات قد عقدت اتفاقها لصنع ثلاثة أقمار صناعية من الجيل الأول في عام ١٩٨١ مع شركة إيروسباسيال الفرنسية تشارك في تجهيز معدات الاتصال للأقمار فورد إيروسبيس بمبلغ ١٨٠ مليون دولار، وأطلقت أول أقمارها في ٩ من فبراير ١٩٨٥ بواسطة صاروخ آريان الأوربي.

دون الطاقة القصوى

وقد عانى القمر الصناعي **عربسات 1A** من مشكلات في المناورات المدارية ومن عدم انفتاح الأجنحة الشمسية، وعندما تم حل هذه المعضلة تبين عطل جزء من طاقة الاتصالات التي يحملها واستنفد من الوقود الدافع مقدارًا تجاوز ما هو مقرر، عندئذ قررت عربسات إطلاق القمر الثاني **عربسات 1B**، وتم إطلاقه خلال الرحلة 5IG لمكوك الفضاء ديسكفري بتاريخ ١٧ يونيو ١٩٨٥

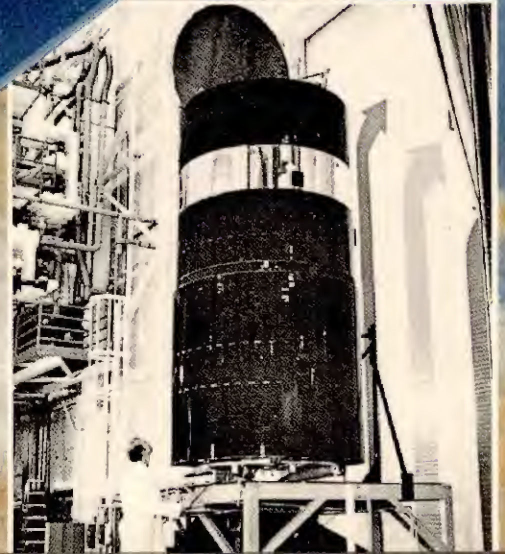


من قبل رائد الفضـاء العـربي المسلم الأول الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز، وتكللت هذه العمليـة والمنـاورات المدارية وانفتـاح الأجنحة الشمسية والهوائيات بنجاح كبير.

وكـان من المقـرر أن يبقى القمـر الثـالث احتياطيًّا على الأرض على أن يطلق في حالة عطل أحد القمرين.

وبالرغم من أن عربسات 1A لم يعمل بطاقته الكاملة إلا أن القمرين لم يتم استخدامهما بأقصى

نموذج هيوز HS376



عربسات وجيلها الجديد من الأقمار الصناعية

طاقة، حتى إن الهند استأجرت عددًا من القنوات في عربسات 1B بعد أن أصيب برنامج الاتصالات الفضائية لها بمتاعب غير متوقعة، حيث خسرت ثلاثة أقمار صناعية في الأعوام ١٩٨٣ و١٩٨٤ و١٩٨٨ نتيجة التعطل في المدار أو انفجار الصاروخ الناقل.

وترجع أسباب عدم استغلال عربسات 1A و 1B إلى تأخر العديد من الدول العربية في بناء محطاتها الأرضية ضمن شبكة عربسات وتأخر دخول مصر إلى الشبكة الفضائية العربية حتى نهاية الثمانينيات، وقيام المنظمة العالمية للاتصالات الفضائية (انتلسات) بتخفيض تعرفة الاتصالات عبر شبكتها بصورة متكررة حتى أصبحت تكلفة إيجار القناة الهاتفية في خلال تقنية IDR الرقمية عبر انتلسات ١٢٥٠ دولارًا بعد أن كانت عند إطلاق عربسات 1A أضعاف هذا المبلغ.

وأدت هذه التخفيضات وأسباب أخرى إلى قيام عدة دول عربية بإيجار قنوات لاتصالاتها المحلية عبر انتلسات بدلاً من عربسات.

طاقة كبيرة

وأدى إيجار القنوات لبث القنوات التلفزيونية عبر عربسات إلى استغلال عدد من طاقاته في السنوات الأخيرة.ولغرض الاستفادة من عربسات 1C قررت عربسات تجديد هذا القمر وجعل عمره الافتراضي خمسة عشر عامًا بدلاً من سبعة أعوام في عربسات 1A و1B، وتم الاتفاق بين عربسات وإيروسباسيال على ذلك وقد كلفتها عدة ملايين من الدولارات.

واتخذت الاستعدادات لإطلاقه في الرحلة ٤٩ للصاروخ الأوربي آريان في ٢٦ فبراير ١٩٩٢، وهذا ما تم بنجاح ووضع صاروخ آريان عربسات 1C في مداره وأكمل المناورات المدارية وانفتاح الأجنحة الشمسية والهوائيات بنجاح، وبدأ تقديم خدماته في أبريل من العام الماضي.

قنوات متعددة

لأي قمر من أقمار الجيل الأول لعربسات ٢٥ قناة بحيز C، الترددي كل منها بطاقة ٨,٥ وات **وهذه القنوات يمكن استخدامها لنقل الاتصالات الهاتفية أو التلكس والفاكس أو المعلومات بنظام FDM/FM أو بنظام SCPC/FM بسعة أكثر**، وكل قناة ذات مدى ترددي يساوي ٣٣ ميغاهرتز وحيز C، يستخدم المدى الترددي بين (٣٦٧٥ـ ٤٢٠٠) ميغاهرتز للإرسال من القمر الصناعي إلى الأرض والمدى من (٥٧٢٥ ـ ٦٤٢٥) ميغاهرتز للإرسال من الأرض إلى القمر الصناعي.

أما قناة البث الغزير فهي بحيز S الترددي GH2 4/2.5 وهو مدى ترددي محدود وتبث القناة بمضخمين كل منها بقدرة ٥٠ وات وبذلك تصبح طاقة بث هذه القناة ١٠٠ وات.

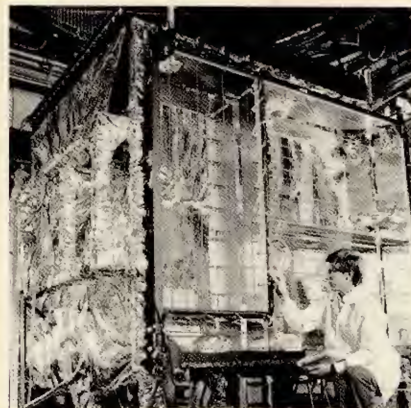
وارتفعت كلفة الإطلاق بين عربسات 1A&B و 1C مما يزيد قليلاً عن ٢٠ مليون دولار إلى ٣٥ مليون دولار بدون التأمين.

وأشارت الدراسات إلى أن حجم الاتصالات المتوقعة للأعوام الأربعة القادمة يمكن أن يوفيها عربسات 1C حتى يتم إطلاق عربسات 2A بعد أن انتهى منذ منتصف العام الحالي العمر الافتراضي لعربسات 1B وقبله عربسات 1A.

الجيل الجديد

الجيل الجديد من عربسات سيصنع حسب النموذج HS601 ذي الاستقرار على المحاور الثلاثة وهو عبارة عن جسم مكعب ترتبط على جانبيه أجنحة مكونة من عدة ألواح مكسوة بخلايا شمسية يكون ارتباطها مفصليًا بالجسم المركزي المكعب للقمر الصناعي، وتحمل الأجنحة متحسسات تسيطر على ميكانيكية حركة الأجنحة لتدويرها جاعلة الخلايا الشمسية متعامدة على أشعة الشمس، وعدَّ هذا التصميم هو التصميم القادم عند ابتكاره في منتصف السبعينيات وترتبط في الجهتين العليا والسفلى (الشرق ـ الغرب) الهوائيات ويأخذ محور الأجنحة الشمسية اتجاه الشمال ـ الجنوب، واكتسب هذا النموذج صفة السيادة نظرًا لإمكاناته في توليد طاقة كبيرة من أجنحته الشمسية مقارنة بالطاقة المولدة في التصميم الأسطواني التلسكوبي، كما أن له إمكانية في إشعاع كمية كبيرة من الحرارة، وهذه الحرارة تتولد في مضخمات القدرة النهائية للقنوات وخصوصًا في زيادة قدرة قنوات البث بحيز Ku الترددي، إلا أن هذا التصميم لاقى بعض المشكلات في بعض الأقمار الصناعية نتيجة عدم انفتاح أجنحتها الشمسية، وبذلك تعطلها عن العمل، ولم تكن هيوز سبّاقة في هذا التصميم حيث إنها عرضت نموذجها HS601 لأول مرة في عام ١٩٨٧م، في حين سبقتها عدة شركات في صناعة أقمار صناعية في التصميم المستقر على المحاور الثلاثة.

أحد الأقمار المصنوعة حسب نموذج HS601 أثناء الفحص الحراري



وبموجب المواصفات التي ذكرت مؤخرًا فإن قنوات البث بحيز C الترددي (GH2 6/4) ستكون بطاقة القمر الأول نفسها، أي 8.5 وات، على حين سينخفض عددها إلى ٢٠ قناة بدلاً من ٢٥ في عربسات 1 أما بالنسبة لقناة حيز S الموجودة في عربسات 1 فإن عربسات 2 سيحمل قناتين، (كل منها بطاقة 100 وات) تستخدم للبث التلفزيوني ويتم استلامها بواسطة هوائي بقطر 2.2 متر، أما التقدم الواضح فهو باستخدام الحيز الترددي Ku فهناك ١٢ قناة في عربسات ـ 2 ـ تبث بكثافة EIRP : 46dBW، وهذا يسمح باستلامه بهوائيات أصغر، ويمكن استخدامه للاتصالات الهاتفية أو البرقية أو المعلومات أو البث التلفزيوني المباشر، حيث يمكن لهوائي طبقي بقطر 1.2 متر استلام البرامج التلفزيونية منه، **وهناك دراسات لعربسات لزيادة كثافة طاقة البث لتصبح : EIRP 49dBW ليصبح بالإمكان استلام البرامج**



صورة تخيلية لأحد الأقمار الصناعية من نموذج HS601

التلفزيونية بهوائي طبقي بقطر أقل من متر.

ويقسم النموذج HS601 إلى ثلاثة أجزاء :

التشكيل الأساسي : ويشمل الهيكل المغطى بالرقائق العاكس لمنع حرارة الشمس من الدخول ورفع درجة حرارة المعدات وهو مبطن كذلك بطبقة عازلة للحرارة وتربط به ذراع مفصلية تحمل ألواحًا مكسوة بالخلايا الشمسية وترتبط به الهوائيات، ويحوي الجزء الأكبر من تجويفه نظام الدفع والتحكم بالمدار ويتضمن أربعة خزانات مملوءة بوقود ثنائي وينتج الغاز الدافع من تفاعل مادتي الوقود الثنائي في محرك الأوج، وسمي بهذا الاسم لأنه يقوم بنقل القمر الصناعي من المدار العابر إلى المدار المتزامن (٣٦٠٠٠ كم أوج و٢٠٠ كم حضيض) إلى مدار دائري بارتفاع يساوي أوج المدار العابر كما يتم تفاعل هاتين المادتين بمقدار أصغر في النافثات التي يتراوح عددها بين ١٢ و١٣ نافثة التي تقوم بتعديل وضع القمر الصناعي وسياقه إلى الموقع المداري، أما في حالة حدوث تغير طفيف في وضع القمر الصناعي فهناك دواليب الزخم Reaction Wheels التي تستفيد من المجال المغناطيسي للأرض وتولد مجالاً باتجاهات مختلفة حسب الحاجة لاستعادة الوضع الطبيعي للقمر الصناعي.

أما الجزءان الثاني والثالث فهما رفان يقعان في الجزء الأعلى من تجويف القمر الصناعي يحمل أسفلهما المعدات الإلكترونية للتنظيم والتحكم بالقدرة الكهربائية والبطاريات.

أما الرف الأعلى فيحمل معدات الاتصال من مضخم منخفض الضوضاء Low noise amplifier وخافض التردد Down converter والمضخمات الابتدائية وأخيرًا مضخمات القدرة النهائية التي تكون عادة من نوع TWT Traveling Ware Tube بالنسبة لمضخمات القنوات بحيز Ku ومضخمات من المادة الصلبة بالنسبة لحيز C Solid State Power Amplifier (SSPA)

وهذا التقسيم يسمح بالعمل على كل جزء من هذه الأجزاء الثلاثة بصورة منفصلة على التوازي، وبذلك تقل مدة التجمع والفحص والإعداد للإطلاق، وهذا ما جعل هذا النموذج يفوز بعقد صنع القمرين الصناعيين الأوربيين استرا 1D,1C.

ويذكر أن العقد الذي أبرمته عربسات مع هيوز يتضمن البناء والتحميل والتأمين على القمر الصناعي الأول وتخزين القمر الصناعي الثاني حتى وقت الحاجة. ومن المؤمل أن توقع هيوز وعربسات العقد النهائي بعد إنهاء الدراسة للتفاصيل الدقيقة عن الأجهزة العاملة على القمر ومستوى كثافة طاقة البث من أجل إيفاء متطلبات عربسات وزبائنها.

كما يذكر أن العديد من الجهات قد تعاقدت مع هيوز لصناعة أقمارها الصناعية وفقًا لهذا النموذج وهو القمر الصناعي الأسترالي Aussat B (قمران) بقيمة ٢٧٠ مليون دولار وجالكسي التابع لشركة هيوز للاتصالات (قمران) و Msat المخصص لاتصالات المتنقلة في الولايات المتحدة وكندا و Astral C&D الذي تملكه شركة خاصة مقرها لوكسمبورغ والمخصص للبث التلفزيوني المباشر وعدة أقمار صناعية لاتصالات أسطول البحرية الأمريكية، وأقمار أخرى من نوع DirecTV أول أقمار صناعية للبث التلفزيوني المباشر في الولايات المتحدة، ويبلغ عدد هذه الأقمار أربعة وعشرين قمرًا صناعيًا.

المراجع

(١) نشرة متخصصة بعنوان Aussat B صادرة عن Hughes Aircraft بتاريخ فبراير ١٩٩٢م.

(٢) نشرة متخصصة بعنوان Arabsat صادرة عن Aerospatiale في ١٩٩٠م.

(٣) مقال بعنوان HS601 صادر في مجلة Vectors صادرة عن شركة Hughes Communications Group بتاريخ يوليو ١٩٩٢.

(٤) طلال الساحلي، عربسات القمر الصناعي العربي. مجلة العلم والتكنولوجيا ع ٢٥، يوليو ١٩٩٢م.



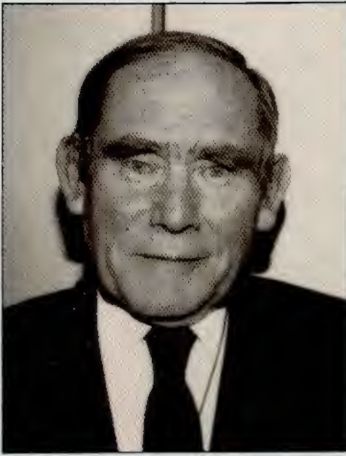
الشرق في عيون الغرب

لقاء مع :

د. سيدني برينر الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية في العلوم لعام ١٤١٢هـ

اكتشاف الأرض أولى من اكتشاف الفضاء

أجرى الحوار: عبد الكريم يعقوب



يُعدُّ علم الحياة الجزيئي من العلوم الحديثة التي نشأت منذ أربعة عقود. ومن أبرز علمائه الدكتور سدني برينر الذي يرأس منذ عام ١٩٨٦م وحدة علم الوارثة الجزيئية في مختبر مجلس البحث الطبي البريطاني، وكان قبل ذلك مديرا لمختبر مجلس البحث الطبي لعلم الحياة الجزيئي سبع سنوات. وهذا المختبر واحد من أكبر المؤسسات العلمية لدراسة علم الحياة والمورثات، وفيه ـ أو في ظله ـ حدثت اكتشافات عظيمة منذ أربعين سنة يقوم عليها علم الحياة الجزيئي.

العام الماضي فاز د. سدني برينر* بجائزة الملك فيصل العالمية في العلوم. وفي هذا اللقاء الذي أجرته معه «الفيصل» تحدث عن جهوده العلمية التي أهّلته لنيل الجائزة، وعن الجوائز العالمية عموما، وعن جوانب في حياته الشخصية والعلمية، وعن رأيه في المتطلبات العلمية للعالم العربي ومدى اهتمامه هو بالنشاطات البحثية العربية، كما تحدث عن مستقبل العلوم وكيف أن على علماء اليوم أن يتركوا شيئا للأجيال القادمة للبحث فيه لأنهم «يريدون أن يفعلوا كل شيء في هذا الجيل».

فإلى هذا الحوار :

● لنبدأ حديثنا بالجوائز العالمية، ما مدى أهميتها لدعم الأبحاث والعلماء؟

□ أود أن أقول أولا إنني كنت أظن أن جائزة الملك الفيصل العالمية جائزة علمية فقط، ولم أدرك أنها تمنح في فروع أخرى كخدمة الإسلام والأدب العربي والدراسات الإسلامية إلا بعد علمي بحصولي على الجائزة.

أما الإجابة عن سؤالك فتعتمد على مجالات الجوائز واهتماماتها، بمعنى إذا كانت المؤسسات تمنح الجوائز من أجل العلم والحضارة فقط فهذا أمر غير جيد وغير كاف. ولكنني معجب ببرنامج مؤسسة الملك فيصل الخيرية الخاص بالمنح الدراسية، ولو أنها منحت الجوائز فقط لقلت إنها غير ذات فائدة تذكر لأن هناك الكثير من هذه الجوائز قد أنشئت، وفي نظري من المهم دعم الأبحاث، والأهم من ذلك دعم الشباب في مجالات العلوم المختلفة.

● نلت جائزة الملك فيصل في مجال العلوم العام الماضي وكان موضوعها علم الحياة، فما الأبحاث التي كانت وراء هذا الإنجاز؟

□ البحث الذي استحققت عليه الجائزة أنجزته من وقت بعيد وبالتحديد منذ ثلاثين عاما، أي في الأيام الأولى لعلم الحياة الجزيئي عندما كان عمر هذا العلم نحو سبع سنوات، وقد كان ذلك في وقت كان هناك قلة من العاملين في مجال ينمو بسرعة.

أما ما نلت عليه الجائزة فقد تركز في مجالين من هذا العلم وتقريبا في الوقت نفسه. أحدهما كان اكتشاف طبيعة الشفرة المورثة من خلال طرق ووسائل خاصة بعلم الوراثة، أما الآخر فهو اكتشاف ما يسمى DNA وهي نسخة من المورثة التي تزود المعلومات للتركيبة البروتينية.

● ماذا عن أهمية هذين العملين وتقبل الأوساط العلمية لهما آنذاك؟

□ متى ما عرفت تركيبة الـ DNA ومتى ما أدرك بعض الناس وفهموا ما سُميت فيما بعد الدورة المتتابعة وأن نظام عناصر الـ DNA تتطابق ـ بطريقة ما ـ أو تنسجم مع نظام عناصر البروتين؛ فهذا سوف يوضح المسألة، وبالطبع فإن هذين العملين ـ وغيرهما ـ أكملا فهم الـ DNA، (وأهمية اكتشاف بنية DNA أنها أساس كل علم الحياة الجزيئي المعاصر).

الطموح كان السبب

● قرأت في سيرتك الذاتية عن انتقالك من جنوب أفريقيا إلى بريطانيا. هل كانت أسباب هذا الانتقال علمية أم غير ذلك؟

□ كان هناك سببان رئيسان لانتقالي من جنوب أفريقيا إلى بريطانيا، أحدهما كان بسبب طموحاتي العلمية حيث كان من الصعب علي في بلد صغير إكمال طموحاتي. وكان على كل من له طموح أن يذهب ـ حين يصل إلى نقطة معينة ـ إلى بريطانيا التي هي المركز، ثم إلى أمريكا ليكون في المرتبة الأولى بدلا من الرابعة مثلا. كان هذا هو السبب الرئيس، أما السبب الآخر فهو أن جنوب أفريقيا ليست بلدا مريحا للعيش فيها مع وجود كل تلك المشكلات العرقية.

د. سِدْني برينر



المكتبة معلّمي الحقيقي

● **ما هو دور معلميك وتأثيرهم فيك وفي حياتك العلمية ؟**

□ أنا أفخر دائما بكوني علّمت نفسي، لا أظن أن هناك أشخاصا أثّروا فيّ ولكن هناك تجارب. أما الحقيقة فهي أن المكتبة العامة هي معلّمي.

● **ما فلسفتك الشخصية في الأبحاث العلمية ؟**

□ أحب حل المشكلات العلمية، كما أحب العمل خارجًا عن الاتجاه الرئيس أو العام للعلم. عندما يصبح الأمر عاما أتركه وأبحث عن أمور ومشكلات أخرى، ففلسفتي هي أن العلم يجب أن يبحث عن حلول للمشكلات الجادة.

● **إذًا أنت ترى أن هناك مجالات علمية محددة تحتاج إلى «اختراق».**

□ في الواقع أنت لا تعرف أنك «اخترقت» إلا حين تفعلها. هناك مجالات عديدة تحتاج إلى شيء يحركها أو يطلقها، ربما فكرة أو تقنية أو اختيار جيد لمواد التجارب والاختبارات، وفي كثير من الأحيان مجرد وجود الفرصة لعمل اللازم في المكان المناسب والزمن المناسب.

وفي رأيي أن الموضوع خاضع للحظ، أنا لا أؤمن بالحظ ولكن أعتقد أنه عليك أن تعمل حتى يأتيك الحظ ــ إذا كان هناك حظ ــ بدلا من أن يذهب إلى غيرك.

بين الكتابة العلمية والعامة

● **كتاباتك تتركز في مجال تخصصك في حين لا نجد لك أي كتابات عامة، أقصد لعامة الناس، ما السبب في ذلك؟!**

□ كانت لي بعض الكتابات للعامة، إلا أنني لا أحب الكتابة وأجد أن أتحدث وأتكلم عوضا عن ذلك. وقد تحدثت بالفعل كثيرا عبر المذياع وألقيت محاضرات كثيرة جدا. أحب أن أتحدث وأعد ذلك إنسانيا أكثر. لم أكتب أشياء عامة كثيرة لأن المجال الذي أعمل فيه من الصعب أن يُشرح كتابة، وقد شرحت ذلك عبر التلفاز مثلا بدلاً من الكتابة.

● **علمت أن المرشحين الآخرين للجائزة في المجال نفسه لهم كتابات عديدة للعامة ولكن لأسباب علمية بحتة قامت اللجنة باختياركم. فما هو تعليقك ؟**

□ كتبت بعض المقالات للعامة كما ذكرت، ولكنني لا أضمنها في منشوراتي لأنني لا أعدّها جزءًا من كتاباتي العلمية.

● **ألهذا السبب لا ترغب ـ مثلا ـ في نشر كتاب لك ؟**

□ أجد صعوبة كبيرة في الكتابة لأنني أعلم أنني غير موهوب في هذا المجال.

● **ماذا لو عرض عليك ناشر أن تكتب خبراتك، هل تقبل ؟**

□ لا أعتقد. سأقول له : لو قمت بكتابة شيء من هذا القبيل سأتصل بك ولا داعي لأن تتصل بي. لأنك لو كتبت بدافع الواجب فستكون كتاباتك غير عفوية، وأنا أحس بالسعادة وبكياني أكثر في غير الكتابة.

● **ولكن ألا تعتقد أن على العالِم ألا يقتصر على إظهار علمه للمختصين فقط وإنما للعامة أيضًا ؟**

□ هذا صحيح، والكثير من العلماء يملكون الموهبة لكشف جوانب من علومهم للعامة. أما بالنسبة لي فأفضل أن أكشف ما لدي لمن يستطيع كشفه للعامة. أنا أؤمن بأن العلم جزء من المجتمع كما أنه جزء من الحركة الاجتماعية، ولكن في مجال جديد تماما وأنت في حالة عدم استقرار لما تكتشف أو لما قد يتقبله الآخرون منك، من الصعب أن تكون لديك رؤية واضحة، المسألة تحتاج إلى وقت.

العالم العربي والتقدم العلمي

● **هل لديكم فكرة مسبقة عن الجهود العلمية المبذولة في العالم العربي ؟**

□ لا. وقد أتيحت لي الفرصة أثناء زيارتي لمدينة الرياض للذهاب إلى مركز الأبحاث التابع لمستشفى الملك فيصل التخصصي، وقد أعجبت كثيرا بما رأيت، إذ لم تكن لديّ فكرة عما وصل إليه العلم في المملكة العربية السعودية.

● **ألم تكن الأبحاث العلمية في العالم العربي جزءا من اهتماماتكم ؟**

□ لا، لأن هناك الكثير من الأبحاث في العلوم المختلفة وبخاصة في المجال الذي أعمل فيه، فلم ألتفت إلى ما سواه. وكما تعلم فإن كل جديد في العلم يقوم به عدد قليل من العلماء في البداية وفي أماكن قليلة ولا توجد لديه إلا شبكة دولية محدودة وفي إطار محدود للاتصال.

وإذا ما نجح ما يقوم به هؤلاء الأفراد فإنه ينتشر، وبالنسبة لي حين أصل إلى نقطة الانتشار أهتم بأمور أخرى جديدة ومحدودة.

● **بم تنصح الباحثين في العالم العربي، خصوصًا فيما يتعلق ببيئة المنطقة التي يعيشون فيها ؟**

□ ما هو مهم في بلاد كالبلاد العربية حيث تعد العلوم (التجريبية) جديدا فيها إلى حد ما، أن تركز على ما هو فريد، وهذا أمر يقدره الكثير من الناس. كذلك أن تنمي شخصية علمية وتطور أبحاثا دون اللجوء إلى فساد الأخلاق والمبادئ الإنسانية. فمثلا بلد كالولايات المتحدة الأمريكية تنتشر فيها الفوضى في المجال الذي أعمل فيه وأنت لا تستطيع منافستهم. هي ليست منافسة بالمعنى الحرفي، ولكن أن تعمل في مجال قد تطرق إليه الكثيرون والكثيرون من قبلك فهذا يقلل من قيمة ما تعمله.

المهم هو أن تبرز المعلومات والوسائل التي تخص هذه المنطقة وأن تعكف عليها. أعتقد أن هذه هي الوسيلة الصحيحة للاستفادة من العلم، كما أنها تعد وسيلة لإعطاء العاملين في هذا المجال الشعور بأنهم يستطيعون الوقوف على أقدامهم دون الشعور بالقمع من ملايين العلماء في أنحاء العالم.

تدريب الشباب والمجتمع العلمي

● **أعتقد أن لك تجربة عملية في بعض الدول النامية، فكيف تُهيَّأ**

مقومات التقدم العلمي لهذه الدول في رأيك ؟

□ لقد شاركت منذ فترة من الزمن في إنشاء معمل في سنغافورة، وهو متطور جدا بالنسبة لاحتياجات ذلك البلد العلمية.

في اعتقادي أن الطريقة الصحيحة هي توفير التدريب الصحيح للعلماء الناشئين والمبتدئين والبداية تكمن في جذب انتباه الشباب نحو العلوم أولا، ثم إرسالهم إلى الأماكن التي يستطيعون فيها الحصول على التدريب الجيد. لكي نوجد مجتمعًا علميا يجب أن نوفر القوة الدافعة لوجود الزخم العلمي.

مستقبل العلوم

● **كيف تنظرون إلى مستقبل العلوم ؟**

□ لا يزال لدينا الكثير من المشكلات التي تحتاج إلى حل وبخاصة في علم الحياة، فمثلا نود أن نعرف جميعا كيف يعمل الدماغ (العقل)، وكثير من الناس يقولون إن هذا أبعد من نطاق إدراك البشر ولكنني لا أعتقد ذلك، وفي المستقبل نريد أن نفهم أصل الأحياء الطبيعية ونشوءها. ثم هناك التقنيات. وسنعمل - على الأقل في المجال الذي أختص به - على إيجاد أنواع جديدة من النباتات، ويمكن أن يسمى هذا علم الحياة المركب Synthetic Biology . كم عمر هذا العلم ؟ خمس وعشرون سنة ؟ تعال - إذًا - بعد خمس وعشرين سنة أخرى وسترى أن هناك اختلافًا كبيرًا.

● **وماذا عن العلوم الأخرى السريعة التطور، مثل علوم الفضاء وأبحاثها؟**

□ لست مهتما كثيرا بأبحاث الفضاء. وكنت أفضل لو كانت المبالغ التي تخصص لهذا المجال محدودة، ولو استفيد من هذه المبالغ لاكتشاف هذا الكوكب الذي نحن فيه لكان أفضل.

أرى أن ما يحصل الآن هو أن العلماء يريدون أن يفعلوا كل شيء في هذا الجيل، في حين أرى أن علينا أن نترك شيئا للأجيال القادمة لتقوم بالبحث فيه.

* نبذة عن حياته في العدد ١٨٣ ص ١٢٨ .



مرحبا هلال رمضان

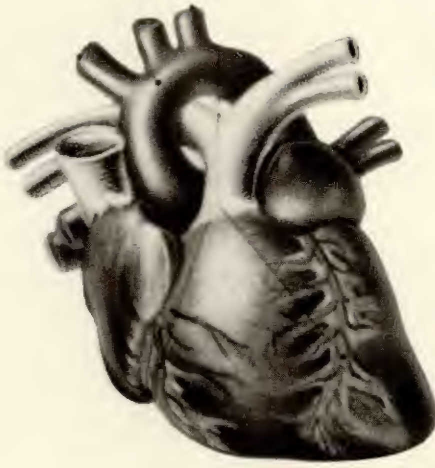
شعر: محسن عبد المعطي عبد ربه

مَرْحَبًا أَحْلَى الأَهِلَّهْ ... جِئْتَنَا فِي خَيْرِ حُلَّهْ
مُنْذُ أَشْرَقْتَ وَقَلْبِي ... قَدْ سَمَا وَالنُّورُ دَلَّهْ
وَدَعَوْتُ الله رَبِّي ... أَنْ يُعِيدَ الحَقَّ كُلَّهْ
ويَعُمَّ النَاسَ حُبٌّ ... خَالِصٌ مِنْ أيِّ عِلَّهْ
ويَسُودَ العُرْبُ قَوْمِي ... فِي الذُّرَا مِنْ خَيْرِ مِلَّهْ

* * *

أَيُّهَا الصَّائِمُ أَبْشِرْ ... فِي رِيَاضِ الصَّوْمِ ((قُلَّهْ))
تَشْرَبُ الكَوْثَرَ مِنْهَا ... عِنْدَ رَبٍّ، مَا أَجَلَّهْ!
مُتَعُ الدُّنْيَا سَتَفْنَى ... بَعْدَ وَقْتٍ، مَا أَقَلَّهْ !
وَسَيَبْقَى الصَّوْمُ ذُخْرًا ... يَنْفَعُ العَبْدَ مَحَلَّهْ
يَوْمَ أَنْ نَلْقَى إِلهِي ... يَقْطُفُ الصَّائِمُ فُلَّهْ
يَجِدُ الصَّوْمَ شَفِيعًا ... طَارِحًا كُلَّ الأَدِلَّهْ
يَطْلُبُ العَفْوَ لِعَبْدٍ ... فَهِمَ اللُّغْزَ وَحَلَّهْ
أَخَذَ الصَّبْرَ طَرِيقًا ... مُسْتَقِيمًا لَمْ يَمَلَّهْ
هَكَذَا الصَّائِمُ يَهْنَا ... فِي جِنَانٍ لِلأَجِلَّهْ

فوائد الكوليسترول



عادل البطوسي

كثيرًا ما تناولنا الكوليسترول بوصفه متهما بإصابة القلب أو المخ أو أجهزة الجسم المختلفة بالخلل من خلال ما يسببه من تصلُّبٍ في الشرايين التي هي أساس الغذاء لهذه الأجهزة الحيوية .

وخلال العقدين الأخيرين من هذا القرن وجد الكوليسترول نفسه في قفص الاتهام يواجه الانتقاد من كل حدب وصوب لعلاقته المباشرة ببعض أمراض القلب والدورة الدموية ، ولكن للكوليسترول فوائد عديدة ، وقبل تسجيلها يحسن بنا أن نقف عند قصة الكوليسترول من بدايتها .

اكتشاف الكوليسترول

أرسلت وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) عام ١٩٥١م فريق عمل من المختصين في علم الأوبئة إلى منطقة القتال في الحرب الكورية في مهمةٍ مُريعةٍ تتلخص في أن يقوموا بتشريح جثث قتلى المعارك لعلهم يتعلّمون أو يكتشفون شيئا جديدًا من تلك الجثث ، وكان التكليف الرئيس للفريق الذي عمل تحت إمرة الرائد (ويليام إينوس) والمقدم (روبرت هولز) هو القيام بدراسة للجروح الناجمة عن عيارات نارية وبالفعل قام الفريق على مدى ثلاث سنوات بتشريح جثث ألف جندي قتيل في عنفوان الشباب وأصيب الفريق بالدهشة عندما لاحظوا علامات إصابة الشرايين التاجية في قلوب الجنود القتلى ووجدوا ترسبات ونموّات ثؤلولية كاملة الحجم تسد كل مجاري الشرايين التاجية وكانت المفاجأة الكبرى أن كل القتلى تقريبا كانت لديهم أعراض الإصابة بمرض القلب المتعلق بالشريان التاجي ومن يومها صار الكوليسترول المرعب مجرمًا !

معدّلات الكوليسترول

يجب ألا يزيد تركيز الكوليسترول في الدم على ٢٠٠ مجم/ سم^3، فإذا زاد بحيث يصل إلى ٢٣٩ فإن فرصة حدوث أمراض الشريان التاجي تزيد لتصبح ضعف من هم أقل من ٢٠٠ وفي المقابل خفضه بنسبة ٢٠٪ مثلا يُخفض نسبة الإصابة بنسبة ٤٠٪ عند هذا الشخص !

والجدول (١) يوضّح عدد الإصابات أمام متوسط مستوى الكوليسترول :

وقد لوحظ ارتفاع خطر الإصابة بالسرطان في الأشخاص الذين يعانون انخفاضًا كبيرا في كوليسترول الدم وهذا ما أكدته البحوث المنشورة في المجلات الطبيّة مثل (اللانسيت The Lancet بقلم : **مورتون ديبورس وسيمون دايتون** . . ومجلة الطب الوقائي اليابانية بقلم : **هيروتسوجايو يشيما** Ueschima . . . إلخ .

والمدهش أن العلماء وجدوا أن الرجال الذين ماتوا من السرطان كان لديهم مستويات الكوليسترول في الدم أقرب إلى الانخفاض ، وفي المقابل ارتفاع مستوى الكوليسترول في الدم يرفع معدلات الإصابة بأمراض القلب !!

من خلال ذلك قامت المجموعة الطبية البريطانية بعدة بحوث لتحقيق التوازن في المستويات والمعدلات بقيادة د . كريستوفر إيسلز C. Isles نشروا أحدها في (British Medical Journal) .

خفض المستويات

واجه العلماء تحديا كبيرا ألا وهو إمكان خفض الكوليسترول في الدم من خلال إجراء تغييرات في الغذاء ، ومعظمنا يعرف أن مصنع الجسم الكيميائي (الكبد) أكبر منتج ومستهلك لمركبات الكوليسترول ، ومعظمنا يعرف أن الكوليسترول يوجد بتركيز كبير في صفار البيض والشحم الحيواني ولحم البقر والخنزير والدجاج وفي الحيوانات الصدفية ، والجدول (٢) يوضّح بعض أنواع الأطعمة وكمية الكوليسترول بها :

غير أن معظم الكوليسترول في دم الإنسان متضمن في مركبات مصنوعة في الجسم للقيام بأغراض ضرورية جدًّا ومتعددة ، وعلى الرغم من أن العلاقة بين الغذاء ومرض القلب هي علاقة واهية في أحسن

جدول (١)

متوسط مستوى الكوليسترول في بلازما الدم	عدد الإصابات بمرض القلب التاجي
منخفض (أقل من ٢٠٠مجم في الديسيليتر)	١٠
متوسط (بين ٢٠٠ـ ٢٣٩ مجم في الديسيليتر)	١٢
عالٍ (٢٤٠ـ ٢٦٠ وفوق ذلك مجم في الديسيليتر)	١٨

الأحـــوال إلا أن نظـــريـــة خفض الكوليسترول ظلت ترتكز على إمكان التدخُّل الغذائي مع أن الجسم يصنع مستوى مقررا لمستوى الكوليسترول في الدم ويترك لأية خلية الحرية في صنع أية كمية إضافية فيه .

وبعد عدة تجارب تركزت في مداخل ثلاثة هي :

١) خفض الكوليسترول في الغذاء

٢) خفض الدهون المشبعة (الحيوانية)

٣) خفض كمية الغذاء (أي مجمل السعرات الغذائية المتناولة) .

وكانت النتائج ـ للأسف ـ مخيبة للآمال .

الطيب والخبيث

الكوليسترول مادة دهنية موجودة في خلايا الجسم وهو أحد مكونات الخلايا ومنه يتمّ تصنيع عدد من الهرمونات والمواد الأساسية : الكورتيزون وهرمونات الذكورة وهرمونات الأنوثة والأحماض المرارية التي تساعد على امتصاص الدهون من الأمعاء ، **ويحصل الإنسان على الكوليسترول من مصدرين رئيسين :**

١) **مصدر داخلي** : يتم تصنيعه عن طريق الكبد في الجسم .

٢) **مصدر خارجي** : من الغذاء وخاصة اللحم الحيواني وصفار البيض ومنتجات الألبان وغيره .

فإذا سببت في وقت ما بعض العمليات الإيضية غير الطبيعية في الجسم ارتفاعًا في تركيزه في الدم وحدث المرض يجب عدم إلقاء اللوم على الكوليسترول وإنما على تلك الظروف الطارئة .

وهذه المركبات التي تصنع في الجسم تنقسم إلى قسمين :

١) **LDL** : الدهنوبروتين قليل الكثافة «الخبيث»

٢) **HDL** : الدهنوبروتين عالي الكثافة «الطيب» .

والكوليسترول الطيب دوره غير واضح على أنه يظن أنه مفيد في جميع حالاته وحيثما وجد .

فوائد الكوليسترول

يحتاج الإنسان إلى الكوليسترول في جميع مراحل حياته بما فيها فترة الرضاعة فهو على مدى مراحل العمر مفيد جدًّا في تكوين الجلد ويدخل في تركيب أغشية الخلايا نفسها وهو مركب أساسي في إنتاج بعض الهرمونات المهمة وفي تكوين العصارة الصفراوية وفي بناء فيتامين «د» في الجلد وله أهمية كبيرة في إكساب الجلد القدرة على تفادي كمية كبيرة من الماء

ولنعرض لبعض الفوائد :

١) **تركيب الخلايا :**

هو أحد المكونات الأساسية لمختلف أنواع الأنسجة وبخاصة العصبية والغددية وأغشية الخلايا والأغشية المحيطة بمكوناتها داخل السيتوبلازم كالنواة والنوية والميتوكندريا وغيرها .

٢) **تكوين العصارة الصفراوية :**

يدخل معظم الكوليسترول الموجود في الجسم (نحو ٨٠٪ منه) في تكوين حمض الكوليك في الكبد الذي يؤدي بدوره إلى إفراز العصارة الصفراوية وعندما يفرز هرمون (سكريتين Secretin) في الدم يؤدي إلى إفراز الحوصلة المرارية لنحو ٢٠٠ مليلتر من السوائل القلوية الضرورية لتكوين جزيئات بالغة الدقة من الطعام المهضوم في الأمعاء .

٣) **إنتاج الهرمونات :**

تقوم خلايا بعض الغدد الصماء في جسم الإنسان باستخدام الكوليسترول في إنتاج هرموناتها فتتحول في غدة الكظر إلى ما يُعرف بـ«الستيرويدات» مثل : الدوسيترون Aldosteron والتستوسيرون Testosteron ويكون الهرمون الأخير والأندرجينات مسؤولين عن الخصائص الجينية الثانوية للذكور، كما تستعمل مبايض المرأة الكوليسترول في انتاج هرمونات « الإستراديول Estradion» والإستروجين Estrogen والبروجستيرون Progesteron بينما يستعمل «الكوليسترول» في خصى الرجال كمادة أولية في تخليق هرمون التستوستيرون .

المحصلة النهائية

تبين لنا أن الكوليسترول مظلوم وبريء من كل هذه التهم بل الثابت أن الكوليسترول فوائد متعددة وضرورية للجسم وأن المسؤول عن المرض هو الإنسان ذاته من خلال الغذاء ! ويمكننا أن نخلص إلى نقاط ثلاث :

١) **الاعتدال الغذائي** ضروري لأن معدلات الكوليسترول المنخفضة في الدم يمكن أن تؤهل للإصابة بسرطان الرئة وارتفاعها يؤدي إلى تصلب شرايين القلب .

٢) **الغذاء قليل الدسم** يقلل من خطر الإصابة بالسرطان والوقاية من مرض الشرايين التاجية للقلب وأمراض الدورة الدموية .

٣) **الصحة نعمة إلهية والمرض قدر**، ولذا فإن النقطتين السابقين ليستا قاعدة عامة فهناك حقيقة علمية تؤكد أن مركبات الكوليسترول الهامة في الدم تصنع داخل الجسم ، ولذلك إذا سلّمنا ـ كمحصلة نهائية ـ أن الغذاء هو المسؤول عن مدى إمكان الإصابة بأمراض القلب والشرايين ، فإن العلاقة بين هذه المستويات والتغذية صلة واهية وغير مباشرة !

جدول (٢)

النوع	الكمية	الكوليسترول «مجم»
اللبن الكامل	كوب	٣٣
اللبن الرايب	كوب	٤
الجبن الدسم	١٠٠ جم	١٠٠
الجبن القريش	١٠٠ جم	٥٥
البيض الكامل	واحدة	٢١٣
الزبد	ملعقة شاي	١١
زيت الذرة	ملعقة شاي	صفر
اللحوم البتلو	١٠٠ جم	٨٥
الكبد	١٠٠ جم	٣٨٥
السجق	١٠٠ جم	١١١٠
الطيور	١٠٠ جم	٦٣
الأسماك	١٠٠ جم	٤٩
الجمبري	١٠٠ جم	٢٢٠

المراجع

1) The Chiesterol Myth. by Thomas S. Moore, "The Atlantic"; Sept. 1989.

ت : زهير الكرمي ـ (الثقافة العالمية)

العدد ٥١ ـ س : ٩ ـ ص : ٩٨ ـ ١٦٥ .

2) Angry Response to Low 2 Fat Link With Cancer, by : Gail Vines & S. Kingman, New Scientist, 15 April 1989

جمالية الأدب الإسلامي

بقلم: كمال سعد محمد خليفة

يُتَّهَمُ الأدب الإسلامي بأنه أدب قد يهتم بالأمور الجادة في الحياة ولا يهتم بالمتعة والتسلية، اللتين يبحث عنهما المتلقي في المقام الأول عند قراءته للآثار الأدبية عامة، فأين المتعة والتسلية والسعادة في الأدب الإسلامي ؟! أو بعبارة أدق : أين الأدب الإسلامي من المتعة والتسلية والسعادة ؟

إن الهدف الأسمى للأدب الإسلامي، هو السمو بالإنسان فكرًا وروحًا وسلوكًا، ولكنه على الرغم من ذلك لم يغفل التسلية ولا المتعة ولا السعادة، فإذا لم تكن من بين محرمات الإسلام ومحظوراته فلا يضيق بها الأدب الإسلامي.

يقول الدكتور نجيب الكيلاني[1] : المتعة ـ كما أتصور ـ حالة نفسية، أو وجدانية يتجسد فيها الارتياح والرضا والاهتمام والشغف . . . ولكي أزيد الأمر وضوحا على ضوء العمل الأدبي فأقول : إن الأمر يتعلق بنواح عديدة لتحقيق تلك المتعة، فالدراما الناجحة تبعث على المتعة، والكوميديا المقدمة ببراعة وإتقان تحرك شعور المتعة. ولهذا، فإن الحدث الذي يبعث على الأسى، والحدث الذي يدفع في النفس بموجات الفرح، يستويان في إيجاد المتعة، على الرغم من اختلافهما في الطبيعة، والتأثير، والإيحاء . . .

بين الشكل والمضمون

«وهذه المتعة تنبع من الشكل والمضمون معا، فالقضية أو الموضوع الذي يعالجه الأدب، ثم الشكل الفني بما فيه من بداية وعقدة ونهاية، وبما يتطعم به من تشويق وإثاره وترقب، ثم نمو الحدث، وتصوير الشخصيات والحوار المعبر المتميز في القصة أو الرواية أو المسرحية، وغير ذلك من العناصر التي ترتبط بألوان الأدب، كالقافية في الشعر، والألفاظ المختارة والوزن، كل تلك العناصر المتضمنة في العمل الأدبي شكلا وموضوعا، هي التي تُكَوِّن عنصر المتعة لدى المتلقي».

كما أن انتصار الخير على الشر متعة، وانتحار القيم الرذيلة متعة، والارتقاء بالإنسان والأخذ بيده ليتمكن من أداء مهماته المنوط بها في الحياة متعة، ونشر القيم السامية والفضائل الإيمانية والتعاطف مع الضعفاء وانتشال المخطئين من قوقعات الرذائل متعة، والتنفير من الانحطاط والحث على الفضائل واعتناقها متعة.

الأدب الإسلامي والترويح

هل توجد في الأدب الإسلامي تسلية ؟

الجواب : نعم توجد التسلية في الأدب الإسلامي، فيذكر لنا تراثنا النبوي نوعا منها، **فرسولنا ﷺ في حديث له يقول : « روحوا عن القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلَّت عميت »**. ورُوي عنه ﷺ أنه كان يمزح ولا يقول إلا حقا. فذات مرة رأته امرأة عجوز فقالت له : ادع الله لي أن يُدْخلني الجنة، فقال ﷺ لا يدخل الجنة عجوز، فتقطب وجه المرأة وخافت وقالت : لِمَ يا رسول الله ؟! فقال وهو يطمئنها ويبتسم : لا تخافي ولا تحزني : ألم تسمعي قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿ عربا أترابا ﴾ (الواقعة ٣٧).

فمن هنا نرى أن مبدأ الترويح أو التسلية مقرر ومباح، ولكن في حدود المشروع (التصور الإسلامي)، لأن التسلية تتخذ مسارات متباينة، منها ما يبعث على التخفيف وممارسة تحمل المسؤوليات الضرورية. ومنها ما يصرف عن الاستقامة، ويورث الكسل والفوضى، ويسخر من القيم، ويقتل في النفس الطموح، ويصبح كالمخدر الذي يصنع الخيالات والأوهام، ويدفع إلى ارتكاب الحماقات والرذائل، وهو أمر مرفوض بكل المقاييس.

أدب السخرية

ويدخل ضمن التسلية ما يسمى بالسخرية وهي نوعان : نوع يوظف السخرية في النقد اللاذع الذكي للأوضاع الفاسدة والشخصيات المنحرفة، والقوى الجائرة، التي تضرب بالقيم والمبادئ عرض الحائط، تُسَخِّر الضعفاء والمقهورين، لأطماعها الدنيئة. والأدب الذي يعبر ـ بسخرية واعية ـ عن هذا الخلل، أدب قوي بَنَّاء، يهاجم السلبيات، وينبه إليها، وهذا ما نُعْنَى به في الأدب الإسلامي.

أما النوع الآخر من أدب السخرية فهو السطحي الذي ينهش في أعراض الناس وينال من ذوي العاهات، والأحزان والجهالات، والفقراء وأصحاب بعض الحرف، وما أكثره في إعلامنا، إنه خليط من الهمز واللمز والبذاءة. وبرغم ما يبعثه من إضحاك ومرح إلا أنه يورث الضغائن والأحقاد، ويساعد على تنمية العقد النفسية، وبذر بذور الشقاق بين فئات المجتمع، وخصوصًا أن كثيرا منهم يستعين بفحش القول وبذاءة السلوك. ومثل هذا النوع يتنافى مع القيم الإنسانية، ويجب أن يعف عنها صاحب القلم النظيف واللسان الطاهر.[2] ومن ثم فإنه يخرج عن دائرة الأدب الإسلامي.

السعادة لون مختلف

السعادة في الأدب الإسلامي نابعة من القناعة التي أمر بها الإسلام، يقول

> «اهتمام الأدب الإسلامي بالمضمون لا يلغي اهتمامه بالشكل»

رسولنا الكريم ﷺ : « **من بات آمنا في سربه معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حِيزَت له الدنيا بحذافيرها** » . وهي نابعة كذلك من الرضا بالقضاء والقدر، لا التمرد على حكم الله ومشيئته، فالأدب الإسلامي في الوقت نفسه ليس أدب الخضوع والسكون، ولكنه إن كان فهو خضوع لذي الجلال والرضا بقضائه، وتمرد على الشرور والضوائق، وتمرد كذلك على السقوط والتردي، فهو أدب النهوض والاستعلاء.

والقرآن الكريم يحدثنا عن السعادة الحقيقية في إحدى آياته : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يَحْزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ . (يونس ٦٢ـ٦٣).

فشرط تحقق السعادة الإيمان والتقوى؛ ورحم الله شاعرنا إذ يقول :

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقيَّ هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخرا ... وعند الله للأتقى مزيد

فالمفهوم الإسلامي للسعادة « شعور نفسي وعقلي، يتسم بالاطمئنان والرضا، والأمان يحيطه سياج من الإيمان بالله وهي مرتبة، أو حال، يمكن أن يصل إليها الغني والفقير على حد سواء، وجانب المادة فيها معترف به، لكن في حدود الحاجة دونما جشع أو أنانية، وفي حدود الشرعية التي فصلها الإسلام» (٣) .

أدب بلا حدود

إن الأدب الإسلامي لا يحد من مجالات الإبداع، ولا يُقْصِرُ التعبير على نوع معين من قضايا المجتمع دون الأنواع الأخرى، لكنه يوسع ويفسح مجالات التعبير، ويحلق في آفاق الإبداع فيجعلها رحبة واسعة سعة الإسلام والكون والحياة. وبهذا الشمول والاتساع والامتلاء تصبح اللوحة الفنية أجمل وأكمل وأمتع، تصبح مليئة بالحركة الموارة، والحياة الزاخرة، فيتحقق الارتقاء الذي نرجوه لهذا المجتمع فكرًا، وثقافة، وحياة(٤).

الهوامش

(١) نجيب الكيلاني، آفاق الأدب الإسلامي ـ مؤسسة الرسالة ـ ط١ ١٩٨٥م ـ بيروت ص ١٢٢ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٥ .

(٣) نجيب الكيلاني، الإسلام وحركة الحياة. مؤسسة الرسالة، ط١ ١٩٨٨م، بيروت. ص ١٢٦ .

(٤) علي أحمد العريني، الفكاهة الهادفة في الأدب العربي. مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، ع ٧ .

الغزال التائه

شعر: إسماعيل نوري الربيعي

يا غزالاً صاد قلبي خلسة
حسب الصيد سهامًا في رشا
إن يكن حبكم رقا فلا
أجد الصدَّ بديلاً موحشا
هاكم صبحي إذا كان الهوى
جمرَ نارٍ يتلظى في الحشا
غصنُ بانٍ هزّه ريح الصَّبا
وهفا حول عيوني منعشا

* * *

يا سلافًا كدر الماء مزاجه
ضيَّع الصب هداهُ إن مشاه
يسأل العشاق عن حب نأى
ليس يدري ما شقاه أو دهاه
حسبه الصبر على نار الهوى
لا ولا يدري بمن كان سقاه
آهة حرَّى تبدَّت في الفؤاد
ليس لي منها سوى هَمٍّ وآه

قصة قصيرة

لقاء

بقلم: رستم كيلاني

أمام محل بيع المثلجات وقف ينتظر ابنته التي رغبت في شراء كوب من « الجيلاتي » . . وبينما كان يشعل سيجارته وقع بصره عليها . . لمحها، كانت واقفة هي الأخرى تنتظر طفلها الذي وقف بين زحام الأطفال ليشتري له كوبًا من «الجيلاتي» . . والتقت عيناها بعينيه في نظرة صامتة!!

وسبح تفكيره، وحملته ذاكرته إلى الوراء لحظة . . لقد كانت في يوم ما بالنسبة له الدوحة التي يتنسم فيها اللحظات الحلوة، معها رسم مستقبله بأحلام وردية زاهية، ولكن لم يشأ القدر أن يتحقق هذا الحلم، فلقد فوجئ بوالده يصدم حلمه، يوقظه في أجمل اللحظات عندما قال إنه تم الاتفاق مع عمه لأن يكون زوجًا لابنته حفاظًا على ثروة العائلة واحترامًا لتقاليدها الموروثة، ولما حاول الهرب من هذه الزيجة أقسم والده يمينا بالطلاق أن هذا الأمر لا رجعة فيه، وتملك قلبه اليأس . وعندما أفضى إلى حبيبته بهمومه ومشاكله صمتت وانحدرت على وجنتيها دمعتان سرعان ما أزالتهما بابتسامة شاحبة، واختفت بعد ذلك عنه بلا وداع!!

فأرسل إليها رسالة يستفسر فيها عن سبب عدم مقابلته . وعاش أسبوعًا مريرًا من العذاب يترقب ورود البريد، كلما قرب موعد حضوره اليومي، ويخفق قلبه خشية أن لا يكون حاملاً منها رسالة تعزيه في محنته، وتجيب على تساؤله .

وتحققت مخاوفه فلم ترد منها أية رسالة بالرغم من ذلك كان ينتظر كل يوم على أمل، ولكن طال الانتظار، وضعف الأمل وراحت أيامه تمضي ثقيلة مملة تحطِّم الروح .

وسرعان ما طوته الأيام ومضت بعيدًا، وتزوج من ابنة عمه إرضاء لوالده وعاش هذه الحياة التي فرضت عليه .

وانتبه لصوتها وهي تقترب منه هاتفة بشوق باسمه وتصافحا وسألته عن أحواله، وعن هذا الشيب الذي تسلل إلى شعر رأسه، كما سألها هو عن حياتها، ولماذا لم تسأل عنه طوال هذه الفترة، ولماذا لم ترد على رسالته التي انتظرها طويلاً؟

فأجابته بأنها هي التي أرادت ذلك، أرادت أن تضع حدًّا لهذه العلاقة، فاختارت بنفسها هذه النهاية، ضحَّت من أجله في سبيل أن لا يحرم من ميراث والده، وحتى لا تكون سببًا في غضب أهله عليه، فضَّلت أن تنسحب في هدوء من هذه المعركة على الرغم منها، ورغم حبها الشديد له .

وقطع حديثهما الطفلان عندما عادا وبيد كل منهما كوب «الجيلاتي» يأكلان منه وهما في واد آخر . .

وقالت متسائلة وهي تبتسم في عذوبة وتمسح بيدها على رأس الصغيرة :

- أهي ابنتك ؟

أجابها وهو يحملق في عينيها :

- نعم وسميتها باسمك ذكرى حية لحبي لك كما ترين، وهذا ابنك؟

فقالت على الأثر :

- ابني . . وليس ابني . .

وبعد هنيهة صمت، قالت :

- هو ابن شقيقتي الكبرى التي توفيت وقت ولادته وإرضاء له وحفاظًا على مستقبله رضيت أن أتزوج زوج شقيقتي . . هكذا الأقدار يا عزيزي تفعل بنا ما تشاء، وترسم لنا خطوط حياتنا دون أن ندري بها، أو نتوقعها، أو نحسب حسابها، ابتسم ابتسامة باهتة لظروف القدر وتصاريفه . .

ولما حانت لحظة الوداع، ومدَّت له يدها، قال لها وهو يصافحها وقد تعلَّقت نظراته بوجهها :

- هل أطمع في رؤيتك مرة ثانية . .

فابتسمت ابتسامة حلوة رقيقة، ثم قالت ويدها بين راحتيه وهي تشمله بنظراتها وبصوت هادئ عميق :

- فلندع ذلك للقدر فهو الذي دبَّر لنا هذا اللقاء كما ترى، قد نلتقي، وقد لا نلتقي لكن ربما يكبر هذان الطفلان ويتلاقيان، ربما يدبر لهما القدر لقاء يكملان به قصة حبنا القديم، وأتمنى أن يكون حظهما مع القدر أسعد من حظنا، فلا يصادفان تلك الأشواك التي ألقيت في طريق حبنا .







بقلم الشيخ: حمد الجاسر

عودة إلى المكتبة العامة في فيينا

في الحلقة السابقة حكى الشيخ حمد الجاسر عن عودته إلى ميونيخ حيث التقى بالأستاذ عبد الله الخيال - سفير المملكة هناك في ذلك الوقت - والأستاذ عبد الله بن عبد العزيز بن حسين الملحق الثقافي السعودي، وفي صحبتهما تعرّف على كنوز من المخطوطات العربية هناك، وفي هذه الحلقة يواصل الجاسر بحثه عن المخطوطات هناك.

ومن أنفس ما طالعت في هذه المكتبة من المخطوطات مجموعٌ يضم رسائل للأصمعي ومعها رسالة لِقُطْرُب، كان الأستاذ الدكتور طريف السَّمَّان قد تحدث عن هذا المجموع في كُتيب (كتالوج) أُصْدِرَ عن معرض للفن الإسلامي الذي أقامته المكتبة العامة في فيينا منذ بضع سنوات، ونُشِـرَ في الكُتيب أنموذج مصورٌ لإحدَى صفحاته، فاستهواني حسن الخط وقدمُه للاطلاع على ذلك المجموع، فإذا هو على درجة من الأهمية بحيث استرسلت في تصفحه كاملا، ولم أقنع بالوصف الوارد له في الكتيب الذي أتحفني به الدكتور السمان، ولكنني سأورد بَعض ما فيه: (أوراق شرقية قديمة بنية اللون سميكة ٧٥ ورقة (١٤٩ صفحة) مقاس ١٦٢×١٤٠م بخط النسخ المتطور من الكوفي في حوالى منتصف القرن الرابع الهجري، مشكل بالحركات والنقط، ونهاية الجمل مميزة بدائرة بداخلها نقطة. وقيمة هذا المجموع لا تكمن في كونها علمية هامة، ولكنها كبيرة من ناحية الخط، إذ خط هذه المجموعة يعتبر مثالا هاما لتطور الخط من الكوفي القديم إلى الخط المستدير النسخي). هذا ملخص ذلك الوصف.

وأضيف إليه: إن الكتابة مع جودتها وعناية الكاتب بتشكيل الكلمات قد يقع فيها بعض الأخطاء مما صُحِّحَ بعضُه في الهامش، وقد يخالف الكاتب القاعدة الإملائية المعروفة في كتابة بعض الكلمات كإلحاق الألف بعد واو الفعل وإن لم تكن واوَ جماعةٍ، وعدم كتابة الهمزة في الكلمات المهموزة، وغير ذلك مما سيلاحظه القارئ من النماذج المصورة هنا، وأعود لِتصفح المجموع:

صفحته الأولى تحوي بعد ذكر أحد ملاكه وهو (عبد القادر بن عمر البغدادي الكيلاني) ولعله العالم المعروف صاحب «خزانة الأدب» وغيرها من المؤلفات، ثم (هذا مجموع فيه كتاب خلق الإنسان، وفيه كتاب الوحوش، وفيه كتاب الفَرْق، وفيه كتاب الإبل، تأليف عبد الملك بن قُرَيبِ الأصمعي، وفيه أيضا كتاب ما خالف فيه الإنسان، البهيمة لِلْقُطْرب، وفيه أيضا كتاب الأضداد عن الأصمعي). وهذه الصفحة كتابتها تغاير كتابة الأصل، فهي حديثة.

أمَّا الأصل فيبدأ بعد البسملة بجملة: (ما يُذْكَرُ منْ حَمْل المرأة وولادتها والمولود، قال أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْبِ الأصمعيُّ: يقال للمرأة في أول ما تَحْمِلُ: نَسِئَتْ وهي نِسٌ [١]، كما ترى، فإن اشْتَهَتْ على حَمْلِها شيئا فهي وَحْمَى، والمصدر الوَحَمُ).

ثم في الورقة الـ(٤٠): (وفي الرِّجْلِ العَرَجُ والقَزَلُ، فالقَزَلُ أسوأُ العَرَج، يقال: عَرِجَ يَعْرَجُ عَرَجًا، إذا حدثَ فيه عَرَجٌ، وعَرَجَ يَعْرُجُ عَرَجانًا، إذا مشى مِشيةَ العُرْجَان.

وفي الورقة الـ(٤٢): (وقال رؤبة [٢]:

وعَـاشَ لَوْ سَـأَلْتَـهُ أُمَّـهُ أَلْـوَسَـا ... أَوْ أُخْتُـهُ لَمْ يُعْطِهَـا [٣] دَرِيسَـا

يَـالَيْتَـهُ لَمْ يُعْطَ هَلْبَسِيسَـا ... وعَـاشَ أَعْمَى مُقْعَـدًا سَرِيسَـا

حتَّى يَضمَّ الوَارِثُونَ الكِيسَا

الألوس: الشيء اليسير. والدريس: الثوب الخلق، والجميع دِرْسانٌ، ويقال: ما له هَلْبَسِيسٌ أي ما له شيء [٤]، وهذه كلمة تقال في النفي لا يقال: له هلبسيس، إنما يقال: ما له هلبسيس.

هذا كتاب أسماء [٥] الوحوش وصفاتها.

هذه صفة الحمار، قال أبو سعيد الأصمعي: هو الحمار والعير والمِسْحَل... إلخ.

وفي الورقة الـ(٥٢): (وقال عمرو بن معدي كرب الزبيدي:

لَـهُ السِّرْحَـانُ مفترِشًـا يَـدَيْـهِ ... كَـأَنَّ بَيَـاضَ لَبَّتِـهِ الصَّـدِيعُ

تَمَّ كتاب الوحوش عن الأصمعي.

[صورة الصفحة الثانية من المجموع]

كتاب الفَرْق عن الأصمعي.

هذا كتابٌ ما خالفَ فيه الإنسانُ البهائم والسِّباع عن الأصمعي.

قال: يقال فَمُ الإنسان، وفيه ثلاث لغات فَمٌ وفُم وفِم).

ثم في الورقة الـ(٥٨): (تم كتاب الفرق عن الأصمعي. هذا كتاب ما خالف فيه الإنسان البهيمة من قَرْنِهِ إلى قدمه عن قطرب (ثم كلمة غير واضحة كأنها محمد).

وفي الهامش بخط قديم مغاير لخط الأصل: (بدأ بقراءة هذا الكتاب كتاب الفَرْق يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوال سنة إحدى وستين وثلاثة مئة على الشيخ أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي صاعد بن . . . بن زهرون الصابي وسمع إسحاق بن أحمد بن عبد الرحمن الكاتب، والحسن بن إبراهيم).

وفي الهامش أيضا: (حدثنا الفقيه أبو سعيد قراءة عليه، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، قال: أخبرنا محمد بن الجهم أبو عبد الله، قال: سمعت قطربا النحوي بإملائه علينا سنة خمسين (؟) ومئتين: قالوا في مثل الفم من الإنسان الفمُ والفُمُ والفِمُ) ثم الاسترسال في الكتاب. (انظر ص ١٧).

وفي الورقة الـ(٩٠): (وأنشد للطرماح:

كَأَمِّ الحُبَيْنِ لا يَرى النَّاسُ غَيْرَها ... وغَابَ حُبَيْنٌ حيثُ زَاغتْ بنو سعد

فأدخل الألف واللام.

تمّ كتابُ ما خالف الإنسانُ البهيمةَ وأحوالها عن قطرب والحمد لله رب العالمين).

وفي أول الورقة الـ(٩١) بعد البسملة: (تقول العربُ: قد بان الأمر، وأبان، ونال وأنال إذا حان، وقد نار الأمر، وأنار إذا وَضَح وتبين، وقد عاضه وأعوضه إذا عَوَّضَهُ شي من شي [٦]. إلى الصفحة الثانية من الورقة الـ(٩٤) فتلك الصفحات تحتوي على مجموعة من الأفعال الماضية المجردة التي لا يتغير معناها إذا زيدت في أولها الألف، كما تحوي كلاما حول مخارج الحروف، مثل (إذا جاءت السين وبعدها الطاء أو قاف أو غين أو خاء وإن كان بينهما وبين السين حرف أو حرفين (؟)، انقلبت السين صادًا في لغة بني العنبر من تميم، والعلة في ذلك أن السين من مخرج الصاد وهما من حروف الصفير، غير أن الصاد). . . إلخ.

وفي أول الصفحة الثانية من الورقة الـ(٩٤) بين السطور بخط مغاير لكتابة الأصل: (بدأ بقراءتي على الشيخ أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي النحوي وأنا أنظر في كتابي وأصل الشيخ الذي قرأته على أبي بكر بن دريد يُنظر (ثم كلمات غير واضحة) الطوسي يوم الثلاثا لسبع خلون من ذي القعدة سنة إحدى وستين وثلاث مئة وسمع محمد بن إسحاق الطوسي، وابن سكرة الهاشمي، ومحمد بن علي الصبريني (؟).

ثُمَّ كتاب الإبل عن الأصمعي.

قال أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعيُّ: أجودُ وقت يُحْمَلُ فيه على الناقة أنْ تُجَمَّ سنةً وتُحْمَل عليها فيقال: قد أُضْرِبت الفَحْلَ، وأَضْرَبَها الفحْلُ). . . إلخ.

[صورة الورقة الـ ٥٨ من المجموع]

"بهرتني مخطوطات رسائل الأصمعي والتي تُعد مثالاً لتطور الخط العربي"

وفي الورقة الـ(١٣٥) : (ويقال فَرَسٌ حتٌّ إذا كان سريعا . تم كتاب الإبل من تأليف أبي سعيد عبد الملك بن قُريب الأصمعي ، والحمد لله كثيرا . كتاب الأضداد عن الأصمعي) .

ثم في أول الورقة الـ(١٣٦) : (قال الأصمعي : القُرْؤ [٧] عندَ أهلِ الحجاز الطُّهْرُ ، وعند أهلِ العراق الحيض ، وقال أبو عَمْرو بْنُ العلاء : يقال : دفع فلانٌ إلى فلانة جاريةً يقرئها [٨] ، مهموزة مشددة يعني تحيض عندها وتَطْهر إذا أراد أن يشتريها) .

وآخر المجموع في الورقة الـ(١٤٦) : (قال امرؤ القيس في الناهل :

إذْ هُنَّ أقْساطٌ كرِجْلِ الدَّبَا   أوْ كَقَطَا كاظِمَةَ النّاهِلِ

أقْساطٌ : قطَعٌ من الخيل . والناهِلُ هاهنا : العطشان . والشفُّ : الفضل ، يقال . . . . [٩] غلاما على الشف أي على الربح والفضل ، ويقال : فلان أشَفُّ من فلان ، أي أفضل منه وأكبر سنًا ، وتقول : لا تُشِفَّ بعض الورقِ على بعضٍ ليكون ربًا) . ثم ينتهي المجموع .

وفي بعض الصفحات حواشٍ منها :

١ ـ ق ٦ : (قال الشيخ أبو محمد الحسن بن علي) .

وكذا في (ق ١٣) : (قال الشيخ أبو محمد) .

٢ ـ ق ٤٢ : (والمحق الطويل) وفي الهامش : (قال أبو محمد : انما هو المحق بكسر الميم) .

٣ ـ ق ٤٣ : (والبرم الذي لا يأخذ في المسير) أبو محمد : إنما هو الذي لا يدخل في المعيسر .

٤ ـ ق ٦٨ : (بلغت قراءة أبي منصور صاعد بن زهرون الصابي) .

٥ ـ ق ٧١ : (بلغت قراءة أبي منصور صاعد بن زهرون الصابي وسمع أحمد بن محمد الخلال ومحمد بن عبد الصمد . . والمحسن بن إبراهيم الصابي) .

٦ ـ ق ٧٣ : (بلغت قراءة صاعد بن زهرون وإسحاق بن أحمد بن محمد الخلال والمحسن بن إبراهيم وعلي بن محمد الهاشمي ومحمد بن أحمد الخلال ومحمد بن علي الضريبي والحسن بن ساب و . . . وعبد الواحد بن أحمد وابنه محمد) .

ولا تفوت الإشارة إلى أنَّ رسائل الأصمعي التي في هذا المجموع قد نُشرَتْ باستثناء الكتاب الأخير، فلا أعرف شيئا عنه ، ولكن مما لا شك فيه أن قِدَمَ خطّ هذا المجموع ، وصحة ضبط كتابته ، مما يعين على تصحيح كثير من النصوص المنسوبة إلى الأصمعي في معجمات اللغة المشحونة بالنقول عنه ، ومن هنا تبرز قيمة ذلك المجموع .

[صورة الصفحة الأخيرة]


د. أحمد الضبيب

«اطمأننت عندما أخبروني أن الدكتور الضبيب صوّر نفائس المخطوطات هناك لتوضع تحت تصرف الباحثين»

لم أكُنْ على درجة من الصحة تمكنني من التردد على هذه المكتبة التي تحوي نفائس من المخطوطات.

واطمأننت حين أخبرني الأخ الدكتور طَريف السمّان أن الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب ـ مدير جامعة الملك سعود الآن ـ سبق أن زار هذه المكتبة حين كان يتولى عِمادة شئون المكتبات، وأنه اختار مجموعة من مخطوطاتها، فصورت على أشرطة (ميكروفلم) ضُمَّتْ إلى مكتبة الجامعة، اطمأننت أن الدكتور الضبيب ـ وهو الخبير بنفائس المخطوطات ـ لم يدع منها ماله قيمة دون أن يصوره.

ولن أنسى ما قابلني به الأخ الدكتور طريف السمان من كريم العون والمساعدة، فقد أكرمني ـ أكرمه الله ـ بتصوير ثلاثة من الكتب هي:

١ ـ «المسالك والممالك» للبكري النسخة الأولى قبل اطلاعي على النسخة الثانية.

٢ ـ «ترويح قلب الشجي».

٣ ـ المجموع الذي يحوي مؤلفات الأصمعي.

حول مدينة فينا

لم يدع الابن الكريم الأستاذ عبدالله بن عبد العزيز بن حسين الملحق الثقافي ـ لم يدع وسيلة يستطيعها، من وسائل إكرامي أنا والأستاذ الشيخ عبد الله الخيال إلا بذلها، فقد تجول بنا في ضواحي المدينة، بحيث شاهدنا أبرز معالمها، كالجبل الذي وضع فوقه الأتراك المدافع أثناء محاصرة مدينة فينا، وشارع (تابور) الذي بلغته عساكرهم، كما أزارنا بعض القرى النائية الجميلة، وشاهدنا هناك القلعة التي حبس فيها (ريتشارد قلب الأسد) القائد المعروف في الحروب الصليبية، فعوقب حين هزمه صلاح الدين بالحبس، حتى مات في تلك القلعة التي تثير مشاهدتها من الذكريات ما يعصر القلب ألَمًا وحزنا حين يذكر المرءُ قوة المسلمين في ذلك العهد وضعفهم في عصرنا الحاضر. لندع هذا لإيجاز ما أفضل به الابن الكريم وما أكثره، فهو الذي عرّف الدكتور السمان بي بحيث يسر لي الحصول على ما أردت الحصول عليه من تلك المصورات، كما أفضل ـ زاده الله فضلا وتوفيقا ـ بإيصالها إلي. وبالإجمال فمهما عبرت عن شكره إزاءَ ما غمرني من فضله فلن يفي بحقه، وفقه الله ورعاه.

«للحديث صلة»

الهوامش

(١) كذا بدون همزة في الأخيرة، وبإثباتها في الأولى، وكأنها مضافة بعد كتابة الأصل.

(٢) كذا (وعاش) وبها ينكسر البيت، وليست في الديوان، وكأنها مضروب عليها.

(٣) في «ديوان رؤبة» ـ ٧٢ ـ: . . . . لم يَكْتُبها دَرْبُنا.

(٤) بدون همزة.

(٥) كذا (يقال).

(٦) كذا (عوضه شي من شي) ولعل الصواب (عوّضه بشيء عن شيء).

(٧) كذا (القرو) بدون همزة.

(٨) كذا والمراد (يُقرِئُها).

(٩) كلمة لم تتضح في التصوير.

المخدرات داء العصر

شعر: عيد أحمد عبد الكريم



وَلَّـى الشَّبـابُ وَطَأْطَأَ المذْيُونُ   وَجَـرَى وَرَاءَ الماكِرِ الملْعُونُ
طِفْلٌ تَعَاطَى جُرْعَةً مِنْ مُهْلِكٍ   حَتَّى فَنَاهُ المهْلِكُ الأَفْيُونُ
يَرْتَادُ أَوْكَارَ المهالِكِ مَرَّةً   وَيَرُومُ حاناتِ الخَنَا مجْنُونُ
ذَاكَ ابْتِلاءٌ مَنْ أَحَبَّ مَذَلَّةً   كانَ الضَعِيفُ بِسِحْرِهِ مَفْتُونُ
داءٌ تَوَاتَرَ بَيْنَ جَمْعِ عِصَابَةٍ   حَتَّى تَمَكَّنَ نابُهُ المسْنُونُ
يَنْتَابُهُ هَوَسٌ وَيَبْدُو فاقِدًا   لِلْوَعْيِ حِينَ يُؤَرِّقُ المحْزُونُ
قَدْ شَمَّ مِنْ ذاكَ الخبيثِ قَلِيلَهُ   فازْدَادَ فِيهِ سُعَارُهُ المأْفُونُ
وانْسَاقَ في دَرْبِ الهَوَى مُتَمَتِّعًا   باللاَّهِياتِ الماحقاتِ زَبُونُ
حَتَّى غَدَا شَبَحًا يُجَسِّدُ حَالَةً   لِلْمُدْمِنِينَ وَعُمْرُهُ مَرْهُونُ
يَدْنُو مِنَ الموْتِ المحَتَّمِ مَرَّةً   وَمِنَ الهَلاَكِ بِمِثْلِهَا «حَسُّونُ»
يَسْتَهْلِكُ الإنْسانُ كُلَّ شَبَابِهِ   وَيَؤُولُ في الأَحْيَاءِ مِثْلَ «سُنُونُو»
وَهُوَ الضَعِيفُ الـمُسْتَكِينُ لِعَادَةٍ   قَدْ سَيْطَرَتْ إِذْ أَذْعَنَ الـمِسْكِينُ
مُتَقَوْقِعٌ بِشَقَائِهِ، وَيَظُنُّ أَنْ   دُنْيَاهُ، كَوْنٌ عَالَمٌ مَأْمُونُ
فِيهِ اجْتَنَى حُرِّيَةً بِسَعَادَةٍ   بِخَيَالِهِ والصِّدْقُ فَهُوَ سَجِينُ
عَاشَ الغَبِيُّ بِتُرَّهَاتٍ مُمَوِّلٍ   وَاعْتَادَ أَنْ يَبْتَزَّ مِنْهُ خَؤُونُ
هَذَا يُحِبُّ المالَ مِثْلَ عِبَادَةٍ   وَيُبَدِّدُ الأَرْوَاحَ حِينَ تَهُونُ
وَيُقَدِّسُ الرِّبْحَ الـحَرَامَ لأَنَّهُ   رِبْحٌ سَرِيعٌ جَاهِزٌ مَضْمُونُ
يَأْتِيهِ دُونَ مَشَقَّةٍ مِنْ مَصْدَرٍ   لا يَعْرِفُ الإِحْسَانَ فَهْوَ مشِينُ
والآخَرُ الـمِسْكِينُ يدْفَعُ صَاغِرًا   في زَحْمَةِ الآلامِ فهو حَزِينُ
وَبِوَطْأَةِ الإِرْهَاقِ صَارَ مُوَزَّعًا   يَنْتَابُهُ هَمٌّ إِذًا وأَنِينُ
أَمْرَاضُ عَصْرٍ بعْضُهَا لَكَ ظَاهِرٌ   أَوْ قَابِعٌ مُتَغَلْغِلٌ وَدفِينُ
صَارَتْ تُمَزِّقُ في الشَّبابِ بِجِدِّهَا   وَتَعِيثُ في أَجْسَادِهِمْ سِكِّينُ
مَنْ رَامَ تِلْكَ المهْلِكَاتِ فَسَوْفَ لاَ   يَرْتَاحُ في أَجْوائِهِنَّ قَرِينُ
سَتَكُونُ أَوَّلَ خُطْوَةٍ لِفَنَائِهِ   وَحَيَاتُهُ لِجَهَنَّمٍ عُرْبُونُ

من معين الأسوة الحسنة:

الرِّفق بالخدم

بقلم: د. محمد الأحمدي أبو النور



كــان ﷺ أحسن النـــاس خَلْقًـــا، وأعظمهم خُلُقًـــا، وأسمحهم نفسًا، وأنداهم يدا، وأوفرهم حلمًا، وأرعاهم لآل بيته وذويه، وأرحمهم بخدمه ومواليه.

وقد روى الترمذي في سننه وابن حبان في صحيحه بإسناد صحيح من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

وروى مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٤) من حديث أنس بن مالك، - رضي الله عنه - قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أُفٍّ قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟

وكما في صحيح مسلم أيضا فإن أنسا - رضي الله عنه - يفسر هذا الذي يحدّث به، حين يروي لنا قصة التحاقه بخدمة البيت النبوي فيقول:

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، أخذ أبو طلحة (يعني زوج أم أنس) بيدي فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إن أنسا غلام كيّس (أي عاقل فطن) فليخدمك، قال: فخدمته في السفر والحضر، والله! ما قال لي لشيء صنعته: لِمَ صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيءٍ لم أصنعه: لِمَ لَمْ تصنع هذا هكذا؟

وهذا محمول - بداهة - على أن أنسا - رضي الله عنه - كان نعم الخادم الفطن الذي يتحرى الامتثال الأوفق لما يأمره به ﷺ، كما كان نعم الخادم الأمين الذي يتوقى أن يتورط في خطأ يُغضب الرسول ﷺ.

ومن هنا كان ﷺ سمحَ النفس، رضيَّ القلب معه - رضي الله عنه - حين يبرر منه بعض الخطأ في بعض الأحايين.

ولا ريب أن هذا التسامح النبوي بالنسبة لأنس إنما كان فيما يتعلق بالخدمة، والآداب العامة، والحقوق الشخصية للرسول ﷺ لا فيما يتعلق بالتكاليف الشرعية أو مواجب العقيدة الإسلامية، بصفة عامة.

أجل! فمن غير المعقول أن يبصر ﷺ من أنس بخطأ في هذا الجانب ثم لا يقومه بالحكمة والموعظة الحسنة، تبصيرًا له بالصواب والسنة، كما هو شأنه ﷺ مع عامة أفراد الأمة.

بيد أنه - حتى في هذا الجانب - فإنه - عليه السلام - كان يقومه بما عهد عنده ﷺ من رفق ولين، ومن رحمة وحكمة، دون قساوة نفس، أو فظاظة قلب، فقد وصفه ربه بقوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ القلم ٤ وقوله: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ آل عمران ١٥٦.

وقد يَقْدُر ﷺ في أنس حداثة السّن، ونزوعه في هذه الحداثة إلى الانطلاق مع لداته وأترابه في ملاعب الصبية بشوارع المدينة أو أسواقها مُشاهدا أو مشاركا ليروح عن نفسه، أو ليتخفف بعض الوقت من قيود الخدمة التي تلزمه الانحباس عامة الوقت في البيت النبوي، وللسّنّ حكمها ولا ريب.

هنالك يبلو ﷺ هذا الأمر من نفس أنس، فلا يتملكه الغضب، بل يملك نفسه - هو - عند الغضب، ويقدر بواعث أنس، فيتسامح في حقه الشخصي، وهو الذي ما كان يغضب لنفسه قط، فلا غرابة أن لا يؤنب أنسا إذا توانى في تنفيذ ما كلف به، وإنما يواجهه بحكمته، ويوجهه بكياسته، ويعطيه - وهو يسائله - درسا بليغا يؤثر فيه بالرحمة والرأفة ما لا يؤثر غيره ﷺ مع غير أنس بالغلظة والقسوة، أو العنف والشدة!

رفق وملاطفة

وكما يروي مسلم في صحيحه من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلقا، فأرسلني يوما لحاجة، فقلت: (أي في نفسي) والله! لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبيّ الله ﷺ (يقصد لا يذهب سريعا وفي نفسه أن يمتثل أمره ﷺ وإن لم يكن على الفور، ثم يقول أنس) فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: يا أنيس! أذهبت حيث أمرتك؟! قال: قلت: نعم أنا أذهب يارسول الله!

وهكذا يَبْصُر النبي ﷺ بدوافع أنس إلى هذا

التـواني، فـلا يتميـز مـن الغيظ، ولا يتغير من الغضب، ولا ينبـو في التعـامل، ولا يقسـو في التصرف، وإنما نـراه وقـد تحكم في الانفعـال على أنس، بل تبسم ضـاحكـا من فعلـه، وهـو يلفتـه نحوه، وينبهه إلى توانيـه فيما كلف به، ثم يسأله في وداعة الحليم، ورزانـة الحكيم: يا أنيس! أذهبت حيث أمرتك؟

هكذا بهذا الرفق، وهـذه الملاحظة! وكما يقول المرء لابنه الأثير: يا بني!

إن أنسـا لم يـذهب حيث أمـر، فهـا هـو ذا في ملعب الصبية. ثم إنه ﷺ يعلم هذا جيدا. بيد أنه - عليه السلام - يـريد ليلفت نظر أنس إلى لازم هذا السؤال، أو إلى سؤال آخر يتضمنه هذا المقال.

وكأنه - عليه السـلام - يريـد ليقول لأنس: هأنتذا لم تذهب حيث أمرتك فلماذا وكيف؟

أجـل! إنه - عـليه السـلام - يريد لـيقول هذا ولكن بأسلوب أبلغ وأحكم، وانظـر ما أومضت به مشكاة النبوة من كلمات في هذا الموقف:

يـا أنيس! هكـذا يقول ﷺ مـلاطفـا لأنس، ودون أن يقول: يا أنس! أو يا ولد! مع أن المـقام - على ما يتبـادر إلى ذهن الكثيرين - مـقام التأنيب لأنس، والتأديب له، والقسوة في التأديب عليه.

ثم لا يقف أمر الحكمة النبوية عند هذا الحد، بل يـردف عليه السـلام: أذهبت حيث أمـرتك؟ دون أن يقول: لِمَ لم تذهب؟ أو كيف لم تذهب!؟

أسوة حسنة

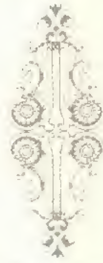
وإذًا فهي الأسوة الحسنـة! وفي إطارهـا يعلمنا ﷺ كيف يكون التحكم في الانفعال، وكيف يكون التخير للسؤال، ثم كيف يكـون التصرف والسلوك في موقف كهذا الموقف.

وإذ تخير النبيّ السـؤال، فقـــد تخير أنس في الجواب!

ولعلـه لـو ضُرب سـاعتئـذ بـالسيـاط مئـات الضربات لكان ذلك أخفّ على نفسه وقعا.

أمـا هذه الـرحمة، وأما هـذه الحكمة فما أقـوى دفعهـا، ليقوم الضمير الحي بـدوره التربوي تأنيبـا للمـرء، ولتقـوم النفس اللـوامـة بحسـابها العسير تقريعا للذات!

> التسامح النبوي كان في الخدمة وليس في التكاليف الشرعية أو مواجب العقيدة



> هكذا علمنا النبي ﷺ التحكم في الانفعال والتصرف في المواقف التي تستوجب اللوم.

ومـا أقسى تأنيـب الضمير، وتلـويم النفس وتقريع الذات، حين يقع ذلك كله على الحر الأبيّ!

وعَوْدا على بدء فلنتساءل بماذا أجاب أنس؟

لقـد أجـاب بما يتضمن اعترافـه بـالتقصير، وانتهاضه للتنفيذ، واعتذاره عما بدر منه، واعتزامه أن لا يعود لمثله مرة أخرى. فما كان جـوابه إلا أن قال: نعم! أنا أذهب يا رسول الله!

وكأنما يـريـد ليقـول: نعـم! لقـد قصرت، وهأنـذا أعترف، وأريـد لأكفـر عن خطيئتي، فأذهب الآن لتـوي يارسـول الله! وعسى أن تقيلني من عثرتي وتتقبل معـذرتي، فما أحسب أن أعاودها إلا أن أستأذن إذا لم أكن مكلفا بمهمة من قبلك يا رسول الله!

وهكـــذا يجمل الصـــدق في الحوار، وتحسن الحكمة في الخطاب، ويرفق المربي في الحساب!

وكم للرفق من أثر نفسي عميق عند من يأسره كرم الموقف، وسمو المسلك!

ولا نحسب أن أنسـا عـاود هـذا التـواني مـرة أخرى، إذ لو كان لـروى، بيد أن شيئا من ذلك لم يبلغنا في مصنَّف حديثيّ.

كما لا نحسب أن القســوة التي تجاوز إطـار الرحمة والحكمـة يمكن أن تجاوز التشفي إلى التأثير التربوي المتوخّى مع من نقسـو معه، أو نعنف به، في الـوقت الـذي يغيب فيـه عمّنْ يكـون قـاسي القلب، أو جاسي الطبع. أن الله تعالى أقرب إليه، وأقدر عليه ﴿إن ربّك لبالمرصاد﴾ الفجر ١٤.

وقـد روى الترمـذي في جامعـه بإسنـاد حسن صحيح من حديث أبي مسعود الثقفي الأنـصاري - رضي الله عنـه - قـال: كنت أضرب مملوكـا لي فسمعت قـائلا من خلفي يقـول: «اعلـم أبـا مسعود، اعلم أبا مسعود! فـالتفت فإذا أنا برسول الله ﷺ. وكـانت مفـاجـأة انعقـد لها لسـان أبي مسعود، وتجمدت معها دمـاؤه في عروقه، وتوقفت يداه عن مملوكه، ثم أصاخ سمعه لرسول الله ﷺ: ماذا يـريد أن يعلمه به؟ وأراد ﷺ أن يـومئ إلى ما أسلفناه آنفـا، وينبه إلى أن الحكمـة أولى بالمرء من القسوة، وأن الرفق أجدى عليه من الشدة، وأن الله أقدر على المرء منه على بنيه أو مـرؤوسيه أو مواليه، وعندئذ قـال الرسـول ﷺ: اعلم أبـا مسعود! لله أقدر عليك منك عليه. أي على هذا الغلام!».

وأجال أبو مسعود في نفسـه معاني هذه الكلمة النبـويـة الجامعـة الموحيـة، ومـا لبث أن تمثلت في سلوكه وداعة ورقـة، ورحمة ورأفة، وقد حدّث عن تأثيرهـا بعـدئذ بقـولـه: «فما ضربت مملـوكًـا لي بعد!».

وفي رواية أن أبا مسعود قال حينئذ: «يارسول الله! هو حر لوجـه الله تعالى»، وأن رسول الله ﷺ قـال لـه: «أمـا إنك لـو لم تفعل للفعتك النـار أو لمستك النـار». وصدق رسول الله ﷺ.

من الدلالات العلمية في القرآن

عبدالله حسن أمان

يـزخر القـرآن الكـريم بالكثير مـن الآيات الكـونيـة، والحقائق العلميـة، والقصص الاجتماعيـة، والأحـداث التـاريخيـة، والأحكـام التشريعيـة، والعبر الفياضة التي تكفل سعادة الإنسان.

والقرآن كتـاب ربّاني مجيد شـامل، غير متخصّص في لون واحـد من ألوان المعرفة، بل يجمع بين دفتيـه من شتّى فروع المعارف ما يجعلـه موضع إعجاب، وكتاب هداية ﴿لا يَأتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيهِ ولاَ مِنْ خَلفِهِ﴾ فصّلت ـ ٤٢.

عـلاوة على ما تقـدم، فإنّ القرآن كتـاب بلاغـة وفصاحـة، متّسق النص والصياغة، غزير في شتّى حقول المعرفة.. نزل به جبريل الأمين على رسول ربّ العالمين.

أذى الحيض

إن مما يتميز به **القرآن العظيم** أنه كتاب إعجاز علمي، تتجلّى آياته بالإخبار عن أسرار هـذا الكـون الفسيح، ومـلايين المخلـوقـات البـديعـة الصنع التي يتصدرها خليفة الله في الأرض ـ الإنسان.

لقد أخبرنا **القرآن العظيم** قبل أكثر من أربعة عشر قرنا عن **النفس البشرية**، وما تحويـه من تأمّلات ووسـاوس وخلجات وقف عنـدها الكثير من المفسّرين والبـاحثين في **المناحي الفسيـولوجية (العضـوية)**، منهـا قـول الله تعـالى: **﴿ويَسْألونَكَ عَنِ المَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فاعتزِلُوا النِّساء في المَحِيضِ ولا تقربوهُنَّ حتّى يطهُـرْنَ فَإذا تَطَهَّـرنَ فأتُـوهُنَّ مِنْ حيثُ أمـركُمُ الله، إنّ الله يحبُّ التَـوّابِين ويُحبُّ المُتطهّرِينَ﴾** البقرة ـ ٢٢٢.

تنطوي لفظة «أذى» في الآية الكريمة السابقة الذكر على الكثير من الأسرار العلميـة التي لم تكن معروفـة بشكلهـا العلمي المعـاصر. لقد تخطّيت المفهـوم اللغوي للفظة أذى، ووقفت عند المفهوم العلمي، وتأملته مليًا، ورحت أطالع ـ من زاويـــة صـغيرة ـ مـا في جعبة العــلم المعاصر عن معانـاة الحيض ووقعه الجسدي والنفسي عنـد الأنثى من بني البشر. فجمعت بعض المراجع العلمية الأجنبيـة المتخصّصـة، وأصبحت أتتبّع مــواقف الأذى التي صرّحت بها الآيـة الكريمة، غير أن ما بحثته ربما لا يفسّر اللفظة المعنية بشكل دقيق!

وخـلاصــة مـا انتهيت إليـه يتمثّل في تتبّع أشكـال «الأذى» وسماع زخم المعلـومات التي تـوصّل إليهـا العلم الحديث، وليس السرد الوصفي للطـرائق العلاجية للانتكاسات والعلل الجسدية والنفسية أثناء الدورة الشهرية للمرأة.

وتتلخّص نقاط البحث في التالي:

الاعتلالات الجسدية

أـ الحيض المؤلم Dysmenorrhea

وتشير هــذه الحالـة إلى التهـاب في الحوض، وورم بُطـاني رحمي والنمـو السليلي في الرحم، وعدد اخر من الاضطرابات التي تصاحب، عادة، الدورة الشهرية. وأشهر هذه الاعتلالات ما يسمّى **«بالحيض المؤلم الرئيس»** Primary Dysmenorrhea وأعراضه كالتالي:

عادة مـا يكون **المَعَص (ألم العضل ـ Cramp)** مصدر الشكـوى، وكأن الرحم يحاول طرح دم الحيض من خلال عنق الرحم الضيّق جدّا. هذا ويستمر المعص حتى شعور المرأة بأنها تجاوزت عمليـة الانسداد. وتعـاني المرأة أيضا من آلام أخـرى يكون المعص فيهـا شبيها بـآلام الولادة، وذلك في الأيـام الأولى من دورتها.

وإن تلك الآلام تحدث فقط في الدوريات التي تكون فيها عملية التبويض قـد بدأت؛ وتعـود أسباب الآلام إلى الاضطـرابـات الجهازيـة، وليست حالـة مرضية، إذ عادة ما تتميّز بحالات فسيولوجية (عضوية) وأخرى نفسية كثيرة؛ وغـالبـا ما تكـون تلك الأعـراض عنـد البنات أو النسـاء العصبيـات المزاج، والشديـدات الحساسية، أو نتيجـة لانتظار الدورة بحالـة مرضية. ويـذكر أن الآلام الـدورية تحمل المرأة على مـلازمة الفـراش مدة يـوم أو يومين خـلال فترة الدورة.

ب ـ الدورة وألم الرأس Menstruation and Headache

يصاحب **ألم الرأس النصفي** الدورة الشهرية للمرأة، ويختفي الألم مع بلوغ المرأة سن اليأس. وربما يصـاحب ألم الـرأس النصفي أعـراض أخـرى مثل: **القيء**، واضطراب مؤقت في النظر.

جـ ـ الالتهابات خلال الدورة Infection during M.P.:

العقبول البسيط «الهربيس» Herpes Simplex

كثير من النساء يتعرّضن **للعقبول البسيط**. أو **الحمّى البثرية**. إذ إنه أثناء الإصابة تظهر **عقبولة الشفة «Cold sore»** بدون سبب ظاهر، وتبدو الهجمات الملازمـة غير شائعـة في بعض الأمـراض مثل: **ذات الرئة الغضيَّة، والملاريا، والحمّى الشوكية**.

هـذا وتتعرّض بعض النسـاء إلى هجمة عقبـولية أثنـاء دوراتهن الشهريـة، حيث إنه أثناء الهجوم تتجّه **فيروسات العقبول** إلى أسفل الرحم، وتختبئ هناك حتى تجد مقاومة، أو شيئا يُفقدها نشاطها.

د ـ النزف البولي الشديد Exessive Urine Bleeding

ربما يحدث النزف البـولي في كل دورة شهريـة، ويعرف **«بالحيض القوي»**. أما إذا حدث باستمـرار لمدة طويلة فيعرف **«بالنزف الطمي العسر»** أو **«النزف البولي العسر الوظيفي»**. ففي كل حالة من حالات النزف البولي العسر الوظيفي تؤخذ في الحسبان الأسباب العضوية، وخصوصا **الورم أو السرطان**.

هـ ـ التوتّر القبدوري Premenstrual Tension

يحدث التوتّر بأعراض وجدانيـة مصحوبة بتغيّرات تظهر في الأسبوع الأخير قبل الدورة؛ حيث تدرك معظـم النساء تلك التغيّرات قبل استهلال دوراتهن، ولكن سرعـان مـا يتكيّفن معهـا. أما البعض الآخـر فيحتجن ــ خـلال تلك

التغيّرات ـ إلى عناية طبيّة ؛ ونتيجة لـذلك تظهر أعراض جسدية مثل : انتفاخ البطن، وزيادة الوزن، وانتفاخ اليدين وتورمهما، وطراوة الثديين . أما الأعراض الوجدانية فسأذكرها ضمن الاعتلالات النفسية .

الاعتلالات النفسية

أ ـ التوتّر القبدوري Premenstrual Tension

للتوتر القبدوري دوران : الدور الجسدي (ذكرته سابقا)، والدور الوجداني. أما أعراض الدور الأخير فيشمل (طور) الهيجان «النرفزة» مثل : **سرعة الغضب ، والتوتّر، والتعب، والكآبة، والبكاء** . . تلك الحالات تكدر صفو الهدوء الشخصي . أما الاضطرابات النفسية وتدعى **بالأوديما الدورية** : فهي عبارة عن احتباس انتقالي للسوائل التي تسبّب الضغط . ولحسن الحظ تنتهي حالة التوتّر قبل استهلال الدورة .

ب ـ التغيرات العضوية ربما ترتبط بمتغيرات نفسية :

أعدّ الباحث لفي «Levy» عام ١٩٤٢م، موازنة لتصنيف سلوك الأمومة مثل : عال، خفيف ومتوسط . ومن خلال أبحاثه توصّل إلى أن هناك ارتباطًا إيجابيًا يقدّر بـ (٠,٥٨) بين نزعة الأمومة السلوكية ومتوسطها خلال الدورة الشهرية ؛ وبتعبير آخر لوحظ أن النساء ذوات الدرجة العالية من سلوك الأمومة تطول مدة دورتهن الشهرية، في حين تقصر مدة هذه الدورة عند النساء اللاتي أبدين درجة منخفضة من سلوك الأمومة .

أما الباحث «لاندس» (Landis) فقد شاهد في عام (١٩٥٧م) ـ في دراسة أجراها على مئتي طالبة جامعية ــ أن مشاعر الحزن كانت شائعة قُبيل استهلال الدورة الشهرية وبعيدها .

وهناك تفسير آخر للاختلافات العضوية وارتباطها بالنواحي النفسية، وهذا ما نسميه **«التوقع الاجتماعي»** . ومفاده : أن الناس إذا توقّعوا ارتباط خصائص عضوية بأخرى نفسية فإنهم يعاملون الأفراد في ضوء ما يتوقّعونه .

خاتمة

مما تقدّم ذكره عن الاعتلالات الجسدية والنفسية للمرأة أثناء دورتها الشهرية **يتبيّن لنا أن حكم اعتزال النساء في المحيض إنما جاء ليبعد الرجل إتيان زوجته المتوعكة الجسد، والمنهكة الوجدان ؛ وأراد له بديلاً يتمثل في تطبيق طرائق الطهارة في مأكله، ومشربه، وملبسه، وكذلك في أساليب معاشرته الزوجية ؛** وهذا ما يطابق أصول الفطرة السليمة .

فاتباع سبيل الطهارة المتكاملة يربأ بالإنسان عن الارتماء بين أحضان القذارة، والاجترار لأنفاس الاشمئزاز . **وهكذا تكشف لنا لفظة «أذى» أسرارًا علمية في أصول الطب الوقائي المعاصر !**

المراجع

(1) Caly. Henry and Donn Byrne. Psychology
An Introduction to the Study of Human Behavior. New York
Jhon Wiley and Sons. Inc. 1961
(2) Cooley. Donald G., Editor. Family Medical Guide. New York
Better Homes and Gardens Books. 1973
(3) Hitti. Yusuf K., MD. English - Arabic Medical Dictionary. Beirut
American University. 1977

يَوْمُ الجُمُعَة



لما كان يوم الجمعة في البيئة الإسلامية، له مكانة راسخة مقترنة بما جاء في فضل هذا اليوم من نصوص شرعية، فإن المستعمرين من الغربيين، لم يستطيعوا اقتلاع مكانته من قلوب المسلمين سواء لدى الطبقة المتعلمة المرتبطة بهم، أو لدى العامة والفلاحين وأبناء البوادي، واكتفوا في تخفيف مكانته بجعله يوم عمل في أصقاع من الوطن الإسلامي، ونقل الإجازة الأسبوعية إلى الأحد الذي هو راحة النصارى في كل مكان، مما جعل بعض المرتبطين بهم ثقافة، من أبناء الإسلام، يتهاونون في أداء صلاة الجمعة، مثلما حصل من مثقفي النصارى بإهمالهم الذهاب إلى الكنائس يوم الأحد .

وأخذًا من دلالة الآية الكريمة : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ ـ البقرة ١٢٠ ـ نراهم يجرون ويجتهدون في التماس المداخل، التي تزعزع عقيدة المسلم، وتضعف الوازع الديني في قلبه شيئًا فشيئًا، إسهامًا في نقض عرى الإسلام، الذي أخبر عنه المصطفى ﷺ، ويكبر خرق هذه الدائرة اتساعًا، كلما غفل المسلمون عن دينهم، وكلما تساهل المدركون عن مكافحة الأمور الوافدة على منهج الإسلام السليم، والخارجة عن إطار تعاليمه .

ولا شك أن مبعث ذلك، ضعف الوازع الديني، وقلة النهل من منبع العلم الشرعي . فالنصارى عندما استعمروا بلاد المسلمين، سكتوا عن التشاؤم من يوم الجمعة حتى لا يثيروا الرأي العام المسلم، برغم أن هذا اليوم يمثل هزيمة لهم في كثير من معاركهم مع المسلمين، لأنه بشارة خير، ترتبط بكل فتح إسلامي .

فصلاح الدين الأيوبي دخل القدس في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب عام ٥٨٣هـ بعد استسلامها، وإذلال الله للصليبيين، حيث عبّر المسلمون معه عن شكرهم لله جل وعلا على هذا النصر، أن صلّى بهم أول جمعة على منبر صنع لهذا الغرض، قبل عشرات السنين، وجيء به من حلب لهذه الغاية .

كما كان دخول المسلمين لمدن الشام مع القائد أبي عبيدة بن الجراح، ثم بعد مجيء عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لاستلام القدس، في أيام الجمعة من عام ١٣هـ .

كما كان دخول محمد الفاتح القسطنطينية بعدما فتحها الله على يديه، يوم الجمعة، حيث صلى في أكبر كنائسها ـ أيا صوفيا ـ بعدما حولها إلى مسجد، وطمس كل ما فيها من صور وتماثيل .

وبالتتبع لهذا وغيره، مما رصد تاريخيًا، يتضح أن يوم الجمعة بالنسبة للمسلمين ما هو إلا بشارة خير، أما الصليبيون فإنهم يرونه نذير شؤم، حسبما رصده مؤرخوهم، وشدّدوا فيه، لأن رايتهم فيه مهزومة، ومع هذا لم يجدوا بغيتهم التي لا تزال جذورها في بعض ديار المسلمين باقية، ويذكيها عقول رضعت لبانهم رغم ذهاب المستعمر، وانتهاء سلطته العسكرية، إلا بجعل يوم الجمعة يوم عمل، وتحويل عطلة الأسبوع إلى يوم السبت والأحد، السبت لمكانته عند اليهود، والأحد لمكانته عند النصارى، وذلك من أجل محاولة إشغال المسلمين عن وظيفة الجمعة، حيث أخبر ﷺ أن من خصائص أمة محمد يوم الجمعة، هداهم الله إليه، بعد أن غفلت عنه اليهود والنصارى . فاليهود اتخذوا السبت، والنصارى اتخذوا الأحد .

د. محمد بن سعد الشويعر

قصة قصيرة

النَّقْبُ الضَّيِّقُ

بقلم: محمد العربي الخطابي

من شأن النَّقْبِ أنْ يكـون ضيقـا بحيث يمكن أن تنْفُذ منه نملـةٌ ويتعذّر أن يخترقه جملٌ أو فيل، لكن ليس يَبْعُـدُ أن نسمع عن إنسانٍ يبذل قصارى الجهد وأبلغ الحيلة لاختراق الأنقابِ الضيقة رغبةً منه في معرفة ما يجري في الجهة الأخرى من الجدار. وقـد عـرفتُ واحـدًا من هؤلاء كان رفيقًا لي في الدراسة الثانوية وجمعتنا صداقةٌ متينةٌ ومودّة موصولة.

كان هذا الصديق، منذ عرفته، حادَّ الـذكـاء، مُتوقـد الـذهن، طُلَعـةً، شغوفًا بالبحث والتنقيب عن الأشياء الغـامضـة، لا يـرتـوي لـه ظمأٌ ولا ينقضي فضول.

أنهى صديقي هـذا دراسته العليا بتفوق في كلية الطبّ، وبعد تدريب قضـاه في مستشفى عمـومـي فتح عيـادته الخاصـة ومضى يزاول مهنتـه بنشـاط وبراعـة حتى ذاع صيته ونبـه ذكره وتأكـد نجاحه. وذات يـوم قرّر جابر - وهو اسم صديقي - الانقطاع فجاةً عن عمله فأقفـل عيـادتـه ثم انصرف بكلّيتـه إلى التعمـق في علم الكيمياء الحيـوية، وتفـرغ له كـامل التفرغ، فلم يترك كتابًا في هذا العلم إلا قـرأه، ولا ندوةً علميـةً إلا شـارك فيها، ولاتجربةً من تجارب المخابر إلا خاضها، وهو من أجل ذلك قد تزوّد بأحـدث وأدق المواعين الـلازمـة لأصحـاب هـذا التخصص، وأقبل على البحثِ والاختبـار والتحليل وتدوين الملاحظات وتقويم النتائج.

سألت صـديقـي ذات يـوم عن سبب هذا التحول المفاجئ في نشاطه المهني فقال:

ـ إن الطب صناعـةٌ لا تُـوفَـر لصاحبهـا من أسباب الاطـلاع أكثر من مـلاحظـةِ الأعـراض والظـواهـر المتعلقة بما يطرأ على بدن الإنسان من تقلبـاتٍ في حـالـة انحراف صحتـه، وغايـة الجهد فيه الـوصول إلى معـرفة العلّـة ومحاولـة علاجهـا بـوسـائل لا تكون دائمًا مضمونة النتائج ولا مأمونة العواقب. ولـذلك فإن مهنة الطبيب سرعـان مـا تنقلب إلى عملٍ رتيب وممل. أما علم الكيمياء الحيوية فإنه يفتح أمـام البـاحث آفـاقا شـاسعـة لـلاطـلاع على كثير من أسرار الحيـاة واكتشاف خفاياها المكنونة في أجسام الكائنات الحية.

أصغيت إلى صـديقي جـابـر بكامل الانتباه ثم سألته:

ـ وما الفـائدة من محاولة الاطلاع على أسرار الحياة ونحن نعرف ـ يقينًا ـ أنّ عُمْرَ الكائنـات الحيةِ محدود، وأن مصيرها حتميّ ومُقَدّر؟

فأجابني:

ـ أنـا إنما أقصد الحيـاة بمعناهـا البيولوجي، لا بمفهـومها الفلسفي. ثمّ العلم التجـريبي لا يدعي لنفسـه القـدرة على تغيير مكوّنـات الحيـاة، وغرضه الـرئيس إنما هو الحصول على أكبر قـــدرٍ ممكن من المعـــارف الصحيحة التي من شأنها أن تسـاعد الإنسـان على تحسين وضْعـه وتقـويم شروط معـاشـه وسعيـه حتى ينسجم بشكل أفضل مـع محيطـه الحيـوي. وذلك أنّ الكـائنـات الحيـة مـرتبط بعضهـا ببعض ومتوقف بعضهـا على بعض، فضـلا عن الارتباط الموجود بين هذه الأجسام التي نسميها جامدة كالأجرام السماوية وعناصر تكـوينها من الذرة إلى الحركة والطـاقة. وأنت تعلم أن الأجســام الحيـة تتـألف من عنـاصر وجواهـر لا حصر لها شكـلاً ووظيفـة، والظـواهـر الكيماويـة والفيـزيائيـة التي تتواكب على هـذه الأجســام تثير العجب وتــدفع إلى مواصلة البحث وتعميقه. وأنا نفسى منشغلٌ ببعض المسـائل الجوهـريـة المتصلة بالمناعـة الكيماوية، والسؤال الـذي يحيّرني بصفـة خـاصـة هـو: كيف يمكن تنشيط المناعة الطبيعية في الجسم الحيّ، لا من أجل مقـاومة الأمـراض على اختلافهـا فحسب بل لوقف نشوئها وتدفُّقها. ولا أقول لك الآن أكثر من هذا.

ألقى عليّ جـابر هذا الكـلام ثم غاب ذهنه عنّي، وراح يجيل بصره في أنحـاء المخبر كأنـه يبحث عن شيء ضائع في فضـاء الغرفة. وتركتـه وأنا على يقين من أنـــه إنما يتحمّس لهذا العلم لغايةٍ معلومة عنده يُضمرها في نفسه ولا يـريد الإفصـاح عنها، إما لخطورتها أو لشَكّـه في حصـول مـا يتوخاه من نتـائج. وكنت أعرف من عنـاده وصبره على البحث وحـرصـه الشديد على اقتحام الآفـاق المجهولة ما جعلني مقتنعًا بأنه لا بد واصلٌ إلى غـرضـه مهما كلّفـه ذلك من وقت وجهد.

لم تنقطع زيـاراتي لصـــديقي البــاحث، لكنّهـا قلّتْ وتبـاطأتْ بسبب انشغـالي بهمـومي الخاصـة المتصلة بأمور المعاش. وذات يوم رنّ جرس الهاتف في بيتي، وكان الوقت قـــد تجاوز منتصف الليـل ببضع دقـائق، فما إن رفعتُ السماعة حتى باغتني صوتُ جـابر وهو يصيح من غير سلام ولا مقدّمات:

ـ لقـد وجـدت ضـالّتي... وجـدتها... وجدتها... إنـه فَتْحٌ مـن الله... ألا لـــه الحمــــد والشكر...

وكان الـرجل في حالـةٍ من تـوتّرِ الأعصاب جعلني أطلب منه أن يهدأ ويشرح لي مـا حدث لأعـرف ما هـو هـذا الشيء الخطير الـذي وجـده، ولكنه قال إنه لا يستطيع مكاشفتي به على الهاتف، وطلب مني أن أزوره في مخبره. وهكـذا بقيت أتـرقب الليل وبـزوغ شمس النهـار، وفي الصبـاح الباكر ذهبت لمقـابلة جابر فما إن رآني حتى تهلّلتْ أسـاريـره وأخـذني من ذراعي وقادني إلى مكتبـه وجعل يشير بسبّابته إلى قنّينـة صغيرة فيها سـائل

بنفسجيّ اللون تعلوه رغوةٌ ناصعةُ البياض، ثم قال:

أترى هذا السائلَ...؟ إنه سوف يُغيّر كثيرًا من المفاهيم السائدة عن الصحةِ والمَرض، بل وعن طبيعةِ الخلايا ووظائفها المعقدة.

ولما سألته بشيء من السذاجة: أهو دواءٌ جديدٌ اكتشفته؟

أجاب: هو أخطر من ذلك بكثير. إنه «إكْسير الصحة» الذي سيقهر المَرض.

قُلْتُ: أيَّ مرضٍ تعني؟

- أعني المرضَ بإطلاقٍ مهما كانت أنواعه وأسبابه وأعراضه، إنه إكسيرٌ سيعيد الإنسان إلى أصل طبيعته.

- ماذا تقول؟ هذا مستحيل!

- لقد جرّبت هذا الإكسيرَ في عدد من المرضى عِلَلُهم مختلفة: من الرعشة المسماة بمرض «باركنسون» إلى السرطان والايدز وفقر الدم والنَّقْرِس والحمّيات الوبائية، فظهرت نجاعة الإكسير في مدةٍ قصيرة تلاشى فيها المرض وعاد المريض خلاها إلى طبيعته الأولى.

ظننت لحظةً أن صديقي جابر أصيب بنوع من الهوس الذي يعتري بعضَ العلماءِ المنصرفين إلى البحث وإجراء التجارب في المخابر المنعزلة عن العالم الخارجي، ولكنني سرعان ما راجعت نفسي حينما مضى جابر يشرح خصائص إكسيره ومزاياه مؤيدًا كلامه بجُذاذاتٍ سجّل فيها نتائج تجاربه على كثيرٍ من المرضى - وكنت أعرف بعضهم، وعندئذ أدركت أنّ صديقي توصل فعلاً إلى اكتشاف إكسيرٍ عجيب يفْعل فعله الناجع في الخلايا ويُنَشّط المناعة الطبيعية القادرة على دفع جميع الأمراضِ عن الأجسام.

ومما زاد في ثقتي بكلام جابر أني طلبت منه أن يُجرِّب إكسيره فِيَّ شخصيًا، إذ كان يعلم أني مصابٌ بقَرحةٍ في معدتي استعصى على الأطباءِ المتخصصين علاجها ولم ينفع فيها دواءٌ إلا ما كان من تخفيف ألمها.

ولشدّ ما كانت نتيجة التجربة مدهشة ومثيرة، فقد ذَهَبَت القَرحةُ وزال أثرها بعد ثلاثة أيام بعد جرعاتٍ من «إكسير الصحة»، وتأكّدت من ذلك عند الكشف الإشعاعيّ. والأغرب من هذا كله حدوث ظاهرة غير مألوفةٍ في حياةِ البشر، ذلك أنني أحسست في اليوم الثاني من تناول الإكسير بوجع خفيف في اللثةِ السفلى في مكانِ أسنانٍ كنت قد اقتلعتها إثرا إصابتها بالتسوّس. وحينما أخبرت جابر بذلك فحصني فإذا به يلاحظ خروج أسنانٍ طبيعية جديدة في مكان ما تمّ قلعه منها، تمامًا كما يحدث للأطفال حينما يستبدلون أسنانًا بأخرى.

فالإكسير، إذن لا يقتصر فعله على إبادة الأمراض ودفعها من طريق تنشيط المناعةِ الطبيعية، بل إنه يفعل فعله أيضا في إنبات أسنان جديدة مكان المتلاشية.

هنّأت صاحبي بهذا الفتح العظيم، ولم يخامرني شكٌّ في أنّ اسمه سوف يسجل في صفحات التاريخ الذهبية وأن أبواب الشهرة سوف تفتح أمامه. ولم يخطر ببالي لحظة أنّ هذا الفتح العلمي الفريد يمكن أن يسبب لجابر ما سببه من وبال أفضى به إلى الضياع، فكيف حدث ذلك؟

بعد أن تيقن صديقي من إيجابية النتائج التي حصل عليها بفضل تجارب ناجحة أجراها على كثير من الأشخاص المصابين بأمراضٍ انتكاسية وجرثومية ووبائية عديدة، واطمأنّ إلى نجاعة إكسيره الذي سماه «أ. ص×سين» قرّر تبشير الهيئات العلمية في العالم بهذا الاكتشاف، وأعد تقريرًا علميًا مفصلاً سجّل فيه نتائج تجاربه وخصائص إكسيره محتفظًا لنفسه بصيغة التركيب حتى يتمّ تسجيلها بصفة رسمية. ثم عقد ندوة حضرها عدد كبير من الباحثين والأطباء، ومحرري الأعمدة العلمية في الصحف والمجلات، وأجرى بمحضر أولئك وهؤلاء تجارب ناجحة أثارت دهشة الحضور. وعلى إثر ذلك شاع خبر هذا الاكتشاف في أرجاء الدنيا فأحيا الأمل في نفوس عشرات الآلاف من المرضى الميؤوس من شفائهم، واحتدم النقاش بين العلماء والباحثين، وتضاربت آراؤهم، بين مُصدّقٍ ومكذب، ومنصِفٍ ومسفّه.

وفي وسط هذا الغبار تحركت الهيئات الطبية ومصانع الأدوية الكبرى في عديد من الدول، وقادت هجومًا ضاريًا على هذا العالم الفذّ متهمةً إياه بالشعوذة والافتراءِ على العلم، وتصدّت بعض الصحف الكبرى لتفسير أسباب هذا الهجوم الظالم



وأجمعتِ على أنّ إكسير جابر سوف يقضي - إذا شاع استعماله - على مصانع الأدوية ومعامل الأسنان، بل إنه قد يفضي إلى موتِ مهنة الطبِّ والصيدلة، وتقلص الحاجة إلى المستشفيات والعيادات المتخصصة، لأن جرعاتٍ مقدَّرةً من هذا الإكسير العجيب سوف تكون كافيةً لإثارة قوى المناعةِ الطبيعية الكفيلةِ بمقاومة جميع الأمراض ودفعها عن الجسم الحي.

ولم تقف الأمور عند هذا الحد، بل إن حكومات الدول الكبرى ذاتِ المصالح المالية والاقتصادية والصناعية المتشعبة اضطُرَّت تحت ضغط قادة الهيئات المهنية وأصحاب مصانع الأدوية والآلات الطبية إلى اتخاذ تدابير صارمةٍ قُصوى كفيلةٍ بصدّ هذا الخطر الداهم الذي يُمثله إكسير «أ. ص×سين»، ولم تتردد هذه الحكومات في إصدار تعليماتها إلى وكالاتِ الاستخبارات وأجهزة مكافحة الإرهاب والمخدّرات آمرةً إياها بالترصُّد لمكتشِف الإكسير واغتياله وإتلاف أوراقه وأدواتِ عمله.

وفي بداية هذه الحملة الضارية أحسّ صديقي جابر بالخطر وتوقع ببعد نظره أسوأ العواقب فلم يتردد في إحراق كل أوراقه ومذكراته، وعزم على الاختفاء بعد أن فقد الشعور بالأمان وخابت آماله في الإنسانية، وشرع في التنقل والارتحال من مكانٍ إلى آخر حتى استقرّ به المقام في أرضٍ نائيةٍ في قلب أفريقيا.

وبعد مرور بضع سنين وصلتني رسالةٌ من جابر عليها ختم مدينة من مدن القارة الإفريقية يخبرني فيها بأنه يعيش في قريةٍ صغيرة يسكنها قومٌ

طيبون، كرماء، ممتلئون حيويةً ونشاطًا وعافية، يعيشون من الزراعة وتربية الماشية، ويتعاونون فيما بينهم على شؤون المعاش.

وعلمت من جابر أنه حينما وصل إلى هذه القرية منهوكًا متعبًا لقيه أهلها بكثير من الحيطة والحذر، ولكنهم مع ذلك أطعموه وسقوه ودبّروا له مسكنًا يؤويه، ولما خبروا أحواله ـ بعد أسابيع من المراقبة والاختبار ـ اطمأنوا إليه وأنسوا به وأنس بهم حتى صار كأنه واحدٌ منهم، يكدّ معهم في النهار، ويحضر مجامعهم في المساء.

أحسّ جابر ـ وهو بين أولئك القوم الطيبين ـ بسعادة لم تعرفها نفسه من قبل. وبمرور الزمن لاحظ أنّ الرجال والنساء والأطفال والشيوخ من أهل هذه القرية السعيدة لا يصيبهم مرضٌ، ولا تعبث بصحتهم آفة، أسنانهم بيضاء لا يؤذيها التسوّس ولا يعتريها السقوط، وبشرةُ أجسامهم صافيةٌ، مضيئةٌ، وشعورهم غزيرةٌ سوداء لا يعلوها الشيب، شبانهم وشيوخهم في ذلك سواء، يموت الواحد منهم ـ حينما يموت ـ وهو واقفٌ أو مستلقٍ من غير أن يشتكي من وجع أو ألم، وإنما هي أعمار تستوفي أجلها المحتوم فيفارق أصحابها الحياة.

تساءل جابر فيما بينه وبين نفسه عن سرِّ ما شاهده من دوام صحّة هؤلاء القوم وجهلهم التام بجميع أنواع المرض، ثم قرر أن يسأل شيخ القرية عن ذلك ففعل. ولَزِم الشيخُ الصمت لحظةً وعَلَتْ وجهه ابتسامةٌ عريضةٌ ثم مدّ يده نحو صندوقٍ كان بجانبه وأخرج منه آنية مصنوعة من خشب الآبنوس وصبّ منها في كفّ جابر قطراتٍ من محلولٍ بنفسجيّ اللون، حادّ الرائحة، وأشار الشيخ بسبابته إلى السائل إشارة مُعبِّرَةً فَهِمَ منها جابر أن السرَّ كلَّه يَكْمُنُ في هذا المحلول العجيب الذي يُسقَى منه الأطفال عند الولادة فيحصِّنهم من الأمراض طوال حياتهم.

وبعد اختبار هذا المحلول أدرك جابر على الفور أنه مركبٌ من نفس العناصر التي تدخل في تركيب إكسيره المعلوم.

قال صديقي جابر في ختام رسالته الوحيدة إليّ:

«تأمل في أمر هؤلاء القوم البسطاءِ الطيبين كيف استطاعوا اكتشاف هذا الإكسير بطرقٍ تبدو بدائيةً، يتوارث سرّها الخلف عن السلف، بينما أمضيت أنا سنين طويلة في الدراسة والبحث والتجريب قبل أن أصل إلى النتيجة التي وصلوا إليها. والذي يدعو إلى الإعجاب ويستوجب الاعتبار هو أن أهل هذه القرية المغمورة عرفوا كيف يستفيدون مما أنعمَ به الخالق عليهم وما هداهم إليه من الاستجابة لنداء الطبيعة الصافية، أما أنا فقد حاولت في زحام الحضارة المادية أن أنفذ من النقْبِ الضيق إيمانًا مني بأني سأجد في الجهة الأخرى من الجدار روضًا أخضر مزهرًا تتناجى فيه الطيور المغرِّدة والفراشات الملونة، لكنني وجدت نفسيَ عند اختراق النقب في غابةٍ مملوءة بالأفاعي والوحوشِ الكاسرة».

معنى لا إله إلا الله

للإمام بدر الدين الزركشي

دراسة وتحقيق: علي محيي الدين علي القره داغي
عرض: د. عامر النجار

ولد الإمام العمدة الفاضل بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي في مصر سنة ٧٤٥هـ من أسرة تركية، وكان أبوه مملوكًا فتعلم صناعة الزركشة، ثم فتح الله عليه ووجهه ناحية العلم فأقبل عليه إقبالاً خالصًا ورحل إلى بلاد الشام ودرس على نبلائها الأفذاذ من العلماء الكبار أمثال ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ، وابن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٧٨٠هـ، وشهاب الدين الأذرعي المتوفى سنة ٧٨٣هـ، وسراج الدين البلقيني المتوفى سنة ٨٠٥هـ، ثم استقر في بلده مصر. ويقال إنه كان منقطعًا إلى العلم والقراءة. يقول الحافظ ابن حجر: «كان الزركشي منقطعًا في منزله لا يتردد إلى أحد إلا إلى سوق الكتب، وكان يطالع في حانوت الكتب طول نهاره، ومعه أوراق يعلق فيها على ما يعجبه ثم يرجع فينقله إلى تصانيفه»[1].

وقد كتب الزركشي مؤلفات عديدة من أهمها «البرهان في علوم القرآن» و«سلاسل الذهب في أصول الفقه»، و«شرح الوجيز» للإمام الغزالي، و«القواعد في فروع الشافعية» و«إعلام الساجد أحكام المساجد» و«البحر المحيط» وغيرها.

عاش الإمام الزركشي رحمه الله في القرن الثامن الهجري وهو من القرون الصعبة التي مرت على عالمنا الإسلامي، فآثار الدمار المغولي بدت واضحة منذ أوائل القرن الثامن الهجري، وظهر في أواخره تيمورلنك من بلاد ما وراء النهر حيث اكتسح فارس وبلاد الجزيرة، وحاق بأملاك المسلمين الدمار والهلاك وأزهق أرواح الآلاف المؤلفة منهم وكوّن لنفسه ملكًا كبيرًا، إلا أنه أثناء زحفه وإعصاره الشديد التقى بجيش قوي هو جيش العثمانيين الذي انتصر عليه تيمور الأعرج في أنقرة بصعوبة شديدة، ثم جيش المماليك في الشام الذي هزمه وصدّه عن أحلامه وتوسعاته في العالم أجمع.

"
تفريغ القلب من كل ما يُبعد عن ذكر الله
"



وكانت مصر في القرن الثامن الهجري ـ الرابع عشر الميلادي ـ في حكم المماليك البحرية حتى سنة ١٣٨٢م، وبعدها في حكم المماليك البرجية حتى سنة ١٣٨٩م، وقام الصليبيون بنهب الإسكندرية سنة ١٣٦٥م، فهو قرن امتلأ بالحروب وتهديدات المغول والصليبيين، ومع ذلك فقد كانت رعاية الله لدينه الحنيف ملحوظة، فقد أسلم كثير من القبائل المغولية.

وقد كان همّ المماليك الحفاظ على السلطة على حساب الشعب المصري، فساءت الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في مصر وانتشرت الأمراض والأوبئة الكثيرة، لكن مع كل هذه الظروف القاسية نبغ في القرن الثامن الهجري العديد من العلماء في مصر والعالم الإسلامي منهم **ابن تيمية** المتوفى سنة ٧٢٨، **وابن قيّم الجوزية** المتوفى سنة ٧٥١، **والعلامة الكرماني** المتوفى سنة ٧٨٦هـ، وغيرهم.

وقد عاش العلاّمة **الزركشي** في رحاب هذا القرن الصعب منقطعًا للعبادة والعلم حتى توفي يوم الأحد الثالث من شهر رجب الفرد سنة أربع وتسعين وسبعمائةودفن بالقرافة الصغرى بمصر.

أما رسالته العظيمة الرائعة بعنوان «معنى لا إله إلا الله»، فهي تتناول كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**» إعرابًا وفهماً و إشارة ومعنى.

يقول الزركشي في مقدمته: «هذه فوائد جمّة، وفرائد يعنى بها ذو الهمة، غالبها أبكار عزيزة الوجود، رخيصة الأسعار، تتعلق بكلمة «لا إله إلا الله» علقتها في ليلة أقلقني فيها رائد الفكر، وتشعبات النظر، ليس لي فيها سمير غير المحبرة والسراج، ولا أنيس غير الفكر الوهّاج، هذا وبحره شديد الأمواج، سريع الازدواج، إلى أن أسفر الصبح فأعلن بالابتهاج، وأنتجت مقدماته أشرف الإنتاج فسرت من عالم الأفكار إلى عالم الاستبصار، واستغفرت العزيز الغفار».

وقد رتبها الإمام الزركشي على تسعة وعشرين فصلاً، كلها يتعلق بـ«لا إله إلا الله» من جميع جوانبها، فقد تناول فيها كل ما يتعلق بها من قضايا نحوية ولغوية وبلاغية وأصولية وكلامية ومنطقية وغيرها من إشارات ولطائف.

فذكر إعراب «لا إله إلا الله» فمعنى «لا» وإعرابها، والأحكام التي تتعلق باسمها ـ وهو «إله» ـ وسبب بنائه، ثم بيّن أن «لا» النافية للجنس تخالف «أن» و«لا» التي تعمل عمل ليس من عدة وجوه، وقد استشهد في كل ذلك بأقوال كبار النحاة مثل «الزجّاج» و«سيبويه» و«الأخفش»، وفحول الشعراء مثل النابغة، والمتنبي.

يقول الزركشي: «لا» نافية للجنس محمولة في العمل على نقيضها «أن» واسمها معرب ومبني، فيبنى إذا كان مفردًا نكرة على ما كان ينصب به.

وسبب بنائه تضمّنه معنى الحرف وهو «من» الاستغراقية، يدل على ذلك ظهورها في قول الشاعر:

فقام يذود الناس عنها بسيفه ... وقال: ألا لا من سبيل إلى هند (٢)

وقال الزركشي: «لا» هذه تخالف «أن» من أوجه:

ـ أحدها: أنها لا تعمل إلا في النكرات بخلاف «أن».

ـ الثاني: أن اسمها إذا لم يكن عاملاً كما في «لا إله إلا الله» فإنه يبنى.

ـ الثالث: أن ارتفاع خبرها عند إفراد اسمها نحو «لا رجل قائم» بما كان مرفوعًا به قبل دخولها لا بها وهو قول سيبويه، وخالفه الأكثرون، ولا خلاف بين البصريين أن ارتفاعه بها إذا كان عاملاً.

ـ الرابع: أن خبرها لا يتقدم على اسمها ولو كان ظرفًا أو مجرورًا.

ـ الخامس: أنه يجوز إلغاؤها إذا تكررت نحو «لا حول ولا قوة إلا بالله»، وكذلك فتح الاسمين ورفعهما والمغايرة بينهما.

ـ السادس: أنه يكثر حذف خبرها إذا علم نحو: «قالوا لا ضير».

ثم تناول الزركشي بعد ذلك آراء العلماء حول تقدير خبر «لا»، ثم تناول «إلا»، هل هي للاستثناء أم بمعنى غير؟ ثم بعد الاستشهاد بأشعار العرب رجّح كون «إلا» هنا للاستثناء.

بعد ذلك يبيّن لنا الزركشي سبب تقديم النفي على الإثبات في كلمة «لا إله إلا الله» بأنه لتفريغ القلب من الأغيار وليستعد استعدادًا خالصًا كاملاً للامتلاء بنور الله تعالى وتوحيده، وبيّن لنا أن قول «لا إله إلا الله» فيه خاصيتان:

ـ إحداهما: أن جميع حروفها جوفية ليس فيها من الحروف الشفهية (٣) للإشارة إلى الإتيان بها من خالص جوفه وهو القلب لا من الشفتين.

ـ الثانية: أنه ليس فيها حرف معجم (الحرف المعجم: الذي له نقط)، بل جميعها متجرد عن النقط، إشارة إلى التجرّد عن كل معبود سوى الله تعالى.

وقول «لا إله إلا الله» ـ أي على هذه الصيغة الخاصة الجامعة بين النفي والإثبات ـ أبلغ صيغ الحصر. وقد ثبت العلم الضروري بالاكتفاء بهذه الكلمة الشريفة في إثبات التوحيد لله تعالى من غير نظر إلى واسطة بين النفي والإثبات، ولا انضمام لفظ آخر إليه.

بعد ذلك حلّق بنا في أجواء أعظم اسم، «الله» تعالى، وبيّن خواص اسم الله تعالى، ثم تناول الخلاف المشهور بين أهل السُنَّة والجماعة والمعتزلة حول الاسم والمسمى، ورجح الفرق بينهما، ثم ذكر رأي القاضي أبي بكر الباقلاني وغيره في أن أسماء الله تعالى توقيفية لا تؤخذ بالقياس. فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين كل خير.

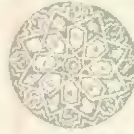
الكتاب مفيد للغاية لدارسي العقيدة وأصول الدين والدراسات اللغوية المعاصرة.

الهوامش

(١) الدرر الكامنة لابن حجر، جـ٤/ ١١٧.

(٢) الشاهد فيه ظهور «من» الاستغراقية مع «لا».

(٣) الحروف الشفهية ثلاثة: الباء والفاء والميم وسميت شفهية لأن مخرجها من بين الشفتين.



الطريق إلى الله

كيف أسلم عميد يهود مصر؟

تفتحت عيناه على الحياة في بيت يهودي في **قاهرة المعز**، وكأي طفل وُلد على الفطرة السليمة التي فطر الله الخلق عليها، وهوّده أبواه، فشب على عقيدتهم يهوديًا، يزور المعبد ليؤدي الصلاة خلف الحاخام كل سبت، مرددًا الدعاء **«موعدنا غدًا في أورشليم»**.

كان والداه مثلهم مثل سائر اليهود حريصَيْن على أن ينعزل ابنهما **زكي عريبي** - وهذا اسمه - عن المجتمع المصري، فالاختلاط مع غير اليهود - في عرفهم - أمر غير محمود، فهم «شعب الله المختار» وما سواهم لا يستحقون أن يعرفوهم إلا لضرورة قاهرة، ولم تنجح سماحة المصريين المستمدة من قيمهم الإسلامية في جذب تلك الأقلية اليهودية للاندماج في المجتمع. حقيقة كان لليهود وجود اقتصادي فاعل، لكنه وجود كان يستثمر لصالحهم فقط، وليس للنهوض بمجتمعهم الذي لم يشعر معظمهم بالانتماء إليه.

دراسة القرآن في المدرسة

وحين بلغ زكي السن التي تؤهله للالتحاق بالمدارس، سجله والداه في إحدى المدارس الحكومية، **وكانت هذه بداية تعرفه على الإسلام والمسلمين، ففي مدرسة عباس بالسبتية ومدرسة حلوان اتسع محيط معارفه فلم يعد أصدقاؤه من أطفال اليهود فقط، بل صار له أصدقاء من أطفال** المسلمين الذين يشكلون أكثر من ٩٥٪ من شعب مصر، وكان ذهوله شديدًا عندما لم يجد بينه وبينهم أية فروق تميزه منهم، فالأسماء متشابهة واللغة واللهجة متفقتان، والرغبة في اللهو والمرح والدرس تتشابه عند الجميع. لحظتها أدرك - برغم صغر سنه - أن الله قد خلق الأطفال جميعًا ولم يفرق بينهم.

وفي المدرسة كان **عليه أن يدرس في حصص النصوص والبلاغة آيات من القرآن الكريم، وشده إلى كتاب الله وآياته ما أحس به من حسن الجرس وحلاوة الرنين**، ولم يكن مؤهلاً في سنه الغض أن يستوعب معانيها، ومع ذلك استطاعت كلمات الله أن تمس شغاف قلبه المفطور على عبادة الحق تبارك وتعالى، فأحب القرآن الكريم وراح يترقب مواعيد حصة الدين الإسلامي ليشارك زملاءه المسلمين الاستماع إلى المدرس وهو يشرح لهم ما تتضمنه آيات الله من معانٍ، وما تحتوي عليه من بلاغة وإعجاز.

نبوغ في دراسة الإسلام

ويحكي **زكي عريبي** في محاضرة ألقاها في التاسع من مايو ١٩٦٠م **في المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين** بالقاهرة بعد إسلامه بنحو شهر **حكاية وقعت له في طفولته**، وكان لها كبير الأثر في إشهاره إسلامه - فيما بعد. فقد كان لاهتمامه بحضور دروس الدين الإسلامي أن صار متفوقا على العديد من أقرانه المسلمين في أمور دينهم التي يدرسونها، حتى إن مفتشا من الوزارة سأل التلاميذ يومًا سؤالاً دينيًا، فلم يستطع الإجابة عنه سوى الطفل زكي عريبي اليهودي الديانة، وارتسمت الدهشة على وجه المفتش حين مال عليه المدرس هامسًا بأن التلميذ يهودي، وقتها **شعر الطفل الصغير بالألم لأنه لم يكن مسلمًا**.

عوامل أدت إلى هدايته

عامل آخر أسهم في اتجاه **زكي عريبي** نحو الإسلام، هو شغفه بمطالعة كتب السيرة النبوية **والغزوات الإسلامية وبطولات المسلمين** الأوائل الذين شده إليهم ما قرأ من سيرتهم وكيف كانوا يتسابقون إلى الشهادة في سبيل الله، وتألم حين قرأ ما فعله اليهود مع نبي الله ﷺ حين عاهدهم فنكثوا عهده. يقول في محاضرته: «**كم بكيت أسى حين قرأت بعد ذلك أن اليهود الذين حالفهم الرسول ﷺ واطمأن إلى حلفهم قد لعبت السياسة بعقولهم فنقضوا عهده، وفاوضوا أعداءه، وأبوا أن يقوموا بنصيبهم من المعاهدة وهو أن ينصروه حين يهاجمه العدو محتجين بأن هذا الهجوم قد وقع في يوم سبت**»!



وأتاحت له دراسته في كلية الحقوق التوسع في دراسة الدين الإسلامي، وإعمال العقل في نصوصه، يقول: «**نظرت أول ما نظرت في العقيدة الأصلية التي يقوم عليها البناء كله، فإذا بها العقيدة الأزلية التي قامت على أساسها عقيدة أبي الأنبياء إبراهيم، ومن بعده إسحاق ويعقوب ويوسف، ثم موسى مؤسس الموسوية الأولى عقيدة التوحيد المحض الخالصة من الشوائب**».

وازداد اقترابًا من الإسلام كلما توسع في قراءاته، فقد لمس في الشريعة الإسلامية الصدق لأنها لم تنكر ما قبلها من ديانات، بل جاءت مصدقة ومكملة لها، تعود بها إلى جادة الحق التي أخرجها منها الأحبار والرهبان.

ثم إنه وجد في شريعة الله دينًا وسطًا لا يكلف النفس إلا وسعها، ويساوي بين الناس بالحق، فأساس التفضيل فيه التقوى، فلا الحاكم يعلو على المحكوم، ولا الغني يرتفع فوق الفقراء، فالكل سواسية، وهو قبل ذلك وبعده دين يجعل للفقير حقًا في مال الغني، الذي يدفع هذا الحق في سماحة ورضا، فالإسلام حين فرض الزكاة وجعلها ركنًا من أركانه الخمسة قد بشَّر بعالم جديد تسوده العدالة من كل جوانبه، عالم يتآخى فيه الناس في حب الله.


مدينة القاهرة في الستينيات

غدر اليهود

وحين أُعلنت دولة اليهود في فلسطين المحتلة، عاش زكي عريبي تمزقًا لا حدود له، إذ رأى ولمس بنفسه مظاهر الفرحة التي استحوذت على معظم أبناء الجالية اليهودية وهم يتلقون نبأ هزيمة جيش بلادهم والجيوش العربية الأخرى أمام العصابات الصهيونية المسلحة، وشاهد زكي كيف تحول أبناء جاليته إلى طابور خامس يعمل في الخفاء ضد مصالح الأرض التي آوتهم حين رفضهم العالم، والشعب الذي أكرمهم حين ساقهم الآخرون إلى غرف الإعدام، فكان نصيبه منهم تفجير منشآته، ومحاولة تخريب اقتصاده بتهريب الأموال، وطعنه من الخلف حيث كان يتوقع الأمان.

لقد أثمر قيام دولة الاحتلال الصهيوني في فلسطين عن إحياء الطبع اليهودي الغادر في أسوأ صوره لدى أبناء الجالية اليهودية في مصر، الذين تنكروا لكل ما قدمته إليهم أرض الكنانة وأهلها من خير ورخاء وأمان، وتدافعوا إلى تهريب أموالهم، وسرقة ما يستطيعون سرقته للحاق بإخوانهم في الغدر بأرض الميعاد.

وبدأت الجوانب الخفية في النفس اليهودية تتكشف أمام زكي وهو يرى أبناء جاليته يظهرون **الحب لأهل مصر جهارًا، ويسعون للكيد لهم سرًا**، وساءه أن يكشف اليهود عن هذا الوجه القبيح حين لاحت لهم الفرصة، وتذكر - وهو يشاهد الآلاف من بني جلدته يحملون أموالهم وكل ما خف وزنه وغلا ثمنه ويرحلون إلى فلسطين المحتلة - ما كان يردده وراء الحاخام وهو صغير في المعبد: «**موعدنا غدًا في أورشليم**».

رفض زكي عريبي ومجموعة غير قليلة بين أبناء الجالية اليهودية الرحيل عن أرض الكنانة هنًا وراء وعود سرابية لا يعلمون عن حقيقتها شيئًا، إذ كان الصهاينة قد ملأوا الدنيا ضجيجا ووعودًا ليهود الشتات بأن وقت العودة «لأرض الميعاد» قد حان، واستطاعت الوعود السرابية أن تجتذب الطامعين، لكنها لم تنل من قلب **زكي عريبي**، الذي ارتفعت مكانته بين البقية الباقية من أبناء الجالية اليهودية في مصر لما قدمه لهم من خدمات ورعاية لمصالحهم بوصفه محاميًا، **حتى صار بمنزلة عميد الجالية** برغم أنه لم يكن أكبرهم سنًا ولا أكثرهم مالاً.

إسلامه

لذا كانت الصدمة كبيرة حين أعلن زكي عريبي في أوائل شهر أبريل عام ١٩٦٠م إسلامه مختتمًا بذلك سنوات طويلة من التردد، سنوات طويلة ظل خلالها يقرأ ويقرأ ويقرأ، يتصارع في داخله نداء الحق مع همزات الشيطان التي تدعوه إلى عدم ترك «دين أجداده» وأن يبقى في إطار «شعب الله المختار».

وحين نطق عريبي بالشهادتين: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» انهالت عليه اتهامات أبناء جاليته السابقة الذين طالما خدمهم بلا مقابل، متهمين إياه بأنه غير صادق في إسلامه، وأنه إنما فعل ذلك لأسباب تجارية تهدف إلى تحقيق ربح مادي ومغنم دنيوي. وجاء رده عليهم في محاضرته ساخرًا وحازمًا، قال: «**إني لأشهد الله ثم أشهدكم أن الأمر تجارة، ولكنها تجارة من نوع معين. هل تحبون أن تعرفوا سرها وماهيتها؟ إنها التجارة التي يقول الله عنها: ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ الصف** ١٠-١١.

”إيمانه بأن التوحيد أساس العقيدة الأزلية قاده إلى الإسلام.“

بيع الوارث للحق المشاع

● **إذا باع البائع بيتًا لكنه لا يملكه بأكمله إلا أنـه وارث من ورثـة حصل بينهم وبينـه نـزاع فهل يصح بيعه ؟**

عبد الله . م . هـ . أ . ـ البرة

□ مثل هذا مرده إلى القضاء الشرعي فهو الذي يحكم به بين هذا ومن معـه ، لكني أبين لك ما يلي :

أولاً : لا يجوز بيع وارث من الورثة حقًّا مشاعًا لم يقسم بعـــد ، ثم كيف يتم البيع ؟ ولعـل هـــذا الوارث لم يخول بالبيع .

ثانيا : إذا تم البيع على هـذا الأساس وهو بيع مالا يملكه الوارث ، فالبيع غير صحيح ما لم يكن الـورثة البـاقون قصّرا ، وهـذا الوارث أمين وعـاقل يريد مصلحتهم ودلت على هـذا القرائن ، وسوابق هذا تدل عليه ، فإن هذا البيع لا بأس به ، إذا كان الذين خـالفوا هم الوكلاء فهـو أقدم منهم بسبب القربة والأمانـة والعقل وسوابق الحال الدالة ، على خير صنيعه وسيرته .

ثالثـا : إذا كان وكيل القُصَّر يـرى مصلحتهم بعدم البيـع ودلت على هذا واقع الحال فـالأمر على هذا ، والذي أراه هو الصلح والنزاع لا خير فيه بين الناس وبخاصة القرائب .

الفطنة والموهبة

● **هل الفطنة هي الموهبة ؟**

حماد . م . ل ـ بريدة القصيم

□ اختصرتُ ســؤالك يــاأخ : حماد . م . ل وقيدت هنا مرادك منه إذ لا داعي لإيراد ما أوردت أمثـالا على الموهبـة لـدى بعـض العظماء خـلال التـاريخ الطـويل ، إلا أني لاحظت أنك تخلط بين العظم والقـــدرة وتجعلهما شيئًـــا واحـــدًا بينما هما صفتـان مختلفتـان جدًّا ، فـالقـدرة شيء والعظمـة شيء ، فـلا يصح أن تقـول عن إنسـان قديـر إنـه عظيم ، لكن يصح من بــاب واسع أن تقـول عن إنسان إنه عظيـم وقدير ، ذلك أن الـعــظمـة قدرة داخلة في العظمـة ، فالعظيم قـدير وليس القـدير بعظيم .

فمن يصل ـ حـسب إمكانـاته الخاصـة جدًّا والتي منحه الله إياها ـ إلى القمة : عالمًا أو طبيبًا أو مهندسًا أو قائدًا أو تاجرًا ، وذلك بعيدًا عن الحسد والتضحيـة بـالقيم والآداب والأخـلاق فهـذا هـو العظيم .

والقـدير يصل إلى مـا وصل إليه العظيم لكنـه غالبًا يصل إلى مـراده وقد ضحى بكثير من صحته وولده والآخرين حوله فهو يصل إذ يصل بعد نكد فيتعب الجسم بمراد النفس .

وليس كل قدير كذلك ، لكن هذا هو الحاصل حسب التتبع لسير النـــابهين ممن يملك القـــدرة وليس هو بعظيم .

وأعود إلى **الفطنة والموهبة** فكما قلتُ عن القدرة والعظمة أقـول عن هذه وتلك . فالفطنـة صفة أو ميزة من ميزات الموهبة لا تنفصل عنها ، لكنها عند هذا الموهوب هي غيرها عند ذلك الموهوب ، فتكون مثلاً حاضرة أو غائبة لكنها نائمة وتكون حارة وقد تكون بـاردة وقد تكـون صاحبـة وقد تكـون هنية ، لكنها صفة لازمة للموهبة وتظهر على الموهوب إبان طفولته الباكرة .

والفطنـة على هـــذا أعني بها **سرعة الحضـور الذهني** للحال الحاضرة كفهم الأسئلة وما يراد بها ، وكفهم المعـــاريض ، وكفهـم معنى الإشــارات والحركات ، وكفهم حقيقة حيـاته وكيف يمكن أن يتعـامل مع من حـولـه من أهل وأولاد وعلم . . . إلخ . وهي الفراسة مـن باب ضيّق ، لكنها ليست هي على كل حـال إلا إذا درَّبها صـاحبهـا أو مـرَّ خـلال حياتـه على تجارب حيـة فهي حينئذ تكـون فراسة ، فإذا طبَّعها صاحبها وألصقها بعلم الوحي والكتــاب والسنـة وأخلص لله أمـــره وواظب على الـذكر ودوام العبـادة فهو حينئـذ مدفـوع بإذن الله تعالى إلى فهم الأدلـة وقواعـد الأحكام ، هنـا تظهر الفطنة من خلال فراسة قل أن تخطئ .

ردود قصيرة

● **الأخ : سالمين . م . ل . ـ ضـاحية الشمال ـ اليمن الجنوبي :**

الأبيات التي تسأل عنها هي :

لأمـــر مـــا تصـــدَّعت القلـــوب
وبـــــاحَ بسرِّهـــــا دمعٌ سكيـبُ
وبـــاتت في الجوانح نـــار ذكـــرى
لها مـن خـــارج أثـــرٌ عجيـبُ
ومـــــا خـفَّ اللَّبيـبُ لغير شيء
ولا أعيــــا بمنطقـــــة الأريـب
ذراه لائِمَيْـــهِ فـــلا تلـــومـــا
فـــرُبَّت لائم فيــــه يحوب
رأى الأيــــام قـــد مـــرّت عليـــه
مـرور الـرِّيح يـدفعهـا الهبـوب
ومـــا نَفَس يمُــــرُّ عليــــه إلا
ومـن جثمانـــه فيـــه نصيبُ
وبين يـديـــه لـــو يـــدري مقـام
بـــه الـــولـــدان مـن روع تشيبُ
وهـــذا الموتُ يـــدنيـــه إليـــه
كما يـــــدني إلى الهرم المشيبُ
مقـــام تُسْتَلَـــذُّ بـــه المنـــايـــا
وتُـــدعَـى فيـــه لـــو كـــانت تجيبُ
ومـــاذا الـــوصفُ بـــالغـــه ولكن
هي الأمثـــال يفهمهـــا اللبيبُ

● **الأخــت : ســارة . س . ل ـــ الموصل ـ العراق :**

مثل هـذا السـؤال يمكـن طرحـه على طبيب متخصص في أمراض المخ وجراحة الأعصاب .

● **الأخ : لـبيب زايـد الـسـالمي بن بــراك ـ استنبول ـ تركيا :**

هنـاك كتـاب جيـد عن (محمـد الفـاتح) كبير الحجم أظنه رسـالة دكتـوراة لسالم الـرشيدي لعلك تقرؤه ففيه نسب محمد الفاتح بشكل موسع .



تجربتي مع الصحافة العربية

ياسر الفهد

منذ أكثر من ثلاثين عاما ورحلتي الممتعة والشاقة ممتدة مع الكتابة للمجلات والصحف العربية .

البداية كانت ــ وبالتحديد ـ في شهر آذار (مارس) من عام ١٩٦٢ عندما نشرت مجلة المعلم العربي السورية أول مقال مترجم لي ـ وبعدها نشرتُ العديد من المقالات المترجمة في صحف ومجلات عربية مختلفة مثل صحيفتي «البلاد» و«عكاظ» ومجلتي «التجارة» و«الأسبوع الاقتصادي» في المملكة العربية السعودية . ومنذ أواخر الستينات بدأت بنشر سلسلة من المقالات السياسية الموضوعة في مجلة «النهضة» وصحيفة «الرأي العام» (الكويتيتين) . وبعدها اتجهت نحو كتابة المقال الثقافي والمقال التربوي ومراجعات الكتب ، مع التركيز على تحليل الكتب الأجنبية ، نظرا لأن عددا قليلا جدا من القراء العرب تتاح له إمكانية الاطلاع على مثل هذه الكتب . وقد قمت بنشر أعداد كبيرة من المقالات الثقافية والتربوية والاجتماعية ومراجعات الكتب في مجلات وصحف عربية كثيرة مثل «الفيصل» و«العربي» و«عالم الفكر» و«شؤون عربية» و«الفكر العربي» و«المعرفة» و«القافلة» و«الخفجي» و«التوباد» و«الناقد» و«المجلة العربية» و«البيان» الكويتية و«المجلة العربية للتربية» (الصادرة عن منظمة اليكسو) ، والمجلة الثقافية (الأردنية) والتربية (القطرية) وصحيفتي «الثورة» و« تشرين» (السوريتين) وغيرها بالإضافة إلى أحاديثي الإذاعية التي أذيعت من إذاعتي لندن ودمشق .

وخلال تعاملي الطويل مع الصحافة العربية مررت بتجارب ، وتكونت لدي خبرات حول طريقة تعامل كل مجلة مع الكاتب وحول طبيعة خططها واتجاهاتها الصحفية ومقاييس النشر فيها . وفي أثناء المسيرة الطويلة اكتشفت في الصحافة العربية علامات مشرقة كثيرة ، ولكن كانت هناك أيضا

من تجاربهم



مرض خطير: لصوص الكتابة في الصحافة العربية

> "ابتعدوا عن الغموض والصيغ المبهمة في الكتابة"

علامات قائمة. وسأنقل في هذا المقال بعض انطباعاتي المستوحاة من الممارسة الصحفية العملية. وسأبدأ بالظواهر السلبية أولا، لأن إظهار الثغرات ونقاط الضعف ومحاولة سدها ومعالجتها أولى بالاهتمام، ويجب أن يسبق الإشادة بالمناقب:

فمن الظواهر السلبية التي تثير دهشتي في الصحافة العربية أن بعض المجلات والصحف محدودة الانتشار تنشر بين كل حين وآخر، مواد صحفية لأشخاص أعرفهم معرفة شخصية، وأعرف أن لا علاقة لهم من قريب أو بعيد بالكتابة الحقيقية، فهم متطفلون ومتحايلون وبعضهم لصوص كتابة، ولا أدري كيف تنطلي حيلهم على المجلات التي تنشر لهم، ولا من أين يجيئون بمقالاتهم، وكيف يسرقون أفكار غيرهم دون أن ينكشف حالهم بشكل حاسم. وفي الجانب المقابل، أعرف أشخاصا مجوّدين في الكتابة والبحث، ويقضون أوقاتا طويلة وجهودا بارزة في إعداد الدراسات ولكن حظهم من النشر ضعيف، بسبب قلة خبرتهم باهتمامات المجلات وطبيعة المقالات التي تحبذ نشرها بما يلائم خططها واتجاهاتها. وهذا الوضع الشاذ لا ينطبق على المجلات الواسعة الانتشار التي تهتم بمعرفة الخلفية العلمية للكاتب قبل النشر له. وقد استطاع بعضها كمجلتي «العربي» و«الفيصل» إيجاد السبل لاكتشاف المتطفلين على الكتابة وطردهم من صفحاتها.

ولست هنا بصدد تحليل ظاهرة النشر لمن لا يستحقون النشر، ولكن يكفي أن نقول: إنه لا بد أن تكون هناك مقاييس واضحة ومنصفة للنشر في المجلات العربية.

دون تخطيط.. لماذا؟!

وننتقل الآن إلى ظاهرة سلبية أخرى تتعلق بالعشوائية وغياب التخطيط الصحفي، فبعض المجلات العربية لا تفعل أكثر من تجميع كمية من المواد ونشرها كيفما اتفق، فليست هناك خطة متوازنة للنشر، ولا زوايا للأخبار الثقافية والعلمية أو زوايا لبريد القراء، أو للحوار من أجل مناقشة وتقويم بعض ما ينشر في المجلة نفسها، أو غير ذلك. الأمر كله لا يتعدى جمع عدة مواد وموضوعات مختلفة ثم إرسالها إلى المطبعة لتنشرها في أحد أعداد المجلة. ونتيجة لذلك نقرأ خليطا غير متجانس من المواد المتناثرة التي لا يربطها رابط ولا يجمعها جامع، والتي تخلو من كل نكهة صحفية. وهي أشبه ما تكون بفصل في كتاب، مع فارق واحد هو أن فصل الكتاب يمتاز بوحدة الموضوع وبالترابط والانسجام.

ونذكر أيضا ظاهرة تأخر النشر في المجلات الواسعة الانتشار، فالمقال فيها قد ينتظر سنة أو سنوات قبل أن يأخذ طريقه إلى النشر. ذلك أن هذه المجلات يصلها أكثر بكثير مما تحتاج إليه من مواد على الصعيد الكمي، فيختل لديها التوازن بين العرض والطلب. ولا يبدو أن لهذه المشكلة حلا، وما على الكاتب سوى أن يختار بين النشر السريع في المجلات العادية أو النشر المتأخر في المجلات الرائجة.

ومن ثغرات الصحافة العربية النهج الذي تتبعه بعض المجلات والقائم على المبالغة في جمال الشكل، على حساب المضمون، فهناك إثارة صحفية وطباعة فاخرة وعناوين كبيرة وخطوط جذابة. ولكنك عندما تفتش عن المضمون العلمي الجيد والجدي، فيها، لا تجده.

ولا ننس كذلك مشكلة الأخطاء المطبعية التي تستشري في بعض المجلات العربية، مما قد يؤدي إلى تشويه المعنى وإفساد اللغة وتخريب المادة المنشورة، شكلا ومضمونا.

وهناك مشكلة قيام بعض المجلات، من جانب واحد، بحذف بعض الجمل أو الأجزاء من المقالات بسبب ضيق الحيز وعدم اتساع المساحة لكامل المقال. وعندما يتم الحذف بطريقة أصولية ورشيدة، يبقى المقال سليما ومعافى، ولا تكون هناك مشكلة. ولكن الحذف يجري أحيانا بطريقة غير حكيمة وبشكل يخل بتوازن المقال، ويؤدي إلى إفساد المعنى في بعض أجزائه. وهنا يكمن المحظور. هذه مجرد أمثلة عن بعض الانطباعات السلبية المتفرقة التي تكونت لدي من خلال تجربتي الطويلة مع الصحافة العربية وهناك غيرها الكثير، مما لا يتسع له المجال هنا.

ونتنقل الآن إلى الجانب المعاكس الذي يتجلى فيها لمسته من علامات إيجابية وإشارات مضيئة تظهر في بعض السياسات والاتجاهات الصحفية لهذه المجلة العربية أو تلك: ففي مجال الشعبية وسعة الانتشار وإرضاء جميع الأذواق، هناك مجلة «الفيصل» التي تتحلى بصفات صحفية عديدة منها قدرتها على تمثيل مفهوم المجلة الجامعة المنوعة خير تمثيل، الأمر الذي أكسبها شعبية مميزة، وجعل لها قاعدة من أعرض قواعد القراء في شتى البقاع العربية وفي أنحاء أخرى من العالم. ولا ننسى أيضا قدرتها على الجمع بين العناية بتراث الماضي المجيد وتكريم اللغة العربية تكريما خاصا، من جهة، وبين الاهتمام بمنجزات الحضارة الحديثة وفتح النوافذ على الثقافات الأجنبية، من جهة ثانية، ناهيك عن قدرتها على الجمع بين الدراسة المفصلة والكلمة القصيرة والخبر الثقافي السريع، بطريقة علمية مشوقة.

ونذكر أيضا **مجلة «العربي»** بافتتاحياتها القيمة، واستطلاعاتها المثيرة، وموضوعاتها المواكبة للأحداث واهتماماتها التي تغطي مشكلات المواطن العربي في كل مكان.

وهذا الاتجاه العربي الشامل نجده أيضا **في مجلة «شؤون عربية»** التي لا تنشر أية مادة، إلا إذا كان موضوع المادة يتعلق بشؤون الوطن العربي، بكل ما يحفل به من هموم وأمان وتطلعات. وبتعبير آخر، فإن مادة النشر في هذه المجلة ذات صفة قومية عامة، ولا مكان للمادة المحلية القُطْرية على صفحاتها.

وفي مجال القدم الزمني والعمر الصحفي المديد، تبرز أمامنا مجلة «الهلال» التي احتفلت في أواخر عام ١٩٩٢ بمرور مائة سنة على صدورها، أتحفت خلالها القراء العرب بأنفس الإنتاج الثقافي والعلمي. وفي ميدان التخصص العلمي الرفيع، تنفرد **مجلة «العلوم»** الكويتية بالقدرة المميزة على ترجمة أكثر الدراسات العلمية تعقيدا وتخصصا ودقة، مع كل ما تنطوي عليه عملية الترجمة من مشاق هائلة.

وفي حقل التخصص النفطي، هناك مجلة «القافلة» التي استطاعت، على الرغم من كونها مجلة متخصصة بصناعات النفط والهندسة البترولية، أن تجذب القارئ العادي إلى جانب العالم المختص، وذلك بفضل مادتها الثقافية والأدبية الممتعة التي ترفد مادتها العلمية ناهيك عن رصانة هذه المجلة وابتعادها عن الإثارات الصحفية المفتعلة وهي تقدم لنا أنموذجا حضاريًّا ناجحا في التعامل الصحفي يتجلى في إعادتها كل مقال لا تجيزه للنشر إلى الكاتب من تلقاء ذاتها، فتوفر عليه بذلك متاعب شتى.

وفي مجال الجرأة، تقفز إلى ذهني **مجلة «الناقد»** التي تنشر مقالات قد يتردد غيرها في نشرها. **وعندما يتعلق الأمر بالقيمة المرجعية العلمية لا** يسعنا إلا أن نذكر مجلتي **«عالم الفكر» و«الفكر العربي» بملفاتها ومحاورهما الدائمة التي تعد بحق مصادر ثمينة للباحثين العلميين. وكمثال على الصمود في وجه المصاعب الصحفية المالية، نذكر** مجلتي «الآداب» اللبنانية و«الثقافة» السورية اللتين استطاعتا خلال عقود طويلة من الزمن الاستمرار في الصدور، على الرغم من كونهما مجلتين خاصتين محدودتي الموارد. ومن المجلات التي استطاعت أن تكثّف في كل عدد من أعدادها عشرات الكتب التي تصدر في هذا المكان من الوطن العربي أو ذاك، **مجلة «عالم الكتب»** التي تزود القارئ بخلاصات وتعاريف وتحليلات ومراجعات لكتب عربية قديمة وحديثة.

وفي مجال الطرافة والتفرد، هناك **«المجلة العربية»** السورية التي تنشر موضوعات طريفة قلما نجد لها شبيها في مجلات أخرى. بالإضافة إلى **«المجلة الثقافية»** الأردنية التي ابتدعت فكرة نشر مجلة علمية مكثفة داخل صفحات مجلتها الثقافية، فكانت بذلك رائدة في أحد مجالات التجديد الصحفي.

كانت هذه أمثلة حية تلقي الضوء على مدى ما أحرزت بعض مجلاتنا من تقدم وتطور. إن في مسيرة الصحافة العربية إيجابيات وسلبيات. ونأمل أن يكون الزمن كفيلا بتحقيق مزيد من الإيجابيات وبالقضاء على الكثير من السلبيات.

وحتى يتحقق هذا يجب على الكاتب أن يسهم من جانبه بدور في دفع المسيرة الصحفية العربية. **والكاتب الحقيقي هو الذي يختار موضوعات مفيدة للناس وللوطن، وملائمة لاحتياجات القراء.** وأريد هنا أن أؤكد نقطة مهمة تتعلق بالوضوح. **فحتى يكون الكاتب أكثر قدرة على إفادة القراء، يحسن به أن يبتعد عن الغموض والصيغ المبهمة.** ولن يكون واضحا كل الوضوح في بسط أفكاره وآرائه. فهناك كتاب يقدّمون للقارئ مقالات قيمة، ولكنها مترعة بالعبارات الاصطلاحية والمنهجية المعقدة، فتنتفي الفائدة منها، لعدم قدرة القارئ العادي على استيعابها. وفي تعاملي مع الصحافة العربية أوليت هذه الناحية كل الاهتمام، فأنا أحرص أشد الحرص على تقديم مقالات ومراجعات واضحة، بحيث يستطيع القارئ أن يدرك هدف المقال ومغزاه، بمجرد قراءة العبارات الأولى منه. وهذا يتحقق لي في المقال الإبداعي الموضوعي أكثر من المقال المترجم الذي يفرض علي أفكارا لا أستطيع التحكم بها، وهي أفكار الكاتب الأصلي. ومع ذلك، فإني أبذل كافة الجهود كي تخرج الترجمة على أكثر ما يمكن من الوضوح.

كانت هذه بعض الملامح السريعة في تجربتي الكتابية والنشرية مع المجلات والصحف العربية، سواء ما يتعلق من هذه التجربة بالكتابة الإبداعية الأصلية، أو بالإنتاج المترجم.



الصَّمْتُ المفجوعُ

شعر: القاسم بن علي الوزير

عبرات على ثرى شاعر الإنسانية المؤمنة عمر بهاء الدين الأميري *



عمر بهاء الدين الأميري

كفْكفِ الدَّمْعَ ! ليسَ تُجدي الدّموعُ   أبلغُ الحزنِ صمتُه المفجوعُ
الرَّزايا كأنّها قِطَعُ اللَّيْلِ ؛ قَطِيعٌ يمضي ويأتي قطيع
تَتَوارى النُّجوم ما ضَوّأت منه هزيعًا إلاّ طواهَا هَزيعُ
يكتبُ الموتُ كلَّ يوم من الشعـ   ـرِ فنونًا تهمي أسًى وتَروعُ
بعضُ أوزانِهِ النّواحُ وبعضٌ   من قوافيهِ، في القُبورِ، ضَجيعُ
أجَلٌ لم يزلْ يدورُ على الخلـ   ـقِ ويبكي على الصَّريعِ الصريعُ
ما وَضَعْنا يدًا على الجُرح إلاّ   سالَ جُرحٌ على الشفاء مَنيعُ
قطفَ الموتُ هامةً لم تطأطئ   لظلوم ولم يَشنْها خُضوعُ
«شاعرُ المؤمنينَ» : قولٌ جريءٌ   وجبينٌ عالٍ وعزمٌ جميعُ
حيثما حلّ فهوَ شِعْرٌ وفكرٌ   وحُضورٌ سمْحٌ وذوقٌ رفيعُ
لا المنافي غلّتْ يديهِ ولا أسـ   ـكتَ فاهُ من الخطوبِ المَروعُ
تذكر الفارس المجلي فلسطينُ ويبكي الوغى وتبكي الدُّروعُ
حينَ غابَ الفُرسانُ من حرمة الحر   ب تباهَى بالانهزام الرَّقيعُ
وامتطى صهوة الجيادِ اغتصابًا   فارسٌ كاذبٌ وغرٌّ خليعُ
لا تسلهُ عن البُطولَةِ، سلهُ   كيف - بالقدسِ - يَشتري ويَبيعُ
يا ديارًا نَبَتْ بكلّ كريم   من بَنيها وفي حَشاها وُلوعُ
سيْفُها مُصلتٌ عليهم ولكنْ   قلبُها والهٌ عَليْهم وَجيعُ
ذاكَ إرثٌ توارثَتْهُ على الدّهـ   ـرِ قرونٌ ذليلةٌ وجُموعُ
مثّلوا أمسِ بالحُسيْنِ المُفدّى   وعليهِ منهُمْ تسيل الدّموعُ
وإذا الظلمُ دامَ دَهْرًا تَمَشّى   في شَرايينِ عابديه الخنُوعُ
أشربَ «العِجْلَ» قومُ مُوسى، وألفٌ   سامِريٌّ ما بَيْنَنا متبوعُ
لعْنَةُ الظلم أنه يذهب الظلمُ ويبقى رهنَ السّياط المطيعُ
يا صديقي، ويا أخي عَسعَسَ الليْـ   ـلُ وحنّتْ إلى الشُموسِ الرّبوعُ
قد رأتْهُنَّ آفلاتٍ وما تر   قبُ فجرًا إلا جفاهُ الطلوعُ
عبثَ الظلمُ بالديار وبالنا   س فخافَ الراعي وذلّ القطيعُ
واقشعرّت جوانبُ الأرضِ لا المَر   عى خَصيبٌ ولا تدرّ الضّروعُ
وإذا الجهلُ والخيانةُ شدّا   وترَ القوسِ فالصريعُ الجميعُ
عندَ قلبي عن المآسي حديثٌ   لم يُطقْهُ - ولن يُطيقَ - سميعُ

قد زوى عن هديرها الفظّ سَمْعًا ... ومضى يُظمئُ الأسى ويُجيعُ
أكرمَ الابتلاء بالصّبر إلاّ ... لفحةٌ تُعلنُ الجوى وتُذيعُ
نَزلَتْهُ لوافحًا من سعير ... وغَدَت وهي – في نداه – ربيعُ
تتملى فيه العُيونُ ولكن ... هلْ رأتْ ما انطوتْ عليه الضلوعُ ؟
يا أبا أحمد البَرَاءِ شجَتْني ... غُصّةٌ ما لمثلها أستطيعُ
آخرُ العهد بيننا كانَ وعدا ... أين من موعدي وفاءٌ مَريعُ ؟
راحلٌ أنتَ ؟ نَحْنُ عمَّا قريبٍ ... سوف يمضي بنا «القطارُ السريعُ»
وعجيبٌ يُمزِّقُ الحُزنُ منَّا ... كل قلب، وإنّكَ المتبوعُ
غَيْرَ أن الحياةَ بعد الأحبّا ... ءِ - على قصْرها - عذابٌ - مُريعُ
وتَراني مع الرّدى في سِجالٍ ... مُنتهى الشّوطِ فيه أن لا قنوعُ
كلَّ يوم مُودِّعٌ لِحبيبٍ . . ... بعضُ نفسي تمضي وبعضٌ جَزوعُ
فطرةٌ للوفاء شبَّ عليها ... وقضَى حقّها فؤادٌ وَلوعُ
قارئٌ للدموع ما انفكّ يتلو ... كلَّ حين أورادَها ويُذيعُ
يَحسَبُ القارئون فيها حروفًا ... وهي من قلبه صُدوعٌ صُدوعُ
ليس ينسى لكَ اليمانونَ عهدًا ... ناصعًا، في وفائهم، لا يَضيعُ
عزَّ في حومةِ الجهادِ لواءٌ ... وازدهى بالفِدا النبيل الصنيعُ
صَفَحاتٍ روى الزُبيريُ عنها ... وحكى شِعرُهُ الجميلُ البديعُ
لست أحصي لكَ المواقفَ ! هذا ... مَدرجُ الدمع إذ تَسيلُ الدّموعُ
لك في كل بلدةٍ أثرٌ با ... قٍ وعطرٌ في كل نادٍ يضوعُ
و«فلسطينُ» جُرحُ شِعرك والقلـ ... ـبُ تَسيل الدِّما ويَجري النجيعُ
ولك القانتاتُ من غرر الشّعـ ... ـر . . ومِحرابُهُ الجليلُ الوسيعُ
لم يُصلِّ من قبلِ شِعركَ شِعرٌ ... عبقريٌ سُجودُه والركوعُ
فـ«مع الله» في السّماءِ وفي الأر ... ض دعاءٌ جمُّ اليقينِ خَشوعُ
و«نَجاوى مُحمدٍ» كلّ نجوى ... في المحاريبِ عطرُها والشمُوعُ
تتوخى قِرى النبيّ المُرَجّى ... أذِنَ اللهُ واستضافَ الشفيعُ
قد نزلتَ البَقيعَ ضيفًا عليه ... إن مَن في جواره لا يَضيعُ
سَعدَ اللاحقونَ بالملأ الأعـ ... ـلَى وحنَّت إلى الجُذور الفُروعُ
فَقَدَتْكَ الشآمُ حيًّا وودَّتْ ... لو تُواريكَ في حشاها النُّجوعُ
ساءَها أن يُغَرَّبَ الليثُ حيًّا ... ثم لا يسعف الرفاتَ الرُجوعُ
قلْ لتلكَ القبورِ في الشام لهفى ... ما عليكنَّ . . قد حواه «البَقيعُ»

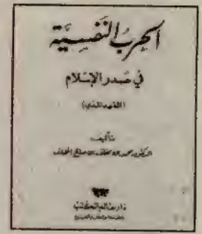
من كتاب العدد



● القاسم بن علي الوزير
- من الشعراء اليمنيين المعروفين.
- من مواليد مدينة تعز، اليمن عام ١٣٥٥هـ.
- نشأ وتعلّم في تعز والمحويت.
- له مجموعة من البحوث والمقالات الأدبية والسياسية والقصائد الشعرية.

(*) كان اللقب الذي أطلق على الشاعر الفقيد هو «شاعر الإنسانية المؤمنة».






د. محمد بن مخلف المخلف

● العنوان : الحرب النفسية في صدر الإسلام (العهد المدني) .

● المؤلف : د. محمد بن مخلف المخلف .

● الناشر : دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع بالرياض .

هذا الكتاب في أصله أطروحة دكتوراه، حصل بها صاحبها على مرتبة الشرف الأولى من كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

وعندما يُقْدم المؤلف على إعداد هذه الرسالة العلمية للقراء على نطاق واسع من خلال نشرها، فإنما يُسجل جهدًا آخر محمودًا له لإخراج هذا العمل الأكاديمي إلى النور، ليكون ميسور التناول؛ حيث إن كثيرًا من الرسائل العلمية تبقى حبيسة الأضابير سنوات طويلة، وتمضي السنون دون أن ترى النور !

يشير الدكتور المخلف في المقدمة إلى أن أهمية هذه الدراسة تكمن في إجابتها عن مجموعة من التساؤلات هي :

ـ ما الأهداف الرئيسة للحرب النفسية التي شنها الأعداء ضد الإسلام والمسلمين في العهد المدني؟

ـ وما أنواعها وأساليبها، ووسائلها ؟

ـ ما أنواع الحرب النفسية المضادة وأساليبها ووسائلها التي استخدمها المسلمون وارتكزوا عليها في مواجهة أعدائهم ؟

اشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب انضوى تحتها عدد من الفصول، فالباب الأول تكوَّن من أربعة فصول، ناقش في الأول مفهوم الحرب النفسية وتعريفاتها، ونشأتها، وتطورها . وتناول الفصل الثاني دراسة الظروف السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العهد المدني . وتحدث الفصل الثالث عن النظامين الإعلامي والسياسي في العهد المدني وموقع الحرب النفسية منهما . وفي الرابع تحدث عن مبادئ النظام الإعلامي وطبيعته ودوره في السلم والحرب وموقع الحرب النفسية منه .

أما الباب الثاني فقد تناول الحرب النفسية في العهد المدني أهدافها وأنواعها، وقد قسَّم هذا الباب إلى فصلين : الأول تحدث فيه المؤلف عن أهداف الحرب النفسية وأهمية تحديدها وموقع الحرب النفسية من الحرب الشاملة وتصنيفاتها وأهدافها بالنسبة إلى الجمهور الذي تُوجَّه إليه، ثم أورد شواهد من وضوح الأهداف في الحرب النفسية قديما وحديثا، وأهداف الحرب النفسية الموجهة ضد الإسلام من أعدائه . أما الفصل الثاني فقد خصصه المؤلف لدراسة أنواع الحرب النفسية وفقًا للحالة التي توجه فيها إلى حرب نفسية وقت السلم، وحرب نفسية وقت الحرب، وعلى أساس الزمن إلى استراتيجية طويلة المدى، وتكتيكية قصيرة المدى وتعزيزية، وأيضًا وفقاً لقوتها إلى هجومية ودفاعية، ومضمونها إلى أيدلوجية وإعلامية .

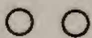
الباب الثالث والأخير قصره الباحث على الحديث عن وسائل وأساليب الحرب النفسية في العهد المدني، وقسَّمه إلى فصلين هما : الأول عن وسائل الحرب النفسية، واشتمل على وسائل الحرب النفسية الأولية، والتي منها : القرآن الكريم، السنة المطهرة والأحاديث النبوية، المسجد، الخطابة، الدعاة، الاجتماعات والندوات، وغيرها . وتناول الفصل أيضًا وسائل الحرب النفسية الثانوية غير المباشرة، والتي منها : إشعال النيران، الشعر، الغزوات والسرايا والحروب، الأعلام، الأسواق .

الفصل الثاني خُصص للحديث عن أساليب الحرب النفسية في صدر الإسلام (العهد المدني)، وقد اعتمد الباحث في هذا الفصل مبدأ التكامل أساسًا لدراسة هذه الأساليب وتحليلها، بحيث تحدث أولاً عن تعريفات الأسلوب، ثم أهميته ومدى استخدامه في العصر الحالي، ثم استعرض استخدامات كل أسلوب قديمًا وحديثًا، ثم تحدث عن استخدامات المسلمين لذلك الأسلوب مواجهة لأسلوب الأعداء دفاعًا أو هجومًا . وقد خلص الباحث بعد ذلك إلى استنتاجات من كل أسلوب، من حيث استخداماته من قبل الفريقين وأي من الفريقين، المسلمين، أو أعداء الإسلام أفضل من الآخر في استخدامه للأسلوب من ناحية المعايير الدينية والأخلاقية، ومن منطلق مقاييس الإسلام السمحة .

وقد شمل هذا الفصل المباحث التالية : أسلوب السخرية والاستهزاء، أسلوب المجادلة، أسلوب الشائعات والأكاذيب، أسلوب الدعاية المغرضة، أسلوب إثارة الرعب، أسلوب الخداع والتمويه، أسلوب التثبيط وتحطيم المعنويات، أسلوب التعجيز والتحدي، أسلوب الإغراء والاستمالة .

وختما لأبواب الكتاب الثلاثة قدم المؤلف النتائج التي توصل إليها، والتوصيات التي ينصح بها، وأورد جملة من الملاحق والأشكال التوضيحية، فقائمة بالمصادر والمراجع، فيما خلا الكتاب من الفهارس الفنية التكميلية، كفهارس الأعلام، والأماكن، وقبل ذلك فهرسي الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة .

إن معرفة ما حاكه المتآمرون على الإسلام في العهد المدني بقصد التخذيل من همم المسلمين يعد ركيزة أساسية لفهم دسائس المتآمرين المعاصرين ضد ديننا الحنيف .





عبد الله بن سالم الحميد

● العنوان: شعراء من الجزيرة العربية (الجزء الأول).
● المؤلف: عبد الله بن سالم الحميد.
● الناشر: طويق للخدمات الإعلامية والنشر والتوزيع. ط ١، ١٤١٣هـ، ٣٢٢ ص.

على مدى ثمانية عشر شهرًا من عامي ١٤٠٨ و١٤٠٩هـ قدمت إذاعة الرياض برنامجًا أسبوعيًا بعنوان «شاعر من أرض الجزيرة» من إعداد عبد الله بن سالم الحميد، الذي رأى هذا العام أن يحول المادة المسموعة إلى مادة مقروءة بإصداره هذا الكتاب.

والواقع أن تحويل البرنامج إلى كتاب مقروء في متناول الجميع خطوة موفقة، وخطوة متممة للرسالة الإعلامية، فإذا كانت الرسالة الإذاعية أعم وأكمل، فإن الرسالة المكتوبة أعمق وأبقى في الساحة الثقافية، بَيْد أنه لابد من الإشارة إلى أن لكل من المادتين المسموعة والمقروءة خصائص وسمات تنفرد بها عن الأخرى، بل إن لكل من المادتين أنماطًا وأشكالاً تختلف وتتباين، وليس من السهل مطلقًا نقل مادة - أيًّا كانت - من عالم إلى عالم، إلا بمراعاة خصائص المادة المنقول منها والمادة المنقول إليها ولون كل منهما. وقد حاول المؤلف أن يُبين لقارئه قيامه بهذه المهمة الشاقة حين يقول في المقدمة ص ٥: «ولم تكن مادة هذا الكتاب صورة منسوخة عن ذلك البرنامج الإذاعي، وإنما هي تطوير لتلك الفكرة ومحاولة لصياغة عمل يخدم هذه الأصوات الشعرية».

ومن خلال قراءة الكتاب لم نلحظ تطويرًا للفكرة - كما زَعَمَ - فالحميد وُفق في إعداد البرنامج حيث قدم معلومات مبسطة، ومقاطع منتقاة من قصائد الشعراء الذين اصطحبهم، وأورد خلال حديثه عنهم أسئلة وردودًا، تأتي أحيانًا على شكل حوار، وأحيانًا أخرى على شكل سؤال واحد فقط يجيب عنه الشاعر، ويقيننا أن ذلك النهج كان يتناسب مع متطلبات الأداء الإذاعي بين صوتين، غير أن ذلك كله لا يتلاءم مطلقًا مع الكلمة المكتوبة ذات الطابع السردي والمعلوماتي! ففي ص٥٩ وتحت عنوان «قراءة في التجربة الشعرية للدكتور أسامة عبد الرحمن» يتحدث لقارئه عن شاعر لا يصرح باسمه، بل يضع أوصافًا وتمهيدًا وتساؤلات منها: عجيب أمر هذا الشاعر. لماذا لا يعشق الأضواء؟ ألا يزال مصرا على ابتعاده عن الأضواء؟ وهل يكتب الشعر لنفسه إذن؟ وبعد ذلك يكشف النقاب عن الشاعر حين يقول: «إنه الشاعر الدكتور أسامة عبد الرحمن إذن؟» وتأتي الإجابة: «نعم»!

أما أطرف شيء يُشير إلى أصل الكتاب الإذاعي فهو ما ورد في ص ١١١، وهو قوله: «في جولتنا مع شاعر هذا اللقاء»، وقوله ص ٢٠١: «نأمل أن نظفر بشيء من ذلك العبير. وأنماط من ذلك الألق مع شاعر هذه الحلقة»!

وعموما فإن الكتاب اشتمل على قراءات عجلى لشعر خمسة عشر شاعرًا هم: إبراهيم الدامغ، إبراهيم العواجي، أحمد سالم باعطب، أسامة عبد الرحمن، حسين سرحان، حمد العسعوس، حمد الحجي، خالد محمد الفرج، ضياء الدين رجب، عبد السلام هاشم حافظ، عبد الله الفيصل، عبد الله بن عبد الرحمن الزيد، عبد الله بن خميس، علي الدميني، محمد بن عبد الله بن بليهد. ويتضح من سرد هذه الأسماء اختيار المؤلف لشعراء من الرعيل الأول والثاني ومن الشعراء الشباب، إضافة إلى أن لكل من هذه الأسماء اتجاهات تتفاوت وتتراوح بين التجربة التقليدية والمطوَّرة، والجديدة. وقد حاول المؤلف أن يختار جوانب محددة - أو هكذا أراد - من خلال العناوين التي يفتتح بها حديثه عن شعرائه، فمن تلك العناوين: قراءة في معاناة الشاعر إبراهيم العواجي، إضاءة معاناة الشاعر أحمد سالم، الصوت الأثري حسين سرحان، أحزان العسعوس مع الوجد والغربة، البحث عن الشاعر خالدالفرج، قراءة في التجربة الشعرية لدى الشاعر عبد الله الزيد... إلخ.

وليس ثمة منهج محدد يسير الحميد بموجبه في دراسته لشعر هؤلاء، فشاعر يبدأ الحديث عنه بإيراد مقطوعة له ثم التعليق عليها، ثم يسترجع بعض المعلومات عن سيرته الذاتية، وشاعر آخر يمهد قبل الحديث عنه بقضية أدبية يجعلها مدخلاً لقراءة شعره، وقد يهمل ترجمة حياته، وربما اختار قصيدة أو قصيدتين وحللها تحت عنوان (النموذج.. التحليل)، كما فعل مع حمد الحجي.

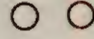
ومما يؤخذ على الكتاب ضعف التوثيق، وانعدامه أحيانا، فهو يستشهد عند قراءته لشعر شعرائه بأقوال بعض النقاد وبدواوين الشعراء أنفسهم، وأحيانًا بلقاءاته الشخصية - كما يقول عن ابن خميس ص ٢٧٩ -: «وفي لقاء عابر مع الشيخ عبد الله»، دون توثيق مرضٍ لهذه النقول والاستشهادات، حيث يكتفي المؤلف في غالب الأحيان بسرد مراجعه في نهاية الدراسة تحت عنوان «المراجع» دون أن يذكر اسم الكتاب كاملاً وبيانات النشر، بل إنه قد يرجع إلى بعض الدوريات دون أن يحدد رقم العدد والتاريخ. والأعجب من ذلك أنه اكتفى بذكر المؤلف والكتاب فقط في قائمة المراجع، وجاء ترتيب المراجع عشوائيًا ولم يخضع لمنهج.

ومهما يكن فإننا لم نعدم التوثيق في ثنايا الكتاب، وخاصة في دراسته لشعر عبد الله الزيد، حيث تعد هذه الدراسة مهمة لتلاحمها وخصوصيتها واشتمالها على دراسة نماذج من شعره لم تنشر، وعلى جانب من سيرته الذاتية نتيجة لقائه به وصداقته له، ثم إن الدراسة ختمت بقائمة بالمصادر التي اعتمد عليها بشكل لا بأس به.

وثمة ملحوظة تحتاج إلى كثير من الجدل قد يدان بها المؤلف، وذلك في قوله ص ٢٥٠ أثناء دراسته لشعر الزيد: «لابد أن نؤكد للذين لا



يعرفون إيقاع الشعر وقراءته أن المقصود هنا هو التشكيل على الحروف وليس الوزن، على الرغم من أن الوزن - في اعتقادي - ليس شرطا للشعر ولا القافية أيضًا، وإنها المهم في ذلك المعاناة ومصداقية الهواجس!».





د. خالد علي المدني



● العنوان : الرضاعة الطبيعيَّة.

● المؤلف : د. خالد علي المدني، ود. رفيدة حسين خاشقجي.

● الناشر : دار المدني بجدة، ط ٣، ١٤١٢هـ. ٢١٠ ص.

لعل هذا الكتاب من الكتب التي تحتاج إليها كل أسرة، ليس لأهميته فحسب، بل للنهج الذي اختطه المؤلفان، حينها قدما المصطلحات الطبية بأسلوب مبسط، ودعَّما معلومات الكتاب بأحدث المصادر العلمية الصادرة في أنحاء العالم.

وموضوع الرضاعة الطبيعية له شأن ليس باليسير، وليس بمستغرب أن يكون القرآن الكريم والحديث الشريف قد سبقا الناس جميعا إلى الحث عليها وتقرير أحكامها. فالرضاعة الطبيعية هي الطريقة التقليدية والمثلى لتغذية الرضيع وتكفيه لسد جميع احتياجاته في الأشهر الأولى من عمره.

ومن هنا كانت المؤتمرات الدولية المتخصصة في شؤون الطفولة والأمومة لا تكاد تخلو توصياتها من تأكيد أهمية الرضاعة الطبيعية وفوائدها بالنسبة إلى الرضيع والمرضع.

وقد توافرت بمكتبات أوربا وأمريكا مراجع وكتب ومجلات ونشرات - لا حصر لها - تبحث موضوع الرضاعة الطبيعية وتغذية الطفل بطريقة علمية. وفي الوقت نفسه تشكو المكتبة العربية نقصاً كبيرًا في هذا المجال إلا من دراسات هنا وهناك تعد على الأصابع، فما زلنا في أمس الحاجة إلى جهود العلماء والباحثين العرب حتى يوفوا هذا الموضوع حقه ويستوي على سوقه.

ولعل هذا الكتاب الذي يقدمه المؤلفان (د. خالد علي المدني استشاري التغذية بوزارة الصحة، ود. رفيدة حسين خاشقجي رئيسة قسم الغذاء والتغذية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة) إلى أبناء العربية يكون إسهامًا فعالاً وحافزًا لزيادة البحث والعطاء حتى يتوافر لدينا جميعًا أكثر قدر من المعلومات الضرورية عن هذا الوضوع.

قُسِّم الكتاب إلى اثني عشر فصلا، بالإضافة إلى الجداول والأشكال التوضيحية، ويحتوي على اثنين وستين مرجعا أجنبيًا، ويقع في مئتين وعشر صفحات من القطع المتوسط.

الفصل الأول : نظرة الشريعة الإسلامية إلى الرضاعة الطبيعية، حيث يعرض المؤلفان الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تنظم واجبات الوالدين وحقوقهما فيما يتعلق بالرضاعة. ويتناول الفصل الثاني صورًا من الرضاعة الطبيعية في أجزاء مختلفة من العالم. أما الفصل الثالث فهو بحث ميداني عن الرضاعة الطبيعية في المنطقة الغربية للمملكة العربية السعودية، حيث قام المؤلفان بعمل استقصاء لأربعمئة أم في مدينتي جدة والمدينة المنورة. أما الفصل الرابع فقد احتوى على ثلاثة أجزاء هي : التركيب التشريحي للثدي، ونموه وتطوره، وميكانيكية إفراز الحليب. الفصل الخامس عن الحمل، حيث يشرح المؤلفان المراحل الفسيولوجية للحمل : مراحل الغرز (التثبيت)، تكوّن الأعضاء، مرحلة النمو. كما يتناول هذا الفصل الاحتياجات الغذائية للمرأة الحامل والمرضع. أما الفصل السادس فهو عن الإعداد للرضاعة الطبيعية (مرحلة اتخاذ القرار).

ويختص الفصل السابع بالاحتياجات الغذائية للرضَّع، سواء المواليد الأسوياء أو الناقصي الوزن. في حين يختص الفصل الثامن بالاحتياجات الغذائية للأطفال. وشمل الفصل التاسع الأدوية وتناولها أثناء فترة الرضاعة، فيما ناقش الفصل العاشر فوائد الرضاعة الطبيعية، التي حددها المؤلفان بثماني فوائد، أهمها أن الرضاعة الطبيعية تعمل لتكوين رابطة حنان ومحبة بين الأم وطفلها، وأن نسبة الإصابة بسرطان الثدي بين النساء المرضعات أقل من النساء غير المرضعات. ويختم الباحثان هذا الفصل بمقارنة العناصر الغذائية المختلفة بين حليب الأم وحليب البقر.

الفصل الحادي عشر خُصص للحديث عن المميزات المناعية الوقائية للرضاعة الطبيعية، بما في ذلك الوظائف وعناصر الوقاية أو المناعة المتوافرة في حليب الأم، فهو الأفضل لأنه يتناسب في تركيبه ومحتوياته واحتياجات وطبيعة بني البشر، وهو الأفضل لوقايتهم وحمايتهم من الأمراض المختلفة. وأشار المؤلفان إلى أنه لا بد من تشجيع الرضاعة الطبيعية في الدول النامية وغير النامية للاعتبارات الغذائية والنفسية والفسيولوجية والاقتصادية.

وفي آخر الكتاب ملحق يشملُ أسماء بعض الكتب الإضافية عن الرضاعة الطبيعية، وعناوينَ بعض الجمعيات الخيرية التي تشجع على الرضاعة الطبيعية وتزود الباحثين بالكتيبات والنشرات الخاصة بالرضاعة الطبيعية، ويشمل الملحق أيضا جدولاً لحساب ميعاد الولادة ومعرفة موعده التقريبي.

الكتاب ذو فائدة للعاملين في المجال الطبي، من أطباء وصيادلة وإخصائيي تغذية وممرضات، وكذلك العاملات في مجال التربية من مدرسات وموجهات، إضافة إلى ذوي الثقافة العلمية المتوسطة لما يحويه من معلومات مهمة صيغت بأسلوب سهل مبسط.







رمضان في العالم

صورة موحدة للمسلمين

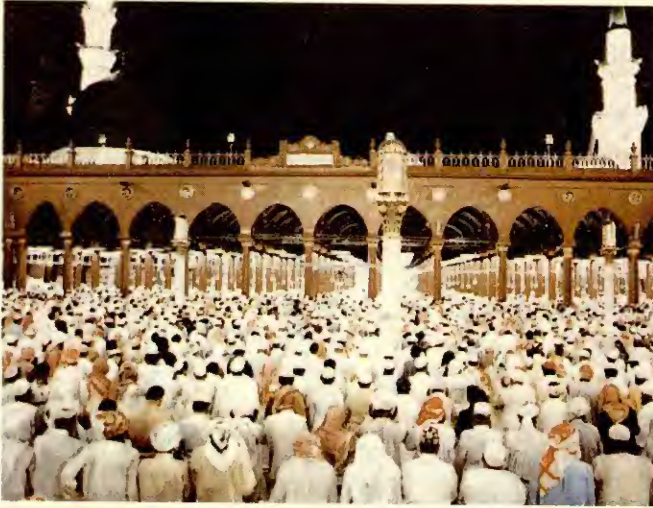


في بلاد الحرمين الشريفين:

روحانية متميّزة وتسابق إلى الخيرات

يهلّ رمضان على البلاد فيستقبله المسلمون في المملكة العربية السعودية ببشر وترحاب، فالشهر المبارك شهر الخير والبركة، يكثر فيه الإقبال على الله وتتوالى أعمال الخير، وتنهمر قوافل الدعوة والزكاة والصدقات إلى مستحقيها في ربوع الدنيا، ويزداد شد الرحال - من داخل المملكة وخارجها - إلى كعبة الله المشرفة اعتمارًا وتيمنًا بمجاورة الحرم المكي والصلاة في رحابه الطاهرة وقراءة القرآن الكريم في هذا الجو الإيماني.





ويستشعر المسلمون في السعودية بقدوم هذا الشهر الفضيل وبنفحاته قبله بأيام، حيث تكثر الدروس والمحاضرات الدينية العامة التي تعرّف الناس بأحكام الصيام والقيام والسنن الثابتة عن النبي ﷺ في هذا الشهر.

فمنذ رؤية هلال رمضان يهنئ المسلمون بعضهم بعضا، ويتنافسون على فعل الخير، وتتوطد أواصر الأخوة في الله، وتتحول الجماعة الإسلامية في كل حي إلى واقع ملموس يترجم المودة والصفاء والصحة والتعاطف والبرّ والإحسان والسعادة، بأداء هذه الفريضة الإسلامية التي تطهر النفس من أدرانها، وتؤاخي بين المسلمين: غنيّهم وفقيرهم، كبيرهم وصغيرهم، ما دام الجميع قادرين على الصيام. حتى دولاب العمل في المصالح يتغير ليبدأ الدوام في العاشرة صباحًا - بدلا من السابعة والنصف - حتى الثالثة بعد الظهر، مراعاة لأحوال الصائمين بعد أن أَحْيَوْا ليلهم بالصلاة والقيام وتلاوة القرآن الكريم.

ولرمضان في هذه البلاد مظاهره المميزة المتمثلة في الإقبال على الفرائض والسنن المرتبطة به من قيام الليل وأداء الصدقات، حيث تكون المساجد عامرة - وفي مقدمتها الحرمان الشريفان في مكة المكرمة والمدينة المنورة - وتبلغ جمعيات البر والجمعيات الخيرية عموما أوج نشاطها.

فمع أذان المغرب يقوم بعض الصائمين بتناول ما خف من الإفطار في المسجد حتى يؤدوا صلاة المغرب جماعة، وجميع البيوت تفطر هذا الإفطار الخفيف، ثم يذهبون إلى المساجد لصلاة العشاء والتراويح، والنساء أيضًا يرتدن المساجد في هذا الشهر لصلاة التراويح والقيام، فتُعد لهن أروقة خاصة بالصلاة والقيام والاستماع إلى المحاضرات الدينية التي تكثر في هذه الأيام. ثم يعود الجميع إلى بيوتهم لمتابعة برامج حياتهم في هذا الشهر المبارك، حيث تكثف الزيارات وصلات الرحم واللقاءات الأسرية والاجتماعية التي كثيرا ما تشغلهم عنها هموم الحياة. وللشباب نشاطهم الاجتماعي والرياضي الملحوظ، ناهيك على إقبالهم الكبير على المساجد وفعل الخيرات.

أما الدروس الدينية اليومية والأسبوعية التي تقام في المساجد في غير رمضان فإنها تقل أو تتوقف خلال هذا الشهر للتفرغ لإحياء السنن المرتبطة بالشهر الفضيل، وخصوصا الاعتكاف والتهجد - جماعة - في الثلث الأخير من الليل، وللاعتمار وزيارة المسجد النبوي الشريف، وذلك في العشر الأواخر خصوصا.

إن لهذا الشهر المبارك مكانة سامية في قلوب المسلمين في الدنيا كلها، غير أن لها روحانية خاصة في بلد الحرمين ومهبط الوحي ومنبع الرسالة، وعلى نحو أخص في رحاب البيت العتيق الذي جعله الله للناس مثابة وأمنا، فما أجملها لوحة إيمانية وزوار البيت وعُمّاره يبتهلون إلى الله تعالى: اللهم لك صمنا، وعلى رزقك أفطرنا.

في مصر:
عودة إلى التراث وعبق الماضي

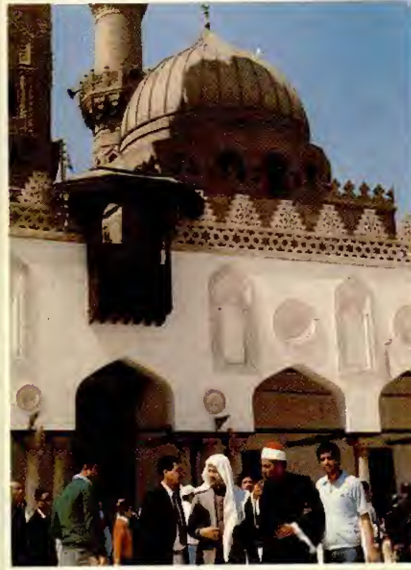
بقدوم شهر رمضان في مصر، تزداد الحركة إلى المساجد والأحياء القديمة: الحسين والسيدة زينب، وتكثر الندوات ولقاءات الأهل والأحباب، وتزدهر حركة البيع والشراء في كل شيء، ابتداء من مكسرات رمضان وحتى أهم كتب الثقافة والفكر. ورمضان في القاهرة ـ العاصمة ـ له ملامحه التي لم تتغير كثيرا منذ أن أرّخ لها المؤرخون.

ففي يوم «الركبة» أو يوم ارتقاب هلال رمضان، يجتمع في مصر فقهاء المدينة ووجوهها ـ بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين لشعبان ـ بدار القاضي. ويقف على الباب نقيب المتعممين، وهو ذو شارة وهيئة حسنة، فإذا أتى أحد الفقهاء أو الوجوه تلقاه ذلك النقيب، ومشى بين يديه قائلاً: باسم الله.. سيدنا فلان الدين، فيسمع القاضي ومن معه، فيقومون له، ويجلسه النقيب في موضع يليق به، فإذا تكاملوا هناك ركب القاضي، وركب من معه أجمعون، وتبعهم جميع من في المدينة، وينتهون إلى موضع مرتفع خارج المدينة، وهو مرتقب الهلال عندهم، وقد فرش ذلك الموضع بالبسط والفرش، فينزل فيه القاضي ومن معه، فيرتقبون الهلال ثم يعودون إلى المدينة بعد صلاة المغرب.

وما إن تقرر بداية الشهر حتى تنشط المدينة ليلاً فتشعل الشموع والفوانيس في الشوارع والأسواق والطرقات وبأيدي الناس، وتنتعش الحياة في سوق الشماعين انتعاشا كبيرًا، فكل حوانيته مفتوحة حتى منتصف الليل، ولا تنقطع فيه الحركة أبدًا، بين الراغبين في الشراء أو النزهة.

كان هذا وصف استقبال أهل مصر في القديم لشهر رمضان كما صوره الرحالة المغربي ابن بطوطة.

وفي الحقيقة إن لرمضان مذاقا خاصا لدى المصريين، وعادات ارتبطت به، وعاشت وقاومت الزمن، وحافظت على نفسها من الاندثار؛ مثل حرص الناس على التجمع حول موائد الإفطار والسحور وقضاء الوقت بينهما في السمر والعبادة والحرص على تلاوة القرآن الكريم كاملاً في أثناء هذا الشهر وأداء الصلوات وصلاة التراويح (القيام) في المساجد.



وترتبط برمضان في مصر أنواع من المأكولات والحلوى كالكنافة والقطايف ولقمة القاضي (الزلابية)؛ كما يحرص المصريون ـ حتى هذه الأيام ـ على صنع الكعك وخبزه في منازلهم وفي الأفران في الأسبوع الأخير من رمضان، في الوقت نفسه يخرج الرجال إلى المساجد لأداء صلاة العشاء والتراويح وتلاوة الأدعية والتواشيح في الليلة التي لن تتكرر حيث يتلو الإمام بعد صلاة التراويح دعاءً طويلا منغمًا يذكر في خلاله مناقب رمضان الجميلة وخيراته الكثيرة لمن صامه من المسلمين.

ومن المظاهر الجميلة المرتبطة بشهر رمضان من القديم وحتى هذه الأيام، اهتمام القادرين بمد موائد الإفطار في الشوارع والطرقات وأمام المنازل والحوانيت لإطعام أي فقير أو غريب أو عابر سبيل لحظة انطلاق مدفع الإفطار.

وفي وقتنا الحاضر اختلفت، أو قل تطورت مظاهر شهر رمضان في مصر. فبعد الإفطار ينشغل العامة بمشاهدة برامج التليفزيون التي تبتعد كل البعد عن حكمة هذا الشهر وقيمته الروحية باعتباره شهرا أنزل فيه القرآن وفيه ليلة القدر.

هذا بالنسبة لليل العامة في رمضان، أما ليل المثقفين في هذا الشهر، فيختلف بعض الشيء، فكثير من الناشرين يحرصون على إقامة موائد الإفطار في منازلهم أو في الفنادق الكبرى للمؤلفين وعلماء الدين والشعراء ورجال الإعلام، فهي فرصة للقاء في مناسبة كريمة. وعادة ما يعقب الإفطار جلسات فكر وعلم وشعر ومناقشة لقضايا الساعة.

وهناك سهرات رمضان الثقافية التي تقيمها الهيئات الثقافية في مصر كهيئة قصور الثقافة أو الهيئة المصرية العامة للكتاب. ولكن هذه السهرات تغلب عليها النواحي الفنية والمناقشات الثقافية العامة والأمسيات الشعرية أكثر مما يغلب عليها الجانب الديني.

ويبقى لشهر رمضان طابعه الخاص في مصر حتى الآن، ففيه يمارس المصريون حياتهم الاجتماعية التي كادت تنتهي فيتزاورون ويتبادلون الدعوات على الإفطار ويتسامرون في ليالي هذا الشهر الكريم. ويزداد الناس قربا بعضهم من بعض في هذا الشهر في الريف وفي الأحياء الشعبية والمصرية، خاصة عندما يلتقي الرجال والشباب في صلاة الجماعة في مسجد الحي. وتستطيع أن تقول إن وجدان المصريين يربط بين هذا الشهر الكريم وبعض المظاهر، مثل صوت الشيخ محمد رفعت وهو يرفع أذان المغرب، وصوت النقشبندي وهو ينشد التواشيح والأدعية، ومحمد عبد المطلب وهو يغني: «رمضان جانا... وفرحنا به... بعد غيابه أهلا رمضان.. قولوا معانا. أهلا رمضان».



في فلسطين:
الصوم حجارة ثقيلة على المحتلين!



لرمضان أهمية خاصة لدى أهل فلسطين المحتلة، فالاحتفالات ممنوعة بأمر الحاكم العسكري، والزينات ممنوعة، لكن صوت «الله أكبر» سرعان ما يدوي مع الإفطار أو السحور فتتحول الدنيا حجارة على رؤوس المحتلين، فرمضان في الأرض المحتلة قرآن وصلوات وانتفاضة ما بعدها انتفاضة. كيف لا وهذا الشهر الكريم له أهمية خاصة لدى الفلسطينيين؟

فالانتصارات على المحتلين كانت تتم غالبا في هذا الشهر المبارك. فصلاح الدين الأيوبي طرد الصليبيين من مدينة صفد في رمضان عام ٥٨٤ هـ، وقام في الشهر نفسه من عام ٥٨٨ هـ بتحصين بيت المقدس وشيَّد الأسوار حوله، أما السلطان الظاهر فقد هاجم حصن عكا واسترده من الصليبيين وطردهم منه في رمضان ٦٦٩ هـ.

وقبل عشرين سنة وفي العاشر من رمضان قامت الحرب المظفرة التي أنهت التفوق الأسطوري لليهود حيث اقتحمت القوات المصرية خط بارليف بصوت «الله أكبر»، بيد أن مأساة فلسطين عام ١٩٤٨ م وتشرد اللاجئين كان في رمضان من ذلك العام؛ إذ كانت الطائرات المحتلة تغير على المدن والقرى الفلسطينية في موعد الإفطار، بالإضافة إلى المجازر العديدة التي كانت تقوم بها العصابات المعتدية من أجل إرغام السكان على الهجرة.

يذكر شيوخ اليوم إذ كانوا أطفالاً قبل النكبة ذكريات عديدة يذكرون المسجد الأقصى وزينته ودروسه وصلاة التراويح فيه، كذلك مسجد الجزار في عكا والحرم الإبراهيمي في الخليل، يذكرون ذلك ودموع الحزن في عيونهم.

أما الجيل الثاني الذي ولد في المخيمات أو في المدن التي لم تُحتل فذكرياتهم عن رمضان تختلف قليلاً.

يذكرون الموائد الرمضانية في فلسطين والأكلات الشعبية التي يشتهر بها السكان هنالك مثل «المقلوبة» والمنسف، وأنواع الحلوى مثل الكنافة والقطايف.

يذكرون أناشيدهم في مدارس وكالة الغوث وهم يودعون رمضان بحزن إذ يقولون:

لا أوحش الله منك يا رمضان
يا شهر القيام والإيمان

أما الجيل الثالث جيل الانتفاضة فذكرياته تختلف عن آبائه وأجداده، ذكرياته دروس في مساجد الأحياء، أدعية مختارة، حجارة تنطلق مع صوت «الله أكبر»، ذكريات أزعجت المحتلين أيما إزعاج، فقد ظن المحتل أن الجيل الثالث سينسى وطنه، لكنهم فوجئوا بحبهم له، وعرفوا مصدر ذلك: إنه المسجد، والإيمان، وإنها الصحوة.

فيذكر الجيل الثالث حفظ القرآن وتلاوته، وتعلقهم بدروس المساجد من فقه وتوحيد وسيرة وتاريخ وغيرها.

فينزلون إلى الشوارع بعد السحور وهم يحملون بأيديهم الحجارة ليترقبوا دورية عسكرية ويرجموها مع «الله أكبر».

تعلموا أناشيد غير التي تعلمها آباؤهم وأجدادهم، مثل:

خيبر خيبر يا يهود
جيش محمد سوف يعود
ثورة ثورة على المحتل
بغير المصحف ما في حل

لكنهم حرموا من التمتع بذكريات رمضان، فالمسحراتي لم يعد يتجول ليوقظ الناس بسبب منع التجول، وألعابهم وأناشيدهم حرموها، وحتى أصوات مدافع رمضان منعت مراعاة لشعور المستوطنين، ومكبرات الصوت نزعت من المآذن؛ لكن الشباب منهم عرفوا معنى رمضان وحكمته، عرفوا الجهاد والصبر وتعلموا أن النصر يأتي بعد الصبر.

ولكنهم جميعًا يتذكرون في هذا الشهر المبارك أساتذتهم وعلماءهم وأطباءهم الذين أبعدوا عن ديارهم قسرًا وظلمًا وعدوانًا.

وقبل كل إفطار يدعون لهم بالثبات والصبر والعودة.

خليل الصمادي

في الجزائر: يستقبلونه بالزغاريد ودق الطبول

لرمضان منزلة كريمة في نفوس الجزائريين، وإنهم ليحملون له من التكريم ما قد يفوق كل تصور.

ولعل الذي يجعل الجزائريين يستقبلون هذا الشهر المعظم بما هو أهل له من التَّجِلَّةِ، أنهم في أصلهم مسلمون جميعا (على الرغم من أنَّ دعاة التنصير، من الفرنسيين المستعمرين، كانوا استطاعوا أن يُنَصِّرُوا بعض العائلات في بلاد القبائل، ولكنهم، بنعمة الله، لم يفلحوا في تجاوز ذلك قطّ)؛ فتُغْلَقُ جميع المقاهي والمطاعم نهارًا بحيث إذا كان هناك أجنبي لا يستطيع أن يتناول الطعام في المطاعم إلاّ بعد الغروب.

ويتغير نظام الحياة الاجتماعية، إن لم نقل نظام الحياة الاقتصادية أيضا، رأسا على عقب في الجزائر، أثناء شهر رمضان، بحيث تتغير مواقيت العمل صباحًا وزوالاً، وتَغْدُو كل الإدارات والمؤسسات العمومية والخصوصية تداوم من التاسعة صباحًا إلى الرابعة بعد الزوال. ومن المظاهر التي تشعر الصائم في الجزائر أنها تغيّرت حالُ الأسواقِ التي تُنْفَقُ تجارتها، وتكثر سِلَعُها، ولكن تَغْلُو، حتما، أسعارُها، وذلك لاشتهار معظم الجزائريين بالإسراف الشديد في النفقة في هذا الشهر المعظم.

عادات كريمة

هناك جمعيات خيرية تأسست في السنوات الأخيرة من غاياتها أنها تبذل قصارى جهدها، أثناء شهر رمضان، في الإنفاق على الفقراء والغرباء، فتراها تهيّئ لهم إفطارا متوازنا، وسَحورًا لذيذا متنوعا، إلى حدّ أن بعض الظرفاء من المُوسِرين زعم لأصحابه بأن نفسه تكاد تَحْمِلُه على الذهاب إلى الأكل مع أولئك في مطاعمهم الرمضانية!

ومن العادات الطيبة أيضا تكاثر الزيارات، وصلة الرحم، بين الأصدقاء والأقرباء والجيران؛



وميل الناس ميلا شديدا إلى إكرام الضيف، والرغبة الحارة إلى دعوته إلى مائدة الإفطار. فالجزائريون يتبادلون الزيارات في شهر رمضان، وفي الأعياد طبعا، ما لا يتبادلونه في أيّ شهر آخر من شهور السنة. كما أنهم لا يكونون أكرم مما يكونونه في هذا الشهر المعظم.

يختلف الناس في الجزائر اختلافا شديدا في كيفية تناول السحور وميقاته أيضا. فهناك من لا يَتَسحر إطلاقا، بل تراه ينام مبكّرا نسبيا (عند منتصف الليل تقريبا) فيقتصر على تناول كوب من اللبن وفاكهة قُبَيْلَ الإخْلادِ إلى الْكَرَى. وهناك من يَسْهَرُ حتى الساعة الثانية صباحا ثم يتناول سَحوره الذي يتألف ـ غالبًا ـ من أكْلة السَّفوف اللذيذة (والسَّفوف استعمال فصيح ذكره السيوطي في «المزهر»). والسفوف هو كل ما يستف، أي يؤكل يابسًا من غير مرقٍ، ثم أطْلَقَ في الجزائر والمغرب على الكُسْكُسِيِّ المحضَّر من السَّميد الرفيع، والذي يُلْقَى عليه الزبد الطري وهو ساخن ليذوب عَلَيْهِ وفيه، ثم يضاف إليه السكر ودقيق القِرْفَة والبيض والزبيب مع اللبن، ثم الفاكهة.

وثالث النماذج أن هناك كثيرًا من الناس في الجزائر، خصوصا الفلاحين والعمال والمحرومين، ينامون بعد صلاة العشاء مباشرة ولا ينهضون إلا لدى السَّحَرِ لتناول طعام السحور. وترى هؤلاء قد لا ينامون من بعد ذلك إطلاقا، بل إنك لتراهم يصلّون الفجر، ثم ينطلقون إلى أعمالهم اليومية، خصوصا إن كانوا فلاحين مجدّين، أو كانوا على سفر.

وكان الفلاحون والقرويون، عامة، على عهد الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وفي غياب وسائل الإيقاظ كالساعات والمنبّهات والمذاييع الخاصة، يُفيقون على دقات الطبول بحيث كان فقيه القرية وإمامُها يعمد إلى ضرب الطبل مِنْ عَلى شرفة رابية عالية، أو على قمة جبل شامخ، بحَسَبِ موقع القرية ونظام تضاريسها الجغرافية، فكنتَ ترى الأنوارَ تضاء في دور القرية، وربما القرى المجاورة لها، الدارَ تِلْوَ الأخرى.

يشرع الآباء والأمهات، ابتداء من الثلث الأخير من رمضان، في السَّعْي إلى الأسواق لشراء الملابس لأبنائهم وبناتهم. وتكون هذه الملابس متلائمةً مع المنزلة الاجتماعية لكل أسرة. وقد يشتد التنافس بين الأسر في هذا المظهر الاجتماعي الذي لا صلة له بالدين، حتى قد تضطر بعض الأمهات إلى بيع شيء من حُليّهنّ لتبييض الوجه أمام بعض الجارات

ويستقبل النساء عادة في الجزائر هلاليْ رمضان وعيد الفطر بالزغاريد (كما يستقبِلْنَ أيضا هلال ربيع الأول بالزغاريد على أساس أن مولد الرسول عليه السلام فيه) وينتشر الأطفال ضاجِّيْنَ بأصواتهم في كلّ مكان، وتنطلق ألسنة المتقين بالذكر والتكبير والتهليل والصلاة على الرسول الكريم، وتمتلئ القلوب بالخير والمحبة والتفاؤل والأمل.

عبد الملك مرتاض



في موريتانيا:

عندما تلبس البلاد حُلّة رمضانيّة

من أمثالنا الشعبية في موريتانيا أن أهالي البلاد تشرئب أعناقهم لرؤية هلال رمضان وهم في شهر رجب، وهذا دليل على الاهتمام الزائد بهذا الشهر الكريم.

ففي رمضان يشعر الموريتانيون على اختلاف طبقاتهم وعمق عقائدهم بنكهة روحية عارمة تلامس القلوب وتعدِّل السلوك وتكيِّفه إلى درجة كبيرة مع قدسية الشهر وعظمته في قلوب عامة المسلمين. فالموريتاني العادي ينتقل نقلة نوعية بحلول شهر رمضان تكاد تكون ملموسة. فالشاب الذي كان نصيبه من العبادة محدودًا وبضاعته من العلم مزجاة تراه يتردد على المساجد وعلى حلق العلم ويبتعد عن كل ما لا يتلاءم وروح الشهر المبارك.

ترى الغني الذي كان منهمكا في تنمية موارده، بمنأى عن التبذير، بل وبمنأى عن الإنفاق في وجوه الخير، تراه يفيض جودا ويتتبع مواقف الخير ينفق فيها أمواله بدون حساب، وهو موسم يترصده الفقراء للتعرض للأغنياء بغية الاستفادة من فضول أموالهم وقلما يخيب ظنهم، وعلى كل حال فهذه ظاهرة تكاد تكون شاملة لعامة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

وتختلف العامة في الابتهاج بالشهر والانصياع للأمر بصيامه وقيامه، إلا أنه لا أحد يتجرأ على انتهاك حرمته على أعين الملأ، فالمريض والمسافر يلجآن إلى التواري عن الأنظار بما ينافي الصوم، لأن الإفطار في نهار رمضان يعتبر وصمة على جبين من يتظاهر به، وحتى الأجانب من غير المسلمين يتنكبون أعين المارة بالإفطار، لما يسبب لهم ذلك من مضايقات الأطفال وعامة الناس. وهذه في الحقيقة سمة بارزة في بعض أقطار المغرب العربي.

من المظاهر التي تشترك فيها موريتانيا مع بقية الأقطار الإسلامية صلاة التراويح، فالمساجد والجوامع تعج بالمصلين، وحتى الذين لم يتعودوا كثير المثابرة على النوافل فإنهم يحرصون على التراويح حرصهم على الصلوات الخمس ليشنفوا أسماعهم بالاستماع والاستمتاع بالقرآن الكريم كاملا ولو مرة واحدة في السنة.

من عادة الموريتانيين الاستماع، زرافات ووحدانا، إلى صلاة التراويح منقولة على الهواء مباشرة من الحرمين الشريفين، وهم يرون في ذلك تعويضا روحيا عن أداء مناسك العمرة وزيارة المسجد النبوي الشريف في هذه الفترة، وينهمك بعضهم في تسجيل أشرطة عن الصلاة في الحرمين الشريفين ويتباهون في تقليد قراءة الشيخ عبد العزيز بن صالح والشيخ علي الحذيفي.

ومن عادة الموريتانيين في مجال العبادة المثابرة على قراءة التفسير في بعض المساجد والبيوت بين صلاة الظهرين، كما ينظم بعضهم حلقًا لتدارس كتب الحديث وخصوصا مسلم والبخاري والفشني وغيرهم فيما بين صلاة المغرب - بعد الإفطار مباشرة - وصلاة العشاء.

وللموريتانيين عاداتهم في وجبات الإفطار، والواقع أن الوجبات الموريتانية في شهر رمضان لا تختلف كثيرا عن بعضها ويكاد الموسر والمستتر يتساويان في نوع الوجبات الرمضانية.

عند غروب الشمس يتناول الصائم بعض التمر لما في ذلك من الندب، وربما لما فيه أيضا من لذة الطعم، ثم يتناول حساءً ساخنا، ويقولون إن معدة الصائم يلائمها الساخن في بداية الإفطار أكثر مما يلائمها البارد، ثم يقيمون الصلاة في المساجد أو البيوت، وعند الانتهاء منها يشربون بعض اللبن الممزوج بالماء ويسمونه «الزريك» باللهجة العربية المحلية وهو ما يسميه العرب قديما بالمذق.

الوجبة الثانية من وجبات الإفطار هي آنية اللحم والبطاطس والخبز، والناس هناك تختلف عاداتها في توقيت هذه الوجبة: فمنهم من يتناولها مباشرة بعد الفراغ من صلاة المغرب، ومنهم من يؤخرها إلى ما بعد صلاة العشاء والتراويح ثم يشربون بعدها الشاي الأخضر. والحقيقة أن الشاي الأخضر لا توقيت له، فهم يشربونه الليل كله، ولا يستثنون منه إلا وقت الصلاة (والحمد لله على ذلك).

وللموريتانيين اصطلاحات في تقسيم أيام الشهر المبارك، فالمصطلح الشعبي يقسم الشهر إلى ثلاث عشرات: عشرة الخيول - وعشرة الجمال - وعشرة الحمير. ويعني هذا أن العشرة الأولى تمر بسرعة الخيل لعدم استيلاء الملل على النفوس، وكلما تقدم الشهر كانت الأيام تمر بسرعة الجمال ثم تتباطأ الأيام في وتيرتها حتى تهبط إلى سرعة الحمير، ولا يخفى ما في هذا التعبير من فطرية وبدائية، إذ لا مكان للطائرات ولا السيارات ولا الدراجات هنا.

وبمجرد الانتهاء من وجبات الإفطار الأولية والفراغ من صلاة التراويح يبدأ الناس يتنقلون في أطراف القرية لتبادل الزيارات واحتساء كؤوس الأتاي - وهو الشاي الأخضر المخلوط بالنعناع - عند الأصدقاء وتبادل أحاديث الأسمار التي لا تتقيد بموضوع معين.

في الأيام الأخيرة من الشهر المبارك ينشط العلماء والوعاظ في المساجد والمجالس العامة ومجالس الأسرة للتذكير بأن طاعة الله واجبة على مدار السنة وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتقيد بشهر معين، وأن الله يخاطب العبد ويحاسبه على أعماله في شوال مثلما يحاسبه عليها في رمضان.

أحمد ولد الطلبة

في تركية:
عندما يمتزج نور الإيمان الليلَ بالنهار

في تركيّة هذه الأيام يعتمد المسلمون رؤية الهلال على ما تطبعه رئاسة الشؤون الدينية من التقاويم الفلكية، وإن كان بعض المتنورين - ممن يحرصون على الاقتداء بالسنة النبوية - يلتقطون أخبار ظهور هلال الشهر من الإذاعات العربية، ويتابعون بعض البلاد العربية في بداية الشهر وانتهائه، مما يحدث أحيانًا أن يبدأ بعض الناس الصوم قبل غيرهم بيوم. وتطلق المدفعية عدة طلقات لإعلان دخول الشهر، فيطوف الصغار بعد المغرب على الدور ويطلبون البشارة، فيعطون الحلوى التي تسمى حلوى رمضان «رمضان شَكَري». وتنشط حركة الأسواق في هذا الشهر المبارك، ويقبل الناس على شراء المؤن للمنزل وما يحل به من أضياف.



ويجتهد أئمة المساجد في وعظ الناس، وتوعيتهم وتبصيرهم بأمور دينهم، ويلقون قبولاً حسنًا من المسلمين، ولا زالت باقية عادة قراءة القرآن بالمقابلة في المساجد، حيث يجتمع في مسجد الحي حفاظ القرآن بعد السحور وقبيل صلاة الفجر، ويتناوبون قراءة الجزء المقرر عن ظهر قلب. وتمتلئ المساجد بالمصلين الذين يؤدون الصلوات الخمس بها، ويجتهدون في صلاة التراويح التي تصلى جماعة - عشرين ركعة، كل أربع ركعات بتسليمة، ولا تكاد تجد لك مكانًا في هذه المساجد على ضخامتها ورحابتها، وخاصة في ليلة السابع والعشرين من رمضان التي يلتمسون فيها ليلة القدر.

وتأخذ برامج الإذاعة والتلفزيون وقتًا من شهود رمضان، فيتابعون البرامج الدينية التي تزداد في هذا الشهر، وتكثر من إذاعة قراءات القرآن، ويمتد إرسالها إلى قرب وقت السحور، وتجرى المقابلات مع العلماء والوعاظ لتبصير الناس. وتغطي المسلسلات التاريخية حيزًا كبيرًا من خارطة البرامج كما تهتم الصحف بنشر مقالات دينية، وتثقيفية في صفحات خاصة برمضان.

أطعمة رمضانية

اشتهر المطعم التركي منذ القدم باختلاف ألوان الطعام، ولذته، وحلاوة مذاق الفاكهة وما يصنع منها من مشروبات. والمرأة التركية تجتهد في الإعداد لمائدة إفطار رمضان من قبل حلول الشهر الكريم، بتخزين المأكولات الموسمية بتجفيفها في موسمها ليتم طبخها في رمضان، وخاصة في فصل الشتاء حيث تقل المزروعات لبرودة الجو في بعض المناطق.

وتنتهي مائدة الإفطار في الغالب بتناول أنواع الحلوى والفطائر المصنوعة من السكر والدقيق والحليب وغيرها، مثل «رمضان طاتليسي» والبقلاوة بأنواعها - التي يسرف الترك في تناولها - والكنافة والقطايف، والمهلبية والكَولاش، أو فاكهة الموسم من بطيخ وشمام وكرز ومشمش وخوخ وتين وعنب

وأما وجبة السحور فهي لا تختلف في تنوعها عن مائدة الإفطار، ويكثرون من شرب الشاي فيه للتغلب على العطش. وتصنع في رمضان أنواع خاصة من الخبز يسمى «بيدا **Pide**» وهو خبز صغير مستدير ينثر عليه حب السمسم، ويكون محشوًا باللحم وكذلك يهتمون بأكلة «اللحم بالعجين» وغيرها من المعجنات.

ويكون توديع شهر رمضان أيضًا حافلاً بالدعوات والذكر والإكثار منها، والذهاب إلى الأسواق لشراء مستلزمات العيد من الحلوى والأطعمة، والملابس الجديدة. وفي صباح العيد يخرجون للصلاة مصطحبين معهم أطفالهم في ملابسهم الجديدة، وبعد الصلاة يزفون إلى بعضهم التهاني بقضاء فرض الصوم واستقبال عيدهم الذي يسمونه «شَكَر بايرامي» أي عيد الحلوى؛ لكثرة ما يقدم فيه من ضروب الحلوى اللذيذة، وتبدو فرحة العيد على الكبير والصغير، وتجتمع الأسر والأقارب ويتزاورون. ويذهب البعض إلى المتنزهات والملاهي للتروح فيها.

د. مسعد الشامان



في ماليزيا:

يعلنون عن دخوله بقرع الطبول

يستقبل المسلمون في ماليزيا شهر رمضان بفرحة ما بعدها فرحة، ففي هذا الشهر الكريم تتبدل أنماط معيشتهم وتتغير بدرجة كبيرة، حيث يصبح شاغلهم الأكبر قراءة القرآن الكريم وارتياد المساجد، فرمضان في هذه البلاد - وفي غيرها - هو شهر الخير والبركة.

ومنذ أواخر شهر شعبان تشتد الحركة في الأسواق فيشتري المسلمون حاجياتهم الغذائية ويقومون بتنظيف أرضيات المساجد وغسل سجادها أو تجديده. أما في ليلة التاسع والعشرين من شعبان فيقوم بعض الأفراد بتحري رؤية الهلال إذ تصدر وزارة الشؤون الدينية بيانًا بهذا الشأن، ويذاع عبر وسائل الإعلام. وعند ثبوت رؤية الهلال يعلن عن ولادة الشهر من خلال أجهزة الإعلام المختلفة، فتقوم البلديات برش الشوارع بالماء وتنظيف الساحات ووضع حبال الزينة والمصابيح الكهربائية في الشوارع الرئيسة، ويقوم المسلمون بتبادل التهاني فيما بينهم ويعلق أصحاب المحالّ التجارية لافتات كتب عليها عبارات التهنئة بدخول شهر الصوم مثل «شهر مبارك» و«شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن» وغيرها، وغالبًا ما تكون باللغة العربية.

وتضاء مآذن المساجد طول الليل، وتعلن المساجد دخول شهر الصوم من خلال مكبرات الصوت.

أما في القرى والأرياف فيحتفل المسلمون هناك بدخول الشهر بالتجمع في المساجد وتهنئة بعضهم بعضا، ويعلنون عن دخوله بقرع الطبول، وتسمى «الدوق»، (ولعل أصلها عربي من «دَقَّ») حيث تعلن الطبول دخول شهر الصوم، ويبتهج السكان بدخول شهر الرحمة والمغفرة.

أما المساجد فتفتح أبوابها طوال هذا الشهر وتضاء المآذن المرتفعة أيضًا، ومن أهم المساجد الجامعة الكبيرة هناك المسجد الوطني في العاصمة كوالالمبور الذي يتسع لخمسة عشر ألف مصلٍّ، ومساحته ستون ألف متر مربع، وكذلك مسجد صلاح الدين في ولاية سيلانجور الذي يعد من أجمل وأكبر مساجد العالم، ومسجد ينجيري في ولاية سرواك.

وعند صلاة المغرب يحضر المسلمون الموسرون معهم بعض الأطعمة والأشربة وتُمَد على مفارش طويلة في الأروقة، وبعد الانتهاء من صلاة المغرب يذهب المصلون إلى تناول وجبة الإفطار، وغالبًا ما تخرج الأسرة كلها للصلاة في المسجد، ويمتاز الماليزيون بالهدوء والنظام فيقف الرجال والصبيان وراء الإمام، والنساء في مؤخرة المسجد، وكثيرًا ما ترى البخور مشتعلاً في زوايا المساجد احتفالاً بشهر رمضان، وكذلك يقوم بعض الموسرين برش العطور والروائح الجميلة في المساجد.

وعند صلاة العشاء والتراويح يجتمع المصلون مرة ثانية في المساجد ويؤدون صلاتهم وبعدها يقرؤون من كتاب الله، وعند استراحتهم يتناولون بعض الفاكهة والحلوى، كما إن مدارس تحفيظ القرآن الكريم منتشرة في ربوع البلاد، وتقوم الحكومة بتشجيعها وتكثف هذه المدارس برامجها خلال شهر رمضان وتقوم بتدريس الفقه والتوحيد والتفسير والعقيدة واللغة العربية بجانب القرآن الكريم، وقد زرت إحدى هذه المدارس في كوالالمبور في شهر رمضان من العام الماضي ورأيت طلابها وطالباتها وهم يرتدون ملابسهم الوطنية التقليدية، فالصبيان يرتدون على رؤوسهم القبعات المستطيلة، والبنات يلبسن الملابس الطويلة الفضفاضة ويرتدين الحجاب الشرعي.

والماليزيون يودعون شهر الصوم بختم القرآن الكريم في المساجد والمدارس والبيوت والتلفاز والإذاعة وغيرها، وتقام الاحتفالات لختمه، كذلك تقام الزينات، وتضاء الشوارع، وترفع اللافتات العربية مرة أخرى مهنئة المسلمين بقدوم العيد المبارك (كل عام وأنتم بخير)و (عيد مبارك).



في الهند:
عيد يجمع على الوحدة الإسلامية

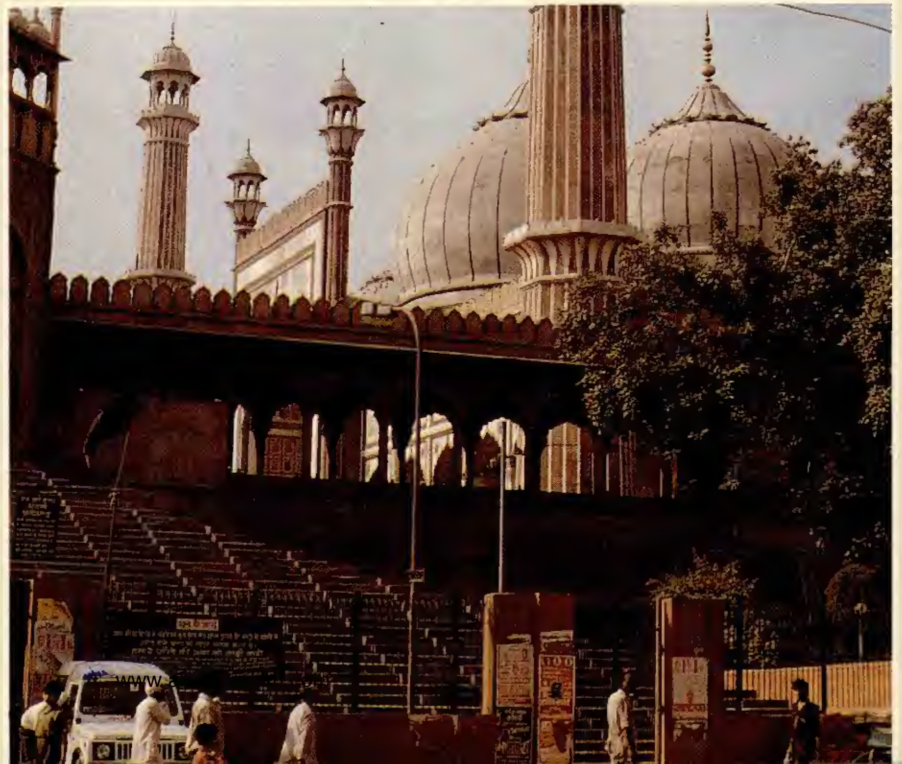
يبدأ اهتمام مسلمي الهند برمضان في آخر أيام شعبان حين يطلب المفتون ولجان رؤية الهلال من مسلمي كل المناطق الحرص على رؤية الهلال بعد صلاة المغرب؛ وتعم الفرحة أرجاء المنطقة حين يشاهد فيها الهلال، ويتصل الناس بعضهم ببعض بالهاتف لإخبارهم بالأمر، كما يتصل بعضهم باللجنة المركزية لرؤية الهلال في دهلي، وهي تعلن تحقق رؤية الهلال بعد التأكد من الخبر وتواتره، ومن ثم يذاع الخبر عبر الراديو والتليفزيون.

ومع رؤية الهلال تبدأ صلوات التراويح. وبعض الناس يواظبون على صلاة التراويح أكثر من مواظبتهم على الصلوات الخمس المفروضة، خصوصا في أوائل أيام رمضان وأواخرها. ويكثر عدد الذين يصلون التراويح في «ليلة القدر» التي يظنون أنها تقع في ليلة السابع والعشرين من رمضان. كما يكثر عددهم يوم «ختم القرآن»، وهو اليوم الذي يختم فيه المقرئ القرآن في صلاة التراويح، ويكون عموما قبيل انتهاء رمضان بعدة أيام. وتوزع الحلوى بكل المساجد عند ختم القرآن بها. وبعضهم يواصل «ختم القرآن» في التراويح كل يومين أو ثلاثة أيام ويسمونها «شَبِينَهْ» أي (ليليّة). ومثل هذه التراويح تستمر إلى ما بعد منتصف الليل، بل وإلى الفجر في بعض الأحايين ويتلى فيها القرآن بسرعة مذهلة فلا يفهمه أحد والمقرئون يتلون القرآن في مختلف المساجد بعد العصر وتذاع التلاوة عبر مكبرات الصوت. وقد بدأ المقرئون من بلاد عربية - كمصر - يأتون إلى دهلي وغيرها من المدن الكبرى لإحياء ليالي رمضان. وتضاء المساجد ومناراتها بالمصابيح الكهربائية طوال ليالي رمضان.

ومن التقاليد الإسلامية التي يواظب عليها أهل الهند الاعتكاف بالمساجد في العشر الأواخر من شهر رمضان، وهي سنة نبوية كريمة. فلا يخلو مسجد من شخص أو أكثر يعتكفون فيه والمسلمون في الهند يعدون «الاعتكاف» بمثابة فرض كفاية.

وعيد الفطر تتويج لشهر رمضان، ويسمونه في الهند بـ«العيد الحلو» أو «العيد الصغير»، إلا أنه - من الناحية العملية - أكبر عيد يحتفل به مسلمو شبه القارة، خصوصا لأنه يأتي بعد شهر من العناء والترقب. وصباح العيد يغتسل الرجال ويلبسون ملابس بيضاء عموما ولا يفطرون إلا على قليل من الحلوى، ويتجهون إلى المساجد أو المصليات الخاصة بصلاة العيدين خارج المدن والتي يسمونها «عيد كَاه». وتقام الصلاة في مختلف المساجد في مواعيد مختلفة، ليتمكن الجميع من أداء الصلاة. وبعد الصلاة والخطبة يتعانقون ثم يطوفون على بيوت الأقارب والأصدقاء حيث تقدم لهم مختلف أنواع الحلوى، وبصفة خاصة «سِيْوَيَّان» وهي نوع من الشعرية الرقيقة جدا تطبخ في الحليب مع كثير من السكر، وقد أصبحت «سيويان» مثل حلوى العيد التقليدية التي تعد ضرورية في عيد الفطر في كل أنحاء شبه القارة. وتنتظر النساء عودة الرجال من صلاة العيد ليقدمن لهم الحلوى. ويغتسلن ويلبسن أزهى الملابس انتظارا للزائرين والزائرات. والآباء والأمهات والزوار يعطون الأطفال نقودا بمناسبة العيد يسمونها «عيدي»، ويخرج الأطفال إلى الأسواق المجاورة التي تعج بشتى المأكولات والألعاب وخصوصا البالونات الملونة التي يشترونها ويتسابقون في الجري بها وإرسالها عالية في السماء. وقد أصبح من تقاليد العيد المتبعة هذه الأيام تبادل بطاقات المعايدة - وتسمى «عيد كارْد» - بالبريد. وتتفنن مختلف الشركات في طبع هذه البطاقات بمختلف صور الأزهار والرسوم والمعالم الإسلامية التاريخية والآيات القرآنية الكريمة.

د. ظفر الإسلام خان



حقائق وغرائب
الياقوت
أندر الأحجار الكريمة وأغلاها



بروش من الصفير، أنتج خصيصًا لدوقة وندسور.

الياقوت كان ومايزال أندر وأغلى الأحجار الكريمة في العالم، عُرف منذ القدم وكان جامعوه ومشتروه على السواء يخلطون بينه وبين أحجار أخرى شبه نفيسة، كتب العرب مخطوطات قيمة عنه منذ ثمانمائة عام وكانوا يستخدمون الوزن لتمييزه مما عداه، تجارته واسعة تحف بها الأخطار ورجال العصابات.

جمال وفائدة

من بين كنوز العالم الموجودة منذ آلاف السنين، يظل الياقوت أندر وأغلى الأحجار الكريمة في العالم، ويمثل «دمعة الصَّفيرِ» أكثر من نصف تجارة العالم من الجواهر.

يحمل الياقوت توازنًا بين الجمال والفائدة، وهو في حقيقته نوعٌ من الكورنْدَمَ الذي هو بدوره الشكل المتبلور من أكسيد الألمونيوم. والواقع أن الألمونيوم النقي ليس له لون، ولكن وجود كميات صغيرة جدًا من آثار مواد مختلفة تبعث فيه كل لون يمكن تصوره أو تخيله وعندما تشتمل بلورات الكورندْم على كمية كافية من الكروم تجعل اللون أحمر، وفي هذه الحالة يُسمى ياقوتًا.

وعندما ارتفعت أسعار الأحجار الكريمة عام ١٩٨٠م، زادت أسعار الياقوت على نحو أسرع، ويعكس ثمن الياقوت ندرته، فالياقوت الكبير ذو النوع الممتازة أندر من الألماس بنسبة ٣٠ إلى ٥٠، ويباع قيراط الياقوت من هذا النوع بمبلغ ٢٠٠,٠٠٠ دولار، بينما يباع قيراط الألماس الأبيض المتصدع بخمس هذا المبلغ.

جزيرة الأحجار الكريمة

في بورما القديمة كان يطلق سكانها من شعب «مايناما» على الياقوت اسم ماناو مايا ويعني حجر استكمال الرغبة، معتقدين أن ارتداء الياقوت يحرس الإنسان من الخطر والمرض، ويعد ياقوت موجوك في بورما الأشهر من نوعه في العالم، وياقوت حكام الهند وفارس وسلاطين الأتراك قديمًا كان يأتي من هذه المنطقة، وحتى الآن تنتج موجوك النوع الذي يُعرف باسم «دم الحمامة» وهو لون أحمر فريد يوجد في عدد قليل جدًّا من الأحجار على مدى العام. وفي سري لانكا - جزيرة الأحجار الكريمة - توجد الأحجار الكريمة والألماس في ثلثي جزئها الجنوبي، وكأنها تتدفق من قلب الجبال الوسطى، فالناس يعثرون عليها في أفنية المنازل والحقول والجداول وحتى اثناء السير على الطريق بعد سقوط الأمطار. وتوجد في سري لانكا كذلك كميات كبيرة من **Geudo** وهو صفيّر شاحب أو ليس له لون، كان يلقى طلبًا متزايدًا من التجار التايلنديين مُدعين أنه ليس له قمة وأنه يستخدم في قطع الأحجار الرخيصة ثم يتبين أنه يباع بمبالغ طائلة بعد معالجة بسيطة بالحرارة حيث يتحول لونه إلى الأصفر أو الأزرق.

وتعد لو نجيدو في شمال تنزانيا المصدر الوحيد في العالم لبلورات الياقوت المسدسة الشكل، ويأتي الياقوت كذلك من تايلاند وكمبوديا وأستراليا وكينيا ونيجيريا وفيتنام ويذهب معظمه للمهربين في تايلند وألمانيا وهونج كونج.

أخطاء تاريخية

كان جامعو الياقوت والمعجبون به قديمًا يتعرفون عليه بصورة خاطئة، ولجهلهم بالتكوين الكيميائي كانوا يقوّمون الأحجار اعتمادًا على اللون فقط، لذا كان ملوك القرون الوسطى يعتقدون أن ما يملكونه من إسبنيل - معدن بلوري - هو ياقوت، في حين أن العرب كانوا يستخدمون الوزن في القرن الحادي عشر لتمييز الياقوت من الإسبنيل.

وقد ظل عدد لا يُستهان به من الأحجار الكريمة الشهيرة معروفا على مر الأزمان بأنه ياقوت حقيقي والحقيقة غير هذا. مثلاً ياقوتة الأمير الداكنة التي تزن ١٧٠ قيراطًا وتوجد في خوذة الملك هنري الخامس التي ارتداها في معركة **Agin court** هي بالفعل أقل قيمة بكثير من الإسبنيل الأحمر، وفي عرض مجوهرات التاج في برج لندن يعرف أمناء المتحف هذه الحقيقة.

ثاني الأمثلة يوجد في **Green vaut** في درسدن بألمانيا، وبالبحث في دليل المتحف عن حليات الصَّفيّر والياقوت التي تزخرف الزي الكامل للملك أغسطس القوي في القرن ١٨، تبين أن الياقوت الموجود أطلق عليه اسم **Balas** وهي كلمة استخدمت في أوربا وكان يعنى بها الإسبنيل. ثالث الأمثلة يوجد في متحف ألبرت وفيكتوريا في لندن، ففي خاتمين تختلف درجة لونهما ونقائهما تبين أن أحدهما إسبنيل والثاني ياقوت صناعي.

الياقوت الصناعي

الياقوت اليوم لا غنى عنه في الصناعة، ويستخدم في أغراض متعددة، في صناعة الأدوات الطبية والألياف الفضائية وكثير من الصناعات.



سوار من القرن ١٩ خاص بالملكة تيريز من بافاريا، ولأن الياقوت لا يحتمل أن توجد به خدوش - كالموجودة في وسط السوار - نظرًا لصلابته تبين أنه زجاج!





باستخدام عملية الصهورة، أنتج كاثام هذه الكتلة من الياقوت الصناعي وتبلغ ٢,١٣٤ قيراطًا فهي الأكبر من نوعها في العالم.

صفير يبرق في ألوان زرقاء وصفراء ومُحَمَّرَة، بينما الحجر الأحمر تم تعريفه بأنه ياقوت، وعبر التاريخ جاءت أفضل الأنواع من جنوب آسيا حيث كان يعد الياقوت بأنه صفير «نضج» فعلاً. في الصورة جزء من مجموعة عثر عليها في سري لانكا يقدر ثمنها بنحو ٢,٦ مليون دولار.

ويتم تسخين الياقوت جميعه وكثير من الأحجار الكريمة لتنشيط اللون ودرجة النقاء، وفي مخطوطة عربية تعود إلى عام ١٢٤٠م وصف العرب تسخين الياقوت في سري لانكا وهو نفسه ما يحدث حتى اليوم للياقوت في هذ البلاد.

وفي الوقت الحاضر ينتج الياقوت الصناعي في الولايات المتحدة واليابان وروسيا وفرنسا وسويسرا على نطاق واسع. ويقول توم كاثام أكبر زارعي الياقوت في العالم «لا يوجد أحد سعيد لكلمة «صناعي» ولكنها صحيحة علميًا». وهو ينتج الياقوت المصنع بطريقة الصهورة التي تعيد استخدام الصخر الحجري الموجود في الطبيعة.

ويمتلك كاثام ـ الذي ورث العمل عن أبيه ـ أفرانًا إلكترونية تشتمل على مادة الصهورة التي تساعد على الذوبان والصهر (معدن سائل يطلق عليه أم الكحول) وكذلك أكسيد الألمونيوم والكروم ويسخن الخليط جيدًا إلى درجة ١٠٠٠ مئوية وتوضع بلورات بذور الياقوت داخل الجزء الرئيس المتوهج وفي غضون عام غالبًا تنمو بلورات الياقوت حول البذور.

والعمل يسير بصورة طيبة لهذا الياقوت، فالقيراط من النوع الداكن يباع بسعر الجملة بمبلغ يتراوح بين ٢٥ و٤٥٠ دولارًا.

عن: National Geographic

«وعليكم السلام، تفضل يا هشام»

ابتسم الصغير وهو يقترب من الرجل الجالس في الركن الأيمن من دكان الوراقة، صافحه، فرك يديه بسرعة ثم وضعهما في جيبيه قائلا:

ـ الجو شديد البرودة يا عم حسين!

ـ نعم، نعم، إنه الصقيع. ألم تر أثره على زجاج السيارات الرابضة هناك، وكذا على أزهار الحديقة؟!

مدّ هشام رأسه.. ألقى نظرة عجلى على الشارع والحديقة.. تمتم قبل أن يخطو خطوة إلى الداخل.. سادت فترة صمت كان العم حسين خلالها يعيد ترتيب بعض الكتب والمجلات في خفة ونشاط. وعندما انتهى فرك هو الآخر يديه بعد ذلك وكأنه تذكر شيئا، ابتسم ثم أزاح كمه عن معصمه بسرعة، وما عتّم أن قال في إعجاب بيّن: «عظيم! عظيم! لقد وصلت تقريبا في الوقت نفسه، الحق يقال يا هشام، إنني خلال هذه المدة التي عرفتك فيها لم أر شخصا يحترم مواعيد العمل أكثر منك.

فخذ مثلا «سالما»، أظن أنك تعرفه، فإنه في الغالب يأتي متأخرًا عنك بما يزيد على الساعتين، مع العلم أنه يكبرك على أقرب تقدير بأربع إلى ست سنوات.. سبحان الله إن له في خلقه شؤونا. طأطأ الصغير رأسه لحظة، وقد عقد ثناء العم حسين لسانه.. مرت هنيهة عندما قال بصوت هادئ رزين: «صدقني يا عم لقد ذكّرني كلامك بما سمعته من أغلب المدرسين الذين درسوني طوال السنوات السبع التي درست فيها، حتى إنني وقتها أصبحت مضرب الأمثال في المثابرة والمواظبة والقيام بكل

قصة قصيرة

الحرمان

بقلم: عمر فتال

الواجبات المدرسية». قاطعه الرجل متسائلاً: «هل يعني هذا أنك كنت ناجحا في دراستك؟!» تنهد الطفل من أعماقه ثم استرسل يقول بصوت حزين: «وهل كنت تعتقد أنني تخليت عن الدراسة نتيجة للفشل أو الفصل الإلزامي. لا يا عم حسين لقد كنت مجدًا، وأذكر أنني حصلت أكثرْ من مرة على جائزة أحسن تلميذ لا في قسمي فقط، بل في مدرستي كلها.. آه يا عم كم كنت أحب الدراسة، فلولا..»

سكت الصغير برهة تخللتها زفراته المتتالية، تمنى الرجل حينها لو أنه عدل عن مواصلة حديثه. لكن هشامًا واصل بعدما حرك رأسه ومرر يده على جبينه: «فلولا موت أبي المفاجئ، وحاجة أمي إلى من يساعدها على إعالة إخواني الصغار لـ...» هم بالاسترسال في حديثه عندما علا صوت يقول: «صحف الصباح يا عم حسين، فقفز الصغير من مكانه في نشاط، وما لبث أن قال بصوت مرتفع:

ـ ستدع لي الاختيار يا عم أليس كذلك؟!

ـ بلى، بلى ولكن دعني أولا أعدها وأرتبها وبعد ذلك لك ما أردت.

تسلم العم حسين كل الصّحف، وضعها أمامه وراح يعد، ثم يرتب في الوقت الذي كان فيه هشام يصارع رغباته: «علي أن آخذ عشرة أعداد من الأخبار وستة من «الأنباء» وأربعة من «الرأي» وسبعة من «دنيا الرياضة».. لا، عليك أن تكثر من أعداد «الرأي» ألم تر يوم أمس كيف أقبل عليها الناس فبعت كل الأعداد في ظرف ساعة أو أقل..

لا تخف سآخذ أعدادًا إضافية كما إنه بإمكاني أن أعود إليك، أجل هذا ما سأفعله حتى ولو لم أذهب إلى المنزل في منتصف النهار. يكفيني كأس من لبن وكسرة خبز وزيتونات معدودات أسد بها رمقي في مطعم العم زكرياء، بل لا داعي إلى الزيتون إطلاقًا، لأنه ينبغي أن أشتري الكتاب لأخي رضوان، ونعلا مناسبا لأمي.. إذن عليك أن تكثر من أعداد «الأخبار».. ادفع كل النقود التي معك.. طف بالصحف في الحديقة العامة، ومحطة القطار ومحطة الحافلات وسيارات الأجرة ومقاهي الشارع الرئيس.. لا تتردد ياهشام.. لا داعي إلى الإلحاح علي فسأفعل إن شاء الله كل هذا، ولكن ما رأيك في أن أكثر من أعداد الصحيفة ذات العناوين الجذابة والصور اللافتة للانتباه؟! أليس هذا ما فعلته يوم أمس، وأمس الأول فحققت المبتغى في أسرع وقت؟ «إيه أين سافرت يا صغيري؟» حرك هشام رأسه، وكأنه استيقظ من غفوة عابرة ثم قال بصوت خفيض: «لا. أنا بجانبك يا عم حسين لم أسافر، والآن هل أنهيت العدّ والترتيب؟!»

ـ نعم كل شيء على أحسن ما يرام وبإمكانك أن تختار ما بدا لك.

أسرع الصغير صوب الصحف مبتسما.. توقف وبسرعة سرد العناوين: «الأخبار ــ الرأي ـ الصباح ــ الأنباء ـ دنيا الرياضة ـ اليوم الضاحك ـ الأيام..» ثم عاد يلقي نظرات فاحصة على الصفحة الأولى لكل جريدة.. مضت دقائق على نظراته تلك عندما صاح صيحة الناجح الذي رأى اسمه ضمن لائحة الفائزين: «لقد وجدت يا عم حسين ما أبحث عنه.. أرجوك امنحني كل أعداد جريدة «الصباح».. انظر يا عم إلى الصورة التي تتوسط الصفحة الأولى فهي صورة أطفال كما تلاحظ، ولكن اسمع ماذا كتب أسفل منها: اليتم، التشرد، الجوع، الأمية، المرض إنه الحرمان في أعلى مراتبه.. أجل يا عم لقد خصصت «الصباح» ثلاث صفحات كاملة للحديث عن الحرمان.. فما رأيك إذن فيما قلت لك؟!».

أدام العم حسين النظر في الصورة التي تتوسط جريدة الصباح قبل أن يقول: «الرأي رأيك فهل سبق لي أن رفضت لك طلبًا؟!».

ـ أحسن الله إليك وحفظك من كل مكروه.

- أخذ العم حسين أعداد «الصباح»، ثم راح يعد، والصغير يتتبع حركاته في انشراح.

- ستة وخمسون عددا.. فهل ستأخذ الصباح وحدها.

- نعم، نعم لا مانع من أن تضيف إليها أربعة أعداد من جريدة «دنيا الرياضة» ليصبح المجموع ستين.

- لك ما أردت.

- شكرا يا عم حسين وها هي ذي نقودك مقدما.. واعلم أنني سأعود بإذن الله قبل الواحدة ما دُمْتُ قد قررت ألا أذهب إلى المنزل في منتصف النهار وأريدك أن تترك لي فرصة اختيار جرائد المساء.

- وهو كذلك يا هشام والله ولي التوفيق.

- إلى اللقاء.

تأبط الصغير الصحف وفي الحال علا صوته: «اقرأ عن الحرمان في أعلى مراتبه.. اقرأ «الصباح» الجريدة التي أفردت ثلاث صفحات بكاملها لهذا الموضوع».. قطع الشارع.. دلف إلى الحديقة.. سمع أحدا ينادي عليه.. هرول صوبه.. وقف أمامه وبصوت الفرح قال: «السلام عليكم، اقرأ يا سيدي «الصباح» فإنها قد نشرت اليوم موضوعا لم تنشره أية جريدة: اقرأ العنوان، انظر إلى الصورة إنه الحرمان في أوضح صوره.. أتريد عددًا يا سيدي؟!» ألقى الصغير نظرة على وجه الزبون فإذا هو ينظر إليه شزرًا، وبعد هنيهة قال بصوت حاد: «انتهيت.. من أين لك يا مشؤوم هذا التصرف المنحط.. أتريد أن تفرض علي ما أقرأ؟!».

- لا، لا يا.،....

- وفّر عليك كلامك يا... وأعطني «دنيا الرياضة» إن كانت معك واغرب عن وجهي..

تسلم هشام النقود.. حث الخطى، وبعدما ابتعد أمتارًا أطلق العنان لصوته الرقيق: الحرمان في «الصباح».. اقرأ وأعد القراءة.. جاب الحديقة الفسيحة طولا وعرضا، وخلال ذلك تمكن من بيع أعداد «دنيا الرياضة» المتبقية لثلاثة شبان أنهوا لتوهم تمارينهم الرياضية.. برح الحديقة، ارتفع صوته: «الحرمان في «الصباح»، اقرأ عن الأطفال المشردين الجائعين، اليتامى، المرضى.. هاهي ذي «الصباح» تطلعك بتفصيل عن الحالة المزرية للعشرات منهم» دخل المقاهي واحدًا واحدًا.. اشترى منه شخصان جريدتين بعدما تصفحا صفحة الرياضة، وثالث بعدما ألقى نظرة على شبكة الكلمات المتقاطعة.. توجه صوب المحطة.. اختلط صوته بأزيز محركات الحافلات: اشتر «الصباح» يا مسافر! طاف حول الحافلات، أوقفته سيدة.. تسلمت منه جريدة، وقبل أن تقدم له النقود مزقتها، وأعطت جزءا منها لصديقتها التي كانت تهم بالجلوس على أحد الكراسي القريبة من برج ساعة المحطة.. ركب الحافلات.. اقترب من شبابيك بيع التذاكر.. ساقه المسير إلى محطة القطار.. طغى صوته على صوت المرشدة: «الحرمان يا ناس! ها هو ذا في ثلاث صفحات كاملة، اقرأ وأعد القراءة.. ذرع قاعة الانتظار الواسعة جيئة وذهابا، ناداه شخصان اقترب منهما مبتسما حياهما في أدب، ردَّ أحدهما التحية طالبا جريدة «الأخبار» ابتسم هشام ثم قال: «الأخبار» غير موجودة ولكن أنصحك بأن تقرأ «الصباح» فقد أفردت ثلاث صفحات كاملة للحديث عن الحرمان.. انظر يا...» أوقفه الذي لم يرد التحية ساخرًا: «عظيم يبدو أنك قرأت كل ما كتبته الصحيفة.. عُقد لسان الصغير قبل أن تتسمر قدماه أمام الشخصين.. ولما طال سكوته تسلم أحدهما عددًا وهو يقول لزميله ضاحكًا: دعنا نقرأ عن الحرمان في «الصباح» أخذ هشام النقود.. واصل طوافه.. علا صوته من جديد.. غادر قاعة الانتظار.. التحق بالجموع التي تنتظر القطار الذي لاح في الأفق المنظور.. اخترق الجماعات.. ردد الصدى عباراته: «الحرمان في «الصباح» اقرأ وأعد القراءة».. توقف القطار.. نزل القادمون، ركب المنتظرون.. تحرك القطار.. غيّبه الأفق الغربي.. عاد الصغير إلى القاعة.. شعر بالإعياء.. جلس قرب الباب الرئيس ردد بصوت واهن: الحرمان في «الصباح» اقرأ يا مسافر وأعد القراءة.. أعاد العبارة مرات ولما تذكر أمه، وإخوانه ألقى نظرة على الأعداد المكدسة تحت إبطه وما لبث أن قام.... صاح بصوت مبحوح: «الحرمان في «الصباح» غادر المحطة دخل المقاهي المجاورة لها.. تكررت عباراته على صوت الشريط الموسيقي الذي يشنف أسماع الزبائن.. ناداه أحدهم.. أسرع صوبه، وعندما حياه وهمّ بتسليمه عددًا صاح في وجهه: «احتفظ به لنفسك.. لقد ناديتك لكي توقف صيحاتك المزعجة، وفوق ذلك ألا ترى أن الساعة قد أشارت قبل لحظات إلى تمام منتصف النهار، لهذا فنحن بتنا ننتظر صحف المساء؟!» ألقى هشام نظرة على وجه محدثه، وأخرى على الأعداد التي في يده، ومن غير أن يكلمه جر رجليه بتثاقل غادر المقهى.. قطع الشارع.. دخل زقاقا ضيقا.. سار أمتارًا عندما اقترب من مطعم العم زكرياء.. أراد أن يدخل.. توقف.. مرت دقائق على وقوفه بعدها ولج باب المطعم.. ألقى التحية على العم زكرياء بصوت حزين.. وضع الجرائد وقبل أن يخبره بأنها اثنان وخمسون عددًا، وأنه يريد نصف ثمنها على الأقل، كان صاحب المطعم قد مزق الصفحة الأولى لإحدى الجرائد ثم وضع وسطها زيتونا وقدمه لزبون مستعجل.. وحينما كان في انتظار استلام النقود فوجىء هشام بسالم يربت على كتفه ضاحكا: «أنت هنا يا هشام المجد.. نعم المجد فهذه هي الصفة التي وصفك بها العم حسين هذا الصباح.. لقد أثنى عليك كثيرا وفي المقابل نعتني بالكسل والتهاون.. لكن لا يضرني ذلك فيكفيني أنني بعت ثلاثين عددا من «اليوم الضاحك» وأربعين عددًا من «دنيا الرياضة» في ظرف ساعة ونصف الساعة أو أقل من ذلك.. تخيل يا هشام ساعة ونصف، أو أقل لم أكلف حينها نفسي عناء التجول إذ إنني لم أبرح مقهى «المنظر الجميل».. «هنأ هشام زميله بصوت مبحوح.. أخذ النقود، وفي الوقت الذي وطئت فيه قدماه الزقاق سمع «سالما» يقول للعم زكرياء: «أريد منك أن تقدم لي أشهى ما طبخ مطعمك الجميل في هذا اليوم السعيد».

في معرض القاهرة الدولي

تظاهرة ثقافية لبحث مستقبل

١٦ مليون عنوان و ٢١٥٠ ناشرًا من ٦٩ دولة

رسالة القاهرة : من مصطفى عبد الله :

تحوّل معرض القاهرة الدولي للكتاب ـ الذي انتهت فعالياته منذ أيام ـ إلى تظاهرة ثقافية باعتباره ثاني أكبر معرض للكتاب في العالم (بعد معرض فرانكفورت) حيث بلغ عدد زائريه مليون زائر يوميا من مصر والعالم العربي؛ وفرت لهم الهيئة العامة للكتاب ١٦ مليون عنوان عبر ٢١٥٠ ناشرًا من ٦٩ دولةً عربية وأجنبية.

فهذا المعرض الذي افتتحه الرئيس المصري محمد حسني مبارك، لا تقتصر أهميته فقط على كونه سوق كتاب، يلتقي فيه القارئ والكاتب والناشر؛ وتوقع فيه العقود ويقتنى أحدث الإصدارات؛ لكن قيمته أيضا، تتمثل في لقاء هذا الكم الهائل من مثقفي وأدباء وشعراء ونقاد العالم العربي على أرض مصر في مكان واحد. فيمثل هذا الاحتشاد حيوية الثقافة العربية، وترسيخ هذه الثقافة في الوجدان الوطني والعربي، والدخول إلى صميم القضايا الحقيقية التي تشغل مجتمعاتنا عبر قنوات ثقافية متعددة، وإعادة الاعتبار ـ في المقام الأول ـ إلى لكتاب الذي هددته في الفترة الأخيرة كثير من وسائل الإعلام والترفيه الحديثة، فالكتاب عصب الحضارة الإنسانية.

يؤكد معرض القاهرة الدولي للكتاب هذا العام الاهتمام بالشعر كفن جماهيري، وقد أتاح المعرض الفرصة لعدد هائل من الشعراء العرب من مختلف البلاد العربية إلقاء قصائدهم أمام جمهور يربو على ثلاثة آلاف مستمع كل ليلة. وقد استحدثت إدارة المعرض هذا العام أكثر من موقع جديد لإلقاء الشعر وتلقيه ففضلا عن سراي الاستثمار وهي المكان الرئيس للندوات. كان مخيم الإبداع وعكاظ الشعر وهو خيمة التقى فيها الجمهور بضيوف المعرض من الشعراء العرب.

وقد أكد هذا الحشد من الشعراء العرب أن الشعر العربي لا يزال قادرًا على إثارة الوجدان والتفاعل مع الواقع بمتغيراته وتطوراته المتلاحقة، وقد أتاح المعرض الفرصة للشعراء من الأجيال المختلفة للقاء جمهورهم الذي كان هو الحكم الأول على الجيد بغض النظر عن أي اعتبار آخر

تكريم المؤلفين

أعجب رواد معرض القاهرة هذا العام بتقليد جديد تمنوا لو استقر مع الاعوام التالية وهو تكريم المؤلفين الذين أصدروا أفضل الكتب ـ من وجهة نظر النقاد ـ في مختلف فروع المعرفة الإنسانية، وهم:

عبد الفتاح الجمل صاحب أفضل رواية صدرت هذا العام، وهي (محب)، **الدكتور مصطفى ناصف** صاحب أفضل كتاب في النقد الأدبي (صوت الشاعر القديم)، **محمد المخزنجي** مؤلف أفضل مجموعة قصصية (البستان)، **الدكتور أحمد مستجير**: أفضل كتاب في الترجمة (الهندسة الوراثية)، **فاروق شوشة**: أهم ديوان شعر (هئت لك)، **مكرم محمد أحمد**: أفضل كتاب وثائقي (سجل الهلال)، **إبراهيم نافع** عن كتاب (الفتنة الكبرى) كأفضل كتاب سياسي، **د. زكي نجيب محمود** صاحب كتاب (حصاد السنين) كأحسن كتاب في الفكر، **أبو العلا السلاموني**: مسرحية (ست الحسن) كأفضل عمل مسرحي، **مختار العطار** صاحب كتاب (الفن والحداثة) كتاب في الفن التشكيلي، **الدكتور سمير حنا** عن كتاب (عصر العلم) في الكتاب العلمي، **محيي الدين العباد** عن إخراجه كتاب (**فن الواسطي من خلال مقامات الحريري**) للدكتور ثروت عكاشة عن إخراج الكتاب المطبوع، **إبراهيم المعلم كأفضل ناشر**.

وفي إطار احتفال المعرض بيوبيله الفضي قام الرئيس مبارك بتكريم كل رؤساء الهيئة المصرية العامة للكتاب الذين أسهموا في وصول هذا المعرض إلى مكانته العالمية كثاني معارض الكتب على مستوى العالم؛

وإن كان قد غاب عن الأذهان تاريخ الأديب الراحل يحيى حقي في حفل افتتاح المعرض؛ فقد خصصت إحدى ندوات كاتب وكتاب لمناقشة أعماله الكاملة.

ومن البرامج الثقافية التي طرحها معرض القاهرة هذا العام برنامج (كاتب وكتاب) الذي قدم



الخامس والعشرين للكتاب :
هُويتنا في عالم مُتغيِّر
ومليون زائر في اليوم الواحد



عددًا من الكتب التي أضاءت ٢٥ عاما من المسيرة الوطنية وهي : **(والآن أتكلم) لخالد محيي الدين** الذي ناقشه **الدكتور رؤوف عباس والدكتور يونان لبيب رزق** . .

وأهمية هذا الكتاب تأتي من أن صاحبه ألقى أضواء جديدة على أمور لم تنل حقها من الإيضاح . بتجرد من المؤلف ، **وقال الدكتور يونان لبيب رزق :** إن هذا العمل يأتي بعد ٤٠ سنة من الأحداث وهي فترة زمنية محسوبة للمذكرات وليس ضدها ، والمصداقية الموضوعية التي اتسم بها المؤلف هي التي أكسبت عمله كل هذه الأهمية . ووصف المؤلف بأنه يتسم برومانسية الفرسان في كتاباته ، وأوضح أن هذا الكتاب ليس مذكرات ولا ذكريات وإنما هو أقرب إلى السيرة الذاتية التي يرويها صاحبها .

وفي المقهى الثقافي كانت تناقش كل يوم أكثر من رواية وديوان شعر ومجموعة قصصية وكتاب في النقد ومجلة متخصصة للجمهور من الشباب الباحث عن التجريد .

نوقشت مجموعة **محمد البساطي** القصصية الأخيرة **(منحنى النهر)** ورواية **(التوهمات) لخيري عبد الجواد** ، وكتاب **(حملة تفتيش أوراق شخصية) للدكتورة لطيفة الزيات** ، كما نوقش ديوان **(صفحة من كتاب النيل)** وهو أشعار عامية **لزين العابدين فؤاد** ، ونوقشت الدواوين الجديدة للشاعرة الإماراتية **ميسون صقر القاسمي** ، وروايتا **(أيام المنيرة) لمحمد جلال** ، و**(الأزمنة) لسعيد سالم** ، وكتاب **(صوت الشاعر القديم) للدكتور مصطفى ناصف** . وهو واحد من العلماء الكبار في مجاله يتمتع بعمق الرؤية وهو معني بمشكلة من أدق مشكلات أدبنا العربي وهي مشكلة المعنى التي تصله مباشرة بالنص الأدبي والقراءة الحية الخصبة التي تستند إلى خبرة الحواس نحو تحقيق النمو .

وهو صاحب الأعمال المهمة (رمز الطفل في أدب المازني) ، (الصورة الأدبية) ، (قراءة ثانية لشعرنا القديم) فضلا عن هذا الكتاب .

ميثاق للمثقفين

خصص المعرض ندوة لمناقشة ميثاق المثقفين العرب الذي أثير لأول مرة في مؤتمر مستقبل الثقافة العربية في عالم متغير والذي عقد بالقاهرة في أغسطس من العام الماضي .

اشترك في هذه الندوة **الدكتور لطفي فرحات ، الدكتور عبد الله مناع ، عبد الله الشهيل ، سعيد الطيب ، عبد الله الجفري والدكتورة ليلى شرف .**

وحدة فكرية

وقال الأديب السعودي عبد الله الجفري : أنا كاتب رومانسي من خارج الزمان . . جئت لأدخل ندوتكم المهمة ، وفي الواقع يحتاج العرب لمجموعة مواثيق تهتم بالقيمة الحقيقية للإنسان العربي مثل : الحرية ، الفكر ، الروح . إننا نريد أن نناقش وحدة الفكر العربي ولكننا نبحث عن وحدة تفاعلها وعملها وقدرتها على التعبير .

وأوضح الجفري أننا مازلنا نعاني من الإقليمية والانغلاق الإقليمي العربي ، ونعاني من عدم وجود وحدة العقل العربي .

وفي حديثها قالت الدكتورة ليلى شرف : تطرقنا لكثير من الموضوعات في هذا القرن عندما بدأنا ندخل عالم المعرفة ، وخصوصا مقولة : إن العالم في نهاية القرن سوف ينفصل بسبب التقدم ، وأزعم أننا اقتربنا من ذلك الحلم ، فنحن الآن منفصلون عن العالم ، ومن هنا تأتي أهمية القلق العربي والدعوة للمطالبة بالمواثيق الجديدة لثقافتنا ولابد من أن نضع ميثاقا جديدا يوضح أحلام العربي وتكون له آفاقه الرحبة ، والمثقفون العرب لهم دور مهم في عصر النهضة ، إسهاماتهم أغنت الجو العربي ، ولكنها لم تؤت ثمارها ، وكانت الصدمة المدمرة الأولى ضياع فلسطين ، وتراجع أمل المثقفين العرب في تلك الفترة . وفي السبعينيات أحدثت عودة المثقفين العرب وقضايا الوطن تشكل هموم المثقفين ، وبرزت قضايا الوحدة والتنمية وحقوق الإنسان في طليعة تلك الهموم في المؤتمرات والندوات .

وجاءت الصدمة الكبرى ، صدمة الخليج ،

تظاهرة ثقافية لبحث مستقبل هويتنا في عالم متغير

التي شكلت محطة أخيرة أخذت تهدد المفكرين العرب الذين تعرضوا للتشرذم، وانقسم المفكرون وتناثروا وأصبحت هناك خصومات لا تواصل من أجل الديمقراطية وحقوق الإنسان.

هنا تأتي أهمية صياغة ميثاق عربي جديد يجمع بين أواصر المثقفين العرب في مقابل عالم الفكر والإبداع.

وأقترح عناصر هذا الميثاق كما يلي:

● أول مرتكز هو صياغة عناصر المشروع النهضوي الجديد ومقوماته الأساسية الوحدة والتنمية وحقوق الإنسان.

● الالتزام في الحفاظ على خصائص البنية الثقافية للعرب وفي وسط الغزو الثقافي يجب الالتزام بمحاربة ما نتعرض له من هجوم يهدف إلى ضياع هويتنا الثقافية العربية، ولا يفهم من هذا أني من دعاة الانغلاق ولكن يجب أن نحافظ على حضارتنا والتراث الإنساني الضروري للبقاء.

● التوجه نحو الانفتاح على الحضارات الأخرى بثقة في النفس متذكرين قوة الحضارة التي نرتكز عليها.

● التمسك بالوصول إلى المعرفة.

● التوجه نحو التعامل مع التكنولوجيا المعرفية ومعالجة القضايا المهمة.

● التمسك بحقوق الإنسان وعدم تسخير المثقفين.

● الإصرار على مناقشة قضايانا بانفتاح مهما عصفت بنا الأزمات والكوارث.

● الالتزام بإفساح المجال أمام الفكر الآخر بالحوار.

● الالتزام بالابتعاد عن الفكر العنصري ووضع خرائط أخلاقية للالتزام الذي يكفل احترام هذا الميثاق.

وقال الحبيب الجنحاني: إن هذا الميثاق ضروري، لكن المهم هو أن يوضع بعد نقاش، وهو ليس مثل المواثيق السابقة المعروضة على الآخرين. ومن الضروري أن يكون هناك حد أدنى للاتفاق على هذا الميثاق. وأقول بداية لابد من إعادة النظر في جملة من المقولات والشعارات التي يرددها المثقفون العرب في السنوات الماضية. لابد أن ننقد ذاتنا في مقولات اهتزت، ولابد أن نتفق من أجل عقلنة المجتمع، فالظروف تغيرت ودور المثقف له تأثيره في عصر النهضة، ويجب ألا ننسى جهودا أخرى للمثقف خارج السلطة.

وينتقد عبد الله مناع ما جاء في مشروع الميثاق بقوله: يتحدث الميثاق عن المطالبة بالحرية ولكنه لم يتضمن ما يدعو لتحقيق تلك الحرية، ولابد من علاج هذه النقطة، ولم يتحدث الميثاق عن فكر المثقف الذي هو أداته ونتاجاته.

وتساءل سعيد الطيب: هل نحن حقا بحاجة لميثاق ثقافي عربي جديد؟. وهل يمكن لهذا الميثاق أن ينبذ كل المتطفلين من الدعاة على الثقافة. ميثاق يردم الفجوة بين المثقفين العرب التي أصابتنا بالإحباط أم نحن في حاجة لندوة عن السلوك الثقافي نتعرف فيها على أبجديات المدلول الحقيقي للفظ والكلمة مثل لفظ الحرية، العدل، الحق، الخير، الجمال.

وأكد بتفاؤل أن العالم العربي لا يخلو من النماذج المشرقة المضيئة التي تثري حياتنا الأدبية، وطالب بحوار جاد مسؤول بين المثقفين العرب لمواجهة الواقع بشجاعة.

واعترض حنا مينه على ما حدث في هذه الندوة من إهمال لمشروع الميثاق السابق الذي اشترك هو في وضعه واجتماع المثقفين لمناقشة مشروع ميثاق جديد، ورأى أن هناك تقصيرا لأن الميثاق في صورته السابقة لم يوزع على المؤسسات أو الأفراد، وقال: نحن نتكلم إذن عن ميثاق غائب عنا، وتحدث عن الانتشار الثقافي بين أرجاء العالم العربي، وطالب بضرورة إزالة العوائق التي تقف في وجهه. ونبه لضرورة معاقبة القانون لتزوير الكتب العربية الراقية وطالب الحكومات بالتشدد مع سارقي الكتب بتقديمهم للمحاكمة.

واتهم محمد لطفي فرحات المثقفين بالتقصير في حق إخوانهم، وقال:من منا يعرف حركة الثقافة في تونس والمغرب، وأضاف إننا نبالغ إننا نعرف عن حركة الثقافة في البلاد الأجنبية أكثر مما نعرف عنها في بلادنا العربية، ولا نعترف بالأعمال الأدبية العربية إلا بعد اعتراف البلاد الغربية بها، وان دل هذا على شيء فإنما يدل على مشكلة افتقادنا للتواصل، فنحن نحتاج إلى التعرف على أنفسنا، ونحتاج لزيادة فرص الالتقاء والتعارف.

ونبه الدكتور شاكر مصطفى إلى خطورة الأهمية الثقافية وأثرها في قتامة الصورة والمشهد الثقافي العربي.

وقال: إنني فرح بالميثاق: ولكن ماذا نفعل بعد إصداره؟ هناك فجوة كبيرة فالذي يضع الميثاق ليس هو من يطبقه.



آفاق اجتماعية

مرجعية الطفل

إذا كانت شخصية الأبناء تتغذى على عواطف الأمومة، ذلك لأن الأم، والأم وحدها، هي صاحبة السلطة العاطفية، التي تبعث الأمن والطمأنينة وتشيع الهدوء والسكينة بنفس الأطفال، وتؤجج حرارة العلاقات الأسرية بالمحبة والمودة والحنان، فإن شخصية الأبناء بحاجة أيضًا إلى غذاء قيمي ومرجعي يملكه الأب ـ ولا أحد غيره ـ صاحب مرجعية القانون والقيم.

إذ منذ السنة الثالثة من عمر الطفل يبدأ دور الأب بالظهور في حياة الطفل، إلى جانب دور الأم التي كانت حتى هذه اللحظة عالم الطفل الوحيد. وتبدو أهمية دور الأب وفاعليته في تشكيل شخصية الطفل المستقبلية، حيث إنه يمثل أول مظهر من مظاهر التدخل الخارجي في حياة الطفل الذي يعمل على تحديد القانون الاجتماعي، ذلك من خلال ما يسمى بقانون الأب الذي هو عبارة عن السلطة التي يمارسها الأب على أبنائه في تحديد اتجاه السلوك المسموح به وغير المسموح به، وسلوك الحلال والحرام. وهذا القانون الأبوي هو نسخة أسرية معتمدة كلية على قانون ومعايير المجتمع. ووظيفة دور الأب هي أن يتحول سلوكه وقيمه ومبادئه إلى مرجع بالنسبة لسلوك أبنائه، فهم يقتدون به، ويحذون حذوه بشكل مباشر وغير مباشر، واع وغير واع. إذ إنهم يعتمدون سلوكه في المجالات المشابهة سواء كان موجودًا أم غير موجود، فإذا غاب دور الأب، أو غاب جسديًا دون أن يترك أثرًا في تربية أبنائه، فإن مرجعيته تختل ويختل عندها سلوك الأبناء فيجنحون إلى الانحراف.

في البداية، إنه ليس من السهولة أن يتقبل الطفل ابن الثالثة تدخل الأب في حياته، حتى إنه يتعامل معه بحذر وجفاء، بل قد يظهر غضبه وثورته عليه؛ وذلك لأن بعض الآباء لا يعرفون كيف يكسبون محبة أبنائهم، وبالنسبة للبعض الآخر، فإن الآباء أيضًا لا يستطيعون منافسة الأم في كسب محبة الطفل ووده، وفي كيفية التعامل معه، أو إن الأم تبعد كل من سواها عن الطفل وتحتضنه مسبغة عليه كل الرعاية والحب والحنان، ملبية كل رغائبه، وبالتالي يتعلق الطفل بأمه تعلقًا شديدًا رافضًا كل من حوله، وهنا يحاول الأب أن يتدخل بالقوة فارضًا سلطته وأوامره ونواهيه بشيء من الصرامة والعنف، عندها يتخذ منه الطفل موقف العدو، وتبقى تلك الصورة محفورة في ذاكرته. وقد أشار العالم (روجيه موشيلي) إلى أن « الأب هو أول غريب في العالم يظهر للطفل ليفرق بين الثنائي الأم ـ الطفل كي يقيم علاقات ثلاثية تتكون من الأم ـ الأب ـ الطفل. إن هذا المخلوق يتمتع بوضع خاص جدًا، لأنه في ظهر في الوقت نفسه الذي تبدأ فيه الأم بالابتعاد قليلاً عن الطفل، ويفرض نفسه على عالم الطفل كقوة لا تحسن إعطاء الحنان والأمن والاطمئنان، ولا تأبه للدموع والبكاء ».

وفي الوقت الذي تزداد فيه حدة وفوران رغبات القوة وإثبات الذات لدى ابن الثالثة، فإن الأب يظهر بالضرورة كمركز لفرض القواعد والنظام وإصدار الأوامر والنواهي واستعمال العقاب. وقوته وسلطته هذه تشكلان عقبات أساسية تصطدم بها رغبات الطفل الجديدة، وربما كان ظهور الأب كمركز للقوة والسلطة أحد أسباب الأزمة الكبيرة التي يمر بها ابن الثالثة والتي يردها علماء النفس والاجتماع إلى أسباب ثلاثة تتمثل:

أولاً: في ظهور الرغبة الشديدة في إثبات الذات عند الطفل، وذلك من خلال رفضه ومعاكسته آراء وتوجيهات وإرشادات من يتعامل معه.

ثانيًا: في عدم تقبل الطفل التغيرات التي تحصل في البيئة التي تحيط به، وعلى رأسها تقلص دور الأم وزيادة تدخل دور الأب.

ثالثًا: في اختبار الطفل حدودَ قدراته وإمكاناته.



إن تقبل الطفل وانسجامه مع دور الأب لا يكون إطلاقًا من خلال السلطة وفرض القواعد والنظام بالقوة، بل يكون من خلال خلق شعور لدى الطفل بأن سلطة الأب وقوته هي قوة حماية واهتمام ورعاية له. ولا ينمو هذا الشعور ويترعرع وينقلب إلى حقيقة إلا من خلال معايشة الطفل الواقعية هذا الدور.

فالأب يظهر كحارس لقيم ومعايير المجتمع وأخلاقه، وحب الأم يكون للأب وللطفل معًا المعيار الأخلاقي الوحيد الذي يساعد الأب في زرع قيم ومعايير وقوانين المجتمع المعيشة، ويساعد الطفل ـ بالوقت نفسه ـ على تقبلها وتمثلها.

إن حقيقة دور الأب تعني ترسيخ القواعد الأخلاقية واحترامها لدى الأبناء، من أجل ذلك، على الأب أن يعي دوره جيدًا، ويعرف كيف يحوز محبة الأبناء دون أن يفقد سلطته وهيبته، وعندما تكون الأم إلى جانبه تتفهم دوره ودورها، فإنها ستكون بكل تأكيد عاملاً قويًا وداعمًا لدور الأب في عملية ترسيخ القواعد والمعايير التي تحكم سلوك الطفل، طفلاً، ومراهقًا، وراشدًا.

د. تماضر حسون

أناشيد الاستقاء في الشعر العربي

بقلم: د. عبد المجيد الإسداوي

يُعدُّ «المتح» أو الاستقاء في البيئة العربية من أقدم الأعمال المجهِدَةِ التي كدَّ فيها العربيُّ واحتاج إلى ما يساعدُه على هذا العمل من كلماتٍ يتغنّى بها تخفيفًا لآلامه المصاحبة لعملِهِ وتحقيقًا لاقتداره وتفوقه فيه.

لا يُغْلَبُ النَّازِعُ ما دام الزَّمَلْ   إذا أكبَّ صامتًا فَقَدْ حَمَلْ (١)

ومن قديم أشار الجاحظُ إلى أن العرب كانوا يستخدمون الرَّجَزَ عند سَقْيِ الإبل واستخراج ماءِ البئر (٢)، وهو ما دعا الدكتور جواد علي إلى الظن بأن أحد الخبرين المنقولين عن (سوزومن) في أحد كتبه، وعن غيره يتكلم عن الرجز إذ يصفُ غارةً للبدو على دير سيناء سنة ٤١٠ م، ويومئ إلى أنهم كانوا يُنشدون عند متحهم الماءَ (٣). وهذا يُعضِّدُ ما ذهب إليه ابن وَهْب من أن الراجزَ: الساقي الذي يستقي الماءَ، وكان الأصلُ في الأراجيزِ أن يرتجزَ بها الساقي دلوه إذا مدَّها (٤).

والمتأمل فيما بين أيدينا من أناشيدِ الاستقاءِ يلاحظ أنها لم تكن تقتصر على عمليةِ المتح وحدها، وإنما تتناول أيضًا الآبار وما تتصف به مياهُها من عُذوبةٍ وصفاءٍ ووفرة، من ذلك قول الحويرث بن أَسَد، وهو يمتح مشبِّهًا مياه بئرهم بماءِ السَّحاب:

ماءُ (شُفَيَّةٍ) كَماءِ المُزْنِ   وليسَ ماؤُها بطَرْقٍ أَجْنِ (٥)

وقد يذهب آخرون إلى تصوير بئرهم بالبحر في سعته وغزارته كقول شاعر بني عدي:

نحنُ حَفَرْنا بِئْرَنا الخَفيرا   بَحْرًا يُجيشُ ماؤُه غَزيرًا (٦)

ومنهم من خَصَّ التُّربةَ التي حَفَر فيها البئر بالتنويه، كقول خالدة بنتِ هاشم:

نحنُ وَهَبْنا لَعَديٍّ سَجْلَهْ   في تُربةٍ ذاتِ غَذاةٍ سَهْلَهْ (٧)

وتزداد هذه الآبار غزارة كلما كثر استقاء الناسِ فيها:

إن لنا قَلَيْذَمًا هَمُومًا   يزيدها مخضُ الدِّلا جُموما (٨)

والماتحُ الذي يمُد الناس وما يملكون بالماءِ يحتلُّ المكانة السامقة العزيزةَ في قلبِ كُلِّ عربيٍّ وهو دَاعٍ من دواعي البُشْرى والخيرِ والبَركةِ في الجاهلية:

تبشَّرى بماتحٍ أَلُوبِ   مطرحٍ لِدَلْوِهِ غَضُوبِ (٩)

وهو يحظَى بالحُبِّ والتقدير لا من بني جِنْسِهِ فحسب، وإنما أيضًا من الأنعام التي تحبُّه وترنو إليه وتسجع له مخاطبةً إياهُ بلُغةِ المحرورِ:

يا أيها الساقي القليلُ ذاقُه   أفرغْ لِورد قد دَنا سَوامُهْ

تَقْدُمه أذرعُه وَهَامُهْ   عُجْمُ اللُّغاتِ إنما كلامُهْ

تَجارُبٌ بالسجعِ أو إرْزامُهْ (١٠)

وهي - الأنعامُ - تعرف هذا الماتح الذي ينقع غُلَّتها ويُنْجيها من آلام الظَّمأ القاتلةِ فعندما تلاقيه تتهيأُ لشُرب الماءِ، وتأخذُ في تحريك أشداقها باضطرابِ المشوق إليه:

لمّا رَأَيْنَ ماتِحًا بالغَرْبِ   تحلَّجتْ أشداقُها للشُّرْبِ

تَحَلُّجَ أشداقِ الضِّباع الغُلْبِ (١١)

والماتح الذي يمتح بِرفقٍ محافظةً على الدّلو كأبٍ يحتضنُ أولادَهُ في دِعَةٍ ورحمةٍ، ومن ذلك قول أحدهم يخاطب صاحبيْهِ يدعوهُما إلى التوسُّطِ بين القُوةِ واللِّينِ في عملِهِما:

ياصاحِبَيَّ أَدْرِجا إدْراجًا   بالدَّلْوِ لا تنضَرِج انضراجا

ولا أُحِبُّ الساقيَ المِدْراجا   كأنَّهُ محتضنٌ أولادا (١٢)

وراح آخر يخاطبُ صاحِبيْهِ، ناصحًا لهما بعدم الاستقاءِ بعُنفٍ قد يُؤدي إلى نُقصانِ الماءِ في الحوضِ وجفافِهِ، قائلاً:

لا تأويا للحوضِ أن يَغيضَا   أن تُغْرِضَا خيرٌ من أنْ تَغيضَا (١٣)

والمرأة القوية قد تشارك في الاستقاءِ مترفقةً حين ترسلُ الدلو إلى قاع البئرِ، كترفُّقها بِصَبيِّها تعزيزًا وتدليلاً، من ذلك وصفُ أحدهم لإحدى الماتحاتِ بِقَوْلِه:

باتت تُنزِّى دَلْوَها تنزِّيا   كما تنزِّى شَهْلَةٌ صَبِيًّا (١٤)

والدلْو - الوسيلة الأولى للاستقاء - ذات مكانةٍ تضارعُ منزلة الماتح، خاصة إذا كانت كثيرة الاستيعاب للمياه:

لا دلوَ إلا مثلُ دَلْوِ أُهْبانْ   واسعةُ الفرغِ أديمانِ اثْنانْ

لما تنقَّتْ من عُكاظِ الرُّكبانْ   إذا استقلتْ رَجَفَ العُودانْ

لها غناجانِ وستُّ آذانْ (١٥)

وهي - الدلوُ - في ضيقها سُبَّةٌ يعيرُ بها الماتحُ ويُحطُّ من شأنه:

دلوكَ دَلْوٌ يادُلَيْحُ سابِغَةْ   في كُلِّ أرجاءِ القَليبِ وَالِغَةْ (١٦)

وأحيانًا يستبدلونها (بالعقال) إذا كانت البئر قريبةَ الرِّشاءِ:

يارُب ماءٍ لَكَ بالأجبالِ   أجبالِ سَلْمَى الشُّمَّخ الطِّوالِ

بُغَيْبِغٌ ينزعُ بالعِقالِ   طامٍ عليه وَرَقُ الهدالِ (١٧)

ومن الاستقاء يخرجُ الماتح ممتدحًا عمله أو مُعرِّجًا على صاحبِ البئرِ، مُبيِّنًا فَضْلهُ ومنزلتَهُ، كقول أحد رُجاز الحجيج في الثناءِ على قُصيٍّ:

آبَ الحجيجُ طاعمينَ دَسَما   أَشْبعَهم زيدُ قُصيٍّ لَحَما

وَلَبَنًا مَحْضًا وَخُبْزًا هَشَما (١٨)

ومنه إلى الدعاء، كأن يخرج الماتحُ في الدعاءِ إلى الدليل الذي أخذ بيديه إلى مكان الماءِ، كقول **خالد بن الوليد في رافع بن عمير الطائي** عند شخوصه إلى الشام:

لله دَرُّ رافــع أنّـى اهتــدَى | فــوَّزَ مــِنْ قُـرَاقرٍ إلـى ســوى
خِمْسًا إذا سَار به الجِبْسُ بَكَى | عند الصباح يَحْمَدُ القومُ السرى (١٩)

ومنه إلى البكاء، كأن يبكي راجزٌ أخاه الماتـح الذي كان يُزاول هذا العملَ حتى آخرِ لحظةٍ من عُمره، فبات ضحيةَ عملِه، فيرثيه قائلاً:

يـاعينُ بكِّي عـامِـرًا يَوْمَ النَّهَـلْ | عند العَشاءِ والـرِّشَـاءِ والعَمَلْ
قام على منزعة زَلْجٍ فَزَلْ (٢٠)

ومنه إلى النسيب في المتح، إلى تبادل الإعجاب والتحايا والإطراء، كأن يلج الماتحُ إلى أبواب بِئـرهِ طلبًا للماء، فيأخذ أحدُ السُّقاةِ في إهـدائِه بعضَ عباراتِ الحب والـودِ والتقدير إعجابًا بعملِه وتقـديـرًا لقوتـه، فيردُّ عليه والعـزة تملأ جوانحه مقرورًا، بما يسمع ويرى، مـن ذلك مثلاً ما يروى أن رسول الله ﷺ لما أتى على بئرٍ ذمـةٍ عند صُلح الحديبيـة في آخر سنـة ستٍ من الهجرة فنـزلَهَا ستةُ ماحةٍ ونزل فيها ناجيةُ بنُ جنـدبِ الأسلميُّ، فأدلت جاريةٌ من الأنصارِ دلوهَا وقالتْ لَهُ:

يـا أيها المائحُ دَلْـوِي دُونكـا | إنـي رأيتُ النـاسَ يـحمدُونكا
يُثنون خَيْـرًا ويمجِّـدونكـا | خُـذْهَـا إليـكَ اشغلْ بها يمينكـا

فأجابها نـاجيةُ مُبعـدًا عن نفسِه صفـاتِ الضَّعْفِ، ومُثْبتًا صفـاتِ القُوةِ والفروسيةِ:

قـــد علمت جـاريــةٌ يمــانيهْ | أني أنـا الماتحُ واسمي نـاجيــهْ
وطـعـنــةٍ ذاتُ رشـاشٍ واهــيــهْ | طعنتُها تحت صُدُورِ العاديهْ (٢١)

بل إن أنـاشيـد الاستقاءِ لتتحـولُ لـدى بعضهم تعبيرًا وتصـويرًا لما يـدورُ بخلـدِهم من مقـاصِـدَ جامعين بين التغنّـي بالـرجـز وعمليـات المتح وكأنهم يستشعرون الوشائج بينهما.

شّد وجذب

وبمـرور الوقت يتسع مجال الإنشـاد عند المتح، فيشتمل إلى جـانب ذلك تبـادل القـول بين المتخـاصمين، ويصير أشبـه بالمنـاقضـات التي تُـولـد على استحياءٍ كأن يلجأ الماتح إلى إثباتِ صِفاتِ الصَّفَاءِ والنقاء من الشوائب لبئرهم معرضا ببئر خصومهم، فيردّ عليه خصمُه بمثل ما فعل ناقضًا حديثه، مُفاخرًا هو الآخـر ببئرِهم، من ذلك مـا أنشدتْـه أُميمةُ بنتُ عُمَيْلـة مُترنمةً ومُفـاخرةً بصفاءِ بئرهم (أم أحـراد)، وغزارتها ومُعرِّضة ببئر (بـذَّر) التي حفرها آلُ ضُرَّتِهَا صفيةَ بنتِ عبد المطلب، واصفة إياها بالضيقِ وقلةِ المياهِ قائلةً:

نحنُ حفـرنــا البحـرَ أُمَّ أَحْـرَادْ | ليستْ كبـذَّرِ النُّـزورِ الجَمَادْ

فهبتْ صفيةُ مُفاخرةً بما تتباهَى بِهِ هي وقومُهـا، تهجو بئرَ خُصومِهَا قائلةً على رويٍّ آخَرَ:

نحـنُ حَفَــرْنَـــا بَــذَّرْ | تسقـــي الحَجيـــجَ الأَكْبَرْ
مِــنْ مُــقْــبِـلٍ ومُـدْبِر | وأُم أَحْــرادٍ شَـــرّ
فِيهَـــا الـــجرادُ والـــذَّر | وقَـــذَرٌ لا يُـــذْكَـــرْ (٢٣)

وعلى هذا النحو أنشد الماتحون أثناء متحهم أنـاشيد تختلفُ في خصائصها طُولاً وقصرًا ومـوضُوعًا ولغةً، وتلتقي جميعًـا كما تلتقي عنده الأناشيـد الشعبية عُمومًا من فِطْرةٍ متقدةٍ وسليقـةٍ حاضرةٍ تعينُ أصحابَها على إنشادها دون إعدادٍ أو تمحيصٍ بكلماتٍ منغُـومةٍ تتصلُ بـالسقايـة بئرًا وسـاقيًا وأداةً تتطـور لتشمل الوصفَ والفخرَ والمدح والهجاءَ والنسيب والمنـاقضة والمخـاصمةَ وغيرَ ذلك، وهو تطوّر لا نعرفُ على وجهِ الدقةِ متى حَدَثَ ولا الأسباب التي وقفتْ وراءَهُ، وإن كنا بـالنظر إلى مـا بين أيدينـا من رجزيـاتِ الاستقاءِ نستطيـع التعرف على بعضِ الخصائص التي امتازتْ بها تلك الأناشيد، مجسَّدةً في البساطةِ والعفويةِ والسُّهولةِ، ودفعت الحركـة الـدائبة في مـزاولة عمليـات المتح إلى عـدم إتاحـةِ الظروفِ أمام شُعرائها بالوقوفِ لحظـاتٍ لمراجعة ما يقولون أو التأني في إخراجه شِعْرًا يُداني طُوال القصائد.

ومع ذلك يستطيعُ المتأمل أن يستخـرج مما تمثلتْ بـه وغيرِه من رجزيـاتِ الاستقاءِ، عـددًا لا بأس به من الصور الشعريـة عند تصوير آبـارهم في سِعَتِهَا بالسحـابِ أو البحارِ، وعند تصويـرهم الأنعام وهي تحنّ إلى ساقيهـا آخذةً في تحريك أشداقِها باضطرابِ المشوق إليه، وعند رَسْمِهِمْ صُورة للمرأة وهي تُرسِلُ دَلْوَهِا برقة ورفْقٍ كالأُمِّ في حنانها على ابنها، وغير ذلك من الصور.

الهوامش

١) مجالس ثعلب، ٢/ ٤٩٨.. والنـازع: الـذي يستقي بالدلو ينزع بها الماء.
٢) البيان والتبيين، ٣/ ٦.
٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٩/ ١٢٤ ـ١٢٨.
٤) البرهان في وجوه البيان، ص ١٢٧.
٥) فتـوح البلـدان، ١/ ٥٧. ومعجم البلـدان، ٣/ ٢٢٩.
٦) المصدر نفسه، ١/ ٥٨.
٧) نفسه، ١/ ٥٦. ومعجم البلدان، ٣/ ١٩٣، وفيه: تروى الحجيج زُغلة فزُغلة.
٨) المنقـوص والممـدود، ٣٦، وأمـالي القـالي، ٢/ ١٠٢.
٩) لسـان العـرب (ألب) ـ ورجل ألـوب: سريع إخراج الدلو.
١٠) النـوادر في اللغـة، ٣٩٢، وأراجيـز العرب، ٩٧.
١١) الحيوان، ٦/ ٤٤٩. والتحلـج: الاضطراب والتحرك. والضِّبَاعُ الغُلْبُ: المضطربة، المغلوبة.
١٢) اللسان (درج)، وأدرجتُ الدلو: إذا متحت بِهِ في رفق.
١٣) اللسان، (غرض)، وغـرَض الحوضَ والسقاة يغرضهما غرضًا: ملأهُما..
١٤) الخصـائص، ٢/ ٣٠٢، وأمـالي القـالي، ١/ ٤٣، ولسـان العـرب (شهل)، والشَّهْلـةُ: العجوزُ الكهلة.
١٥) النـوادر في اللغـة، ٣٩١، وجمهـرة اللغـة، ٢/ ٢٨٢. وأُهْبَان: اسم رجل.
١٦) اللسان (ولغ) (وسبغ)، والسابغة: الطويلة. والوالغة: الصغيرة.
١٧) اللسان (بغع) والمعجم الكبير، (بغبغ)، وبئر بغبغ وبُغَيْبغ: قـريبـة الرشاء. والهدال: شجـر بالحجاز له ورق عراض أمثال الدراهم الضخام لا ينبت إلا مع أشجار السلع والسمـر، يسحقه أهل اليمن ويطحنونه.
١٨) أنساب الأشراف، ١/ ٧٨، وفتوح البلدان، ١/ ٥٦، وأنباء نجباء الأنبـاء ٦٨ـ ٦٩. الدسم: الودك.
١٩) تـاريخ الخميس، ٢/ ٢٣، وفتوح البلـدان، ١/ ١٣١، واللسـان (سوا)، والأزمنة والأمكنـة، ٢/ ٢١٦، ومجـمع الأمثـال، ٢/ ٣٠، وقـراقـر وسوى: ماءان.
٢٠) اللسان (نزع).
٢١) السيرة النبـويـة، لابن هشـام، ٣/ ١٩٩، والاستيعاب، ٤/ ١٥٢٢.
٢٢) السيرة النبويـة، ١/ ١٣٨، وفتوح البلـدان، ١/ ٥٧.
٢٣) شرح القصـائد السبع الطوال الجاهليـات، ٢٥٥، وسمط النجوم العوالي، ١/ ١٧٤.

مَسؤوليّة الأم في تنشئة الأبناء

بقلم: د. أحمد عمر هاشم

لقد فطر الله سبحانه وتعالى الوالدين على محبة الأبناء والحرص على ما ينفعهم ويسعدهم، وللأم عاطفة خاصة نحو أبنائها والعناية بهم، وعليها مسؤولية كبرى في تنشئة الأبناء ورعايتهم، باعتبار أن الأم أكثر ملازمة للأبناء، وأكثر عطفا ورعاية، ولذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «والأم راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها» (رواه البخاري ومسلم). ولقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم نساء قريش، بما تميزن به من رعاية الأبناء، والحفاظ عليهم، وبذل الحنان والعطف عليهم، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «نساء قريش خير نساء ركبن الإبل، أحناه على طفل وأرعاه على زوج في ذات يده» (رواه مسلم).

وإذا كان تفاضل النساء والأمهات يقاس بمدى الرعاية للأبناء فإن واجب الأم ـ اليوم ـ أن تكدس جهودها لأبنائها لأن تنشئتها لأبنائها هي الرسالة الأصلية والمهمة لها في حياتها فلا تدع الأبناء للمربيات والخادمات، فمهما كانت الرعاية منهن فإنها لا يمكن أن تبلغ رعاية الأم التي ترى ابنها قطعة منها، فهي جياشة العاطفة بالنسبة له، وحبها وحرصها على أبنائها لا حدود له، مهما كانت الأسباب، لأن الأب بطبيعة عمله وخروجه يغيب فترات عن المنزل، والأم هي الراعية لبيتها المستمرة في رعايتها، الدائمة على ذلك.

إن الأبناء الذين لا يجدون رعاية من الأب ولا من الأم لانشغال الأبوين عنهما، يكونون أشد حرمانا من اليتامى، وأقرب إلى الانحراف والفساد والضياع، وكما قال الشاعر:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هم الحياة وخلّفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له
أمّا تخلّت أو أبا مشغولا

وقد أمر الله تعالى الآباء والأمهات أن يربوا أبناءهم تربية حسنة، إسلامية صحيحة، بعيدة عن الإثم والفسوق والعصيان وحمل الإسلام الآباء والأمهات مسؤولية هذه التربية التي يحفظون بها أبناءهم من عذاب الله، حيث قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم



نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ (التحريم ٦).

وما أعظم التوجيه النبوي الحكيم الذي وجه به رسول الله ﷺ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وهو غلام «عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات: إحفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» (رواه الترمذي).

ومن أهم ما ينبغي على الأم أن تغرسه في نفوس الأبناء الأخلاق الفاضلة، وبخاصة خلق «الصدق».

تربية على الصدق

إن الأبناء حين يشبون على فضيلة الصدق فلا يكذبون تسير حياتهم سيرا صحيحا وسليما، تتسم بالصراحة وتكون بعيدة عن الكذب والنفاق والرذيلة.

وقد دعا الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إلى الصدق وأكد الدعوة إليه بخاصة لدى الأمهات، لأن بعض الأمهات قد يدفعهن الرغبة في طاعة الأبناء لهن واستماع توجيهاتهن إلى أن تعد الأم ابنها بهدية أو طرفة وقد لا تفي له بما وعدت فيتعود على الكذب ويستهين بفضيلة الصدق.

عن عبدالله بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: دعتني أمي يوما ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطك، فقال لها رسول الله ﷺ: ما أردت أن تعطيه؟ فقالت: أردت أن أعطيه تمرا فقال لها رسول الله ﷺ: «أما إنك لو لم تعطه كتبت عليك كذبة» (رواه أبو داود والبيهقي). وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال لصبي هاك ثم لم يعطه فهي كذبة» (رواه أحمد وابن أبي الدنيا). وما ذاك إلا من أجل تربية الأبناء على الصدق من أول وهلة حتى يتعودوا عليه.

العبادة منذ الصغر

وقد دعا الإسلام إلى تنشئة الأبناء منذ نعومة أظفارهم على العبادات من صلاة وصيام وغيرهما، حتى يتعود الأبناء على عبادة الله تعالى، لأن التنشئة على العبادة تجعل الأبناء يرتبطون بالله تعالى منذ صغرهم، فيراقبون أعمالهم في كبيرها وصغيرها ويوقنون أن الله تعالى يراهم وسيحاسبهم، وحين ينشأ على ذلك تنمو فيهم روح التدين والاستقامة، وحين تنمو فيهم روح التدين يتقنون كل ما يسند إليهم أو يقومون به، ففي مراحل تعليمهم يتقنون دروسهم وفي مراحل العمل في حياتهم يتقنون أعمالهم، فيصبحون أعضاء صالحين في المجتمع، وينفعون أنفسهم وأمتهم.

ويظهر فيهم منذ الصغر الوازع الديني الذي يدفعهم إلى كل فضيلة وينهاهم عن كل رذيلة، وهذا الوازع الديني لا ينشأ إلا في ظل التربية الدينية والحياة المستقيمة التي ينشأ عليها الأبناء منذ الصغر، وقد أمر الإسلام الآباء بتوجيه الأبناء إلى طاعة الله تعالى منذ طفولتهم، ومنذ سن التمييز من سبع سنين وأن يأمروهم بالصلاة ابتداء من هذه السن وأن يضربوهم عليها في سن عشر سنين. فقال صلوات الله وسلامه عليه: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع» (رواه أحمد وأبو داود والترمذي).

”لابد أن نُجنِّب أطفالنا جُلساء السوء ومثيرات الفتنة“

وحتى ينشأ الأبناء على هذه الطاعة والبعد عن الرذائل لا بد من إبعادهم عن قرناء السوء، لأن الطبع يسرق من الطبع، وقد شبه الرسول ﷺ الجليس الصالح والجليس السوء بحامل المسك ونافخ الكير، ومن خلال الجليس الصالح تنتشر الفضائل ومن خلال الجليس السوء تنتشر الرذائل والظواهر السيئة كالتدخين والمحاكاة والتقليد الأعمى لكثير من العادات السيئة، والإدمان، بشراب الخمر أو تعاطي المخدرات والسموم البيضاء.

ولكي ينشأ الأبناء نشأة صالحة لا بد أن نجنبهم جلساء السوء، ومثيرات الفتنة، فإن اختلاط الأبناء بغيرهم من المفسدين يفسدهم، قال الله تعالى: ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ (الزخرف ٦٧). وقال صلى الله عليه وسلم: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» (رواه الترمذي).

وما أروع قول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدي

اختيار الأم أولاً

إن على الأم مسؤولية كبرى تجاه أبنائها، فهي التي تقوم بالرعاية إلى جانب الأب، وقد أودع الله تعالى قلبها العطف والحنان والحب للأبناء مما يجعلها تقوم بتلك المسؤولية بدافع عاطفتها وحنانها.

وإذا كان بعض الآباء أو الأمهات ينصرف عن تلك المسؤولية إيثارًا لأعمال أخرى، فإن رعاية الأبناء هي أهم الأعمال لأنها المسؤولية الأولى. وقد قال ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» (رواه ابن حبّان). وقال ﷺ: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت» (رواه أبو داود).

ومن أجل هذه المسؤولية المهمة التي تضطلع بها الأم ومن أجل تلك الرعاية التي تتميز بها في قيامها برسالتها مع أبنائها، نرى أن أعظم ما يسديه الأب لأبنائه هو أنه اختار لهم الأم الفاضلة التي تنشئهم النشأة الصالحة. قال أبو الأسود الدؤلي لأبنائه: يا بنيّ قد أحسنت إليكم صغارا وكبارا وقبل أن تولدوا، فقالوا: وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: اخترت لكم أما لا تسبّون بها. وقال الشاعر:

فأول إحساني إليكم تخيري

لماجدة الأعراق بادٍ عفافها

وعلى الأبوين بصفة عامة، والأم بصفة خاصة أن تجتنب حكاية الخرافات لأبنائها، أو تلقينهم المعلومات الخاطئة، وأن تجتنب الأم التدليل ووسائل الترفيه.

ولما كانت الأم أكثر ملازمة للبيت وللأبناء فإن عليها أن تصبر ولا تتبرم ولا تتسرع حين يستفزها بعض الأبناء أو يضيق صدرها، فتنطلق بلسانها داعية على أحد من أبنائها، فإن رسول الله ﷺ يحذر من مثل ذلك في قوله ﷺ: «لا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا ساعة يسأل فيها فيستجيب لكم» (رواه مسلم).



قصة قصيرة

بلا نهاية

بقلم: فاروق حسان

سرّ العجوز يدا تشبه أطراف الميتين. انحسر الثوب عن ذراعه فظهر الوشم باهتا. قال:

ـ خذ، وليهدأ أبوك في قبره الليلة.

فتح الولد فمه، تسلق حبال الصمت وحاول قطعها فسقطت به على أسنان تصطك. تلون الليل بلون الدم يسري في العروق وينتفض أعلى الحاجبين.

صر العجوز على أسنانه، وقال وهو يدفع بالبندقية:

ـ خذ يا ولد.

تصدعت جدران الصمت لصوت العجوز وانهارت دون صوت إلا الصدى.

الجواب تنتظره عيون غسلتها برودة تسري بطول الظهر كسياط. أطراف الجدّ مازالت ممدودة، والمصابيح تنطفئ في عيني الولد، والصمت ثقل على الهواء فسقط عند الأقدام.

ـ خذ يا ولد.

قاطعة كحد السكين تجبر على التقدم، امتدت يد الولد وعادت ثقيلة تضم الموت، بسمة رضا تدفقت وخففت من صلادة الوجوه.

في ارتياح قالت الأم:

ـ سيطرق النوم أجفاني هذه الليلة.

غرق الأرق في عينيها واغتسل وجهها بماء الانتصار، مثلهم تماما لولا ثياب النساء، عندما كان طفلا شم في شعرها رائحة الحقل وأشعة النجم وأحلام المحصول، أما الآن فقد انداحت الملامح القديمة كضوء نجمة احترقت.

ـ سنبكي الليلة أباك.

قالها الجد من فم غاب عنه ساكنوه ويده ترتعش على عصا قديمة.

تمطى الصمت وفتح الباب وخلف وراءه لحن الانتقام يدفع للهلاك، في الواقفين جال الولد بعينيه، ليس فيهم غريب حتى الشيطان، أمه التي ولدته تقف معهم وهو وحده خارج الصف، ليس معه إلا ظل مسلوخ على الحائط في إعياء.

ـ هيا يا ولد.. أنت تعرف المكان.

تراخت أصابع الفتى فوق الجسم البارد، لم يقو على الكلام، لم يعد هناك مجال للكلام. الكلمة الآن للصوت المكتوم يخترق الظلام، وتشرب الأرض بلا ارتواء.

قالت الأم:

ـ هيا يا ولدي.

رائحة الحقد زالت، واكتسب الشيب المبكر جدائل الليل، والقنديل يسكب الضوء، لكن لن يبوح بسر الاجتماع.

ـ ماذا تنتظر؟ آه، أنت مذعور أيها العاق.

تدفقت شبكة الغضب وملأت وجه العجوز الطويل اللحية.

ـ أجل أنت مذعور. هناك الكثير ينتظر الإشارة لكننا أولناك الشرف يا جبان.

انتفض الولد. سبح جسده في لجة العرق. انتزع الريق من تحت لسانه كي يهدّئ سعير النار في جوفه. صرخ من قلبه:

ـ لست خائفا لكنه نال الجزاء، دهر طويل في السجن. هل تعرفون ما السجن أيها الـ..

صرخ العجوز وشهر عصاه وكلماته تلهث في الطريق حتى سقطت في الأذن كقطع الحجارة:

ـ نحن لا نعرف إلا الانتقام، دهر في السجن؟!.. ماذا بعده؟ خرج بالأمس معافى وعلى كفه دم أبيك، أبوك الذي نسمع صراخه كل مساء. ألا تريده أن يهدأ في قبره؟! ارفع صوتك ولا تغمغم كصرصور الغيط.

قال الولد:

ـ لست إلها حتى آخذ القصاص.

ـ أنت يد العدالة.

صرخ الجد ويده تغوص في فتحة الثوب وتخرج كتاب رب العالمين.

ـ من قتل يقتل. هكذا جاء في الكتاب المبين.

تلاشى السقف، وتلاشت الشخوص، ولم تبق سوى أطراف الجد تدفع للهلاك.

ـ ماذا تنتظر؟ هل نأتي لك به إلى هنا أم تنتظر أن تجده يوما بين دفتي كتاب؟ قالها العم باستهزاء، ثم أضاف:

ـ أفسدتك المدينة ياولد، لم تعد منا. أشعر إني أخاطب شابا غريبا. أقسم إني أخاطب شابا غريبا.

شعر بأمه تحتضنه وتبكي. تكلمت كثيرا عن الثأر والشرف. قال:

ـ لست خائفا، لكن..

قاطعته:

ـ روح أبيك ستظل عالقة ما لم تقتل قاتله.

قال:

ـ السلطات أصدرت حكمها.

قالت:

ـ العين بالعين.

قال:

ـ ومستقبلي؟!

قالت:

ـ بيد الله.

قال:

ـ المشنقة تنتظرني أو السجن.

قالت:

ـ مقدر ومكتوب.

لا مفر، الكل يدفعه، وحيد وسط كواسر تلهبها رائحة الدماء، صرير أسنانه سمعه الجميع، لم يكن



هناك شيء تحت أسنانه ليطحنه إلا المرارة.

لا مفر.

فليودع الدار. تحركت قدماه. أعطاهم ظهره وسار. عند الباب وقف، استدار. تساءلت العيون. قال:

- يفعل الله ما يريد.

ثم سار.

الظلمة تقبع عند الباب، الليل ستار كثيف غطى البيوت والغيطان. البلدة تسبح في النوم منذ سقط قرص الشمس في البعيد. أشباح النخيل وأبراج الحمام لا تكاد تبين، القرية فراغ إلا من عواء الريح والكلاب. الطرق رفيعة تتلوى كالدود ثم تتلاقى أمام المسجد أو البيت الكبير.

في الطريق الزراعي الذي يلف حول البلدة سار. أنفاسه تتلاحق ولا أحد إلا القمر يتسربل بسحابات سود. قدمه تدق الأرض كدقات حذاء جندي مهزوم. الثياب الفضفاضة تصدر هسيسا كئيبا والموت يستكين داخل الفوهة الباردة. أصداء مجهولة تحمل ذكريات الليالي والماضي يبرز واضحا برغم ظلال السنين.

- سنبكي الليلة أباك.

لقد بكوه ساعة سقط. استحمت أمه يومها في الطين. مرقت من خلف الرأس تحمل الهلاك، وخرجت تزغرد من الجبهة. رفع أبوه رأسه بصعوبة من على التراب وتشبث به، قال:

- أنت رجل وتعرف واجبك.

لم يكن رجلا في ذلك الحين، اثني عشر عاما أو يزيد. تقلص وجه القتيل، قال:

سأغمض عيني وأنا راض، ولدي سوف يأخذ بثأري، انتهز الفرصة ومزقه، سأنتظره في قبري كل مساء، كل مساء، كل..

ثم سكن.

بعدها بأيام عاد الولد إلى المدينة، في الصحف قرأ الخبر، خمسة عشر عاما للقاتل يقطع فيها الأحجار. هدأ، لم تذهب الروح هباء. العدل أبدا يأخذ مجراه. جرفته الحياة والكتب. بضعة أشهر قبعت بعدها الذكرى في عتمة النسيان. لم تكن تبدو إلا حين تدق الأم أو الجد الباب. ساعتها كان حديث الثأر يضخم الألم حتى يكاد يشق الصدر.

ومرت الأعوام وفتحت الأبواب للسجين. سرى الخبر في القرية وجاءه في المدينة الرسول. الأهل في الانتظار. الكل في الانتظار. لم يتكفل الزمن بالنسيان.

في الحجرة العارية وقف. حاول التقدم لكنهم أجبروه على التراجع حتى سقط في بؤرة التقاليد. دار به المكان وهو يأخذ البندقية. الجدال لن يفيد. فليكن ما يكون.

***

الليل ستار كثيف والطريق ينحدر فجأة نحو المقابر. تحت شجرة التوت وقف وألقى بالسلام. المقابر الآن خلفه. لم تبق سوى خطوات. نقل البندقية إلى اليد الأخرى وحرك أصابعه. المسافة بين قدميه تموت.

وقف، وجال بعينيه في الظلام. البيت يقبع وسط عدة بيوت على قارعة الطريق. قشعريرة باردة تسللت من العنق وانتشرت في الجسد كله.

أمعن النظر، لن يترك الأمر للظروف، اقترب أكثر، النخلة العجوز تحنو على البيت والحجر الكبير مازال في مكانه.

تقدم، على أطراف أصابعه تقدم، طرق الباب ثم انزوى بسرعة في الظلام، قبض على البندقية وسحب الذراع فابتلعت الفوهة الرصاصة، انتظر، سمع صوت الصمت. مرة ثانية طرق الباب، حركة طفيفة في الداخل، ثم صوت يحمل آثار النعاس:

- من بالباب؟

الصوت نفسه. لم يتغير برغم السجن. ابتلع ريقه، وارتعشت أصابعه وهو يقبض على البندقية.

تمنى لو أنه فتح الباب دون سؤال.

- من الطارق؟

عالية رهيبة اخترقت الباب الموصد. تجمدت أنفاسه. غرقت أصابعه في العرق. مضت لحظات، سمع بصعوبة صوت أقدام متلصصة تتحرك داخل الدار. تراجع للخلف قليلا. لم يفتح الجبان الباب. أقتله غدا في السوق في وضح النهار.

فجأة أرهف أذنيه. صوت حفيف يأتي من السطح. ضاقت عيناه وهو يخترق بهما حجب الظلام. تشبث بالبندقية. لتهدأ يا أبي في قبرك الليلة. النذل في الطريق إليك.

وعندما حملت الريح صوت قطار دوى طلق ناري، اهتز الرأس بعنف، شيء كالنار اخترق الرأس. يد خبيرة أودعت الرصاصة بين الحاجبين.

شعر الولد بأطرافه تتثلج وريقه يجف. الكلب انتصر أيضا هذه المرة. أفلت البندقية وهرول ليستند على جدار. لم يصدق أنه القتيل.

صوت الدويّ مازال يطن في رأسه. تحامل حتى لا يسقط. صرخ:

- قتلت..

تحول الجسد إلى هم ثقيل لا تتحمله الساقان. تساقطت بعض قطع الجير والطين عندما أنشب أظافره في الجدار وهو يهوي. حاول رفع رأسه. عبثا حاول رفع رأسه.

اختلط صفير الريح بصفير «الخفراء». فركت القرية عينيها وفارقها النعاس. تعابقت الأقدام فوق التراب حيث القتيل. بين الأقدام اندست الكلاب الصغيرة والغلمان. على ضوء القمر الشاحب رأى الولد وجه العم. ابتلع القتيل ريقه بصعوبة وقال:

- لقد فشلت ولكنك لن تفشل يا عماه. قل.. إنك لن تفشل يا عماه.

مسح العم على رأسه وهو يحبس دموعه.

أضاف الولد:

- لن تهدأ روحي حتى تأخذ بثأري، سأنتظره في قبري كل مساء، كل مساء، كل مسـ... ثم سكن.

صندوق الدنيا

د. صلاح يحياوي

كان أطفال ما قبل النصف الأول من هذا القرن يُهرعون كلما رأوا صاحب صندوق الدنيا يأتي حاملاً صندوقه فيلتفون من حوله ويواكبونه حتى يصل إلى الركن المعهود حيث يضع الصندوق، وكانوا يتدافعون متسابقين ليجلسوا على المقعد الخشبي الذي يضعه صاحب الصندوق أمام صندوقه، والذي يتسع لجلوس ثلاثة أطفال فقط يُلْصق كل منهم وجهه على زجاج الفرجة المجسّم منتظرًا أن يرفع صاحب الصندوق الستار الحاجب بعد أن يدفعوا له بقروش معدودة.

ويقف صاحب الصندوق خلف صندوقه، ويرفع الستار ويبدأ بتدوير عودين شاقوليين متوازيين يبرز رأس أحدهما من فتحة في الطرف الأيمن العلوي من الصندوق وقد لفّ عليه شريط من صور ورسوم تعرض مواقف حاسمة لمعارك ولشخصيات تاريخية، كما تعرض مواقف من قصص مثقفة هادفة كقصة **المغفل والمحتالَيْن**، وقصة **الأسد ومجموعة الدببة**، وقصة «**هذا في رأس المعتصم**».

ولا يقف صراخ الأطفال وصياحهم إلا عندما يبدأ صاحب الصندوق بالكلام قائلاً:

ـ يا سادة يا كرام سأعرض عليكم الآن قصة **المغفل والمحتالَيْن**. ترون الآن المغفل مستلقيًا في ظل شجرة مريحًا رأسه على صرة تحوي ما لديه من مال وغذاء، مغمضًا عينيه.

ويدير صاحب الصندوق العود فتظهر أمام أعين النظارة صورة أخرى لوضع آخر تظهر **المغفل** في وضعه السابق وتظهر **المحتالين** يقفان بالقرب منه، ويتابع صاحب الصندوق الكلام قائلا:

ـ يحاول المحتالان سرقة صرة **المغفل**، فيقول أحدهما للآخر على مسمع من المغفل:

«لنحفر خلف الشجرة ونضع الكنز في الحفرة ونطمره بالتراب».

فيقول الآخر:

«ولكن كيف نفعل ذلك وهذا الرجل راقد هنا ؟!».

فيجيبه الأول:

«إنه غارق في سبات عميق. وكي نتأكد من ذلك نَحْفرُ خلف الشجرة ونطمر الكنز ثم نأتي إلى الرجل نسحب صرته من تحت رأسه فإن بقي في سباته نذهب مطمئنين».

ويدير صاحب الصندوق العود فتظهر صورة المحتالين يحفران خلف الشجرة، وصورة المغفل مستلقيا يحدث نفسه قائلاً:

«سأتظاهر بالسبات وليأخذا الصرة، أما أنا فسأفوز بالكنز».

وفي صورة أخرى يسحب المحتالان الصرة ويذهبان مسرعين، وتأتي بعد ذلك صورة المغفل يحفر خلف الشجرة ويخرج صرةً يفتحها فيجد فيها مخ حمار.

ويعلن صاحب الصندوق انتهاء العرض الأول وابتداء عرض جديد للراغبين الدافعين للقروش.

وفي العرض الجديد يحكي صاحب الصندوق للمتفرجين حكاية **الدببة وسيد الوحوش الأسد** قائلا وهو يعرض الصور الواحدة تلو الأخرى، بادئًا بصورة دببة أربعة ذات فرو أبيض اللون ودب أسود الفرو ماثلة أمام سيد الغابة

ـ في أحد الأيام جاع الأسد، فبحث عن فريسة فلم يجد سوى مجموعة الدببة، فاقترب منها محييًا فردت التحية ماثلة، ثم قال:

«أنا أقدر فيكم تعاضدكم ولكنني أرى عدم انسجام في مجموعتكم، فأنتم ذوو فرو أبيض، أما الشاذ بينكم فهو ذاك الأسود الفرو، وأنا أرى أن أخلصكم من شره بأن آكله».

صمت الجميع مذعورين. فعاجل الأسد الدب الأسود بضربة على رأسه ثم أطبق بفكيه على عنقه حتى سكنت أنفاسه، فسحبه إلى عرينه ليقتات به هو وأشباله.

ومرت أيام شعر الأسد بعدها بالجوع، ولم يجد ما يأكله، فما كان منه إلا أن توجه إلى مجموعة الدببة، وحيا ثم قال:

«أنا معجب بكم لتآلفكم، وأنا لا أبغي إلا الخير لكم، لكنني أرى بأن حقيقة ناصعة قد غابت عنكم، وهي أن كبيركم هذا قد تقدم به العمر، وغدا عالة على الجميع، لذلك فقد قررت إراحتكم منه، وسيكون فريستي المقبلة».

خيم الصمت على الجميع ولم ينبسوا ببنت شفة، إلا أن كبيرهم قال بصوت سمعه رفاقه:

«لقد أُكلْتُ يوم أُكِلَ الدب الأسود».

وفي عرض آخر روى صاحب الصندوق قصة حداد المعتصم قائلاً بعد أن رفع الستارة عن صورة **حصن بيزنطي** يحاصره جنود المعتصم، وعن جزء من معسكر المسلمين حيث خيام الحدادين من صانعي السيوف:

يا سادة يا كرام طال حصار جنود المعتصم **للحصن البيزنطي** دون أن يتمكنوا من فتحه، وقد أخذ التبرم ينتاب بعض الجنود، فأرسل **المعتصم** عيونه لاستكشاف الوضع، وبعد أيام عاد أحدهم إلى **المعتصم** وقال له:

ـ يا مولاي. هناك أحد الحدادين الذين يصنعون السيوف في المعسكر يقول بصوت مرتفع مع كل طرقة يطرق بها الحديد المتوهج: «هذا في رأس **المعتصم**».

استدعى **المعتصم** الحداد فسيق إليه فسأله عن السبب الذي يدعوه لقوله ذاك، فأجابه الحداد:

ـ يا مولاي. طال حصارنا للحصن دون جدوى مع أن الأمر في غاية البساطة، ويجب ألا يخفى عليك، أن هذا الجزء الأسود في منتصف السور ما هو إلا فاصل خشبي طلي باللون الأسود، وما على الجنود إلا أن يرموه بسهام متأججة ليحترق الخشب وينهار السور».

وهذا ما تم، وهكذا فتح الحصن.

كان صاحب صندوق الدنيا يعتاش بتسلية الأطفال وتثقيفهم. وكان هناك في كل بلدة عدد من أصحاب الصناديق يتناسب مع سعة البلدة. لكن التقنية الحديثة جعلت فرجات صندوق الدنيا في كل مكان في العالم. أما صاحب الصندوق فيعرض ما يحلو له من دار للبث التلفازي، يعرض عجائب وغرائب

حية على جماهير المتفرجين صغارًا وكبارًا. وتضاعفت أعداد المتفرجين وتقلص عدد أصحاب الصناديق حتى احتكرها اثنان، يعرض كل منهما وجهة نظره في كل شيء، ويدعو للأخذ بها، ويسفه وجهة نظر الآخر. وظل الأمر كذلك إلى أن دق ناقوس الخطر في العالم الجديد في أوائل العقد الماضي منذرًا بخطر داهم سيجتاح البلاد والعباد في أول العقد التالي. إنه خطر كسادٍ اقتصادي عميم لا مندوحة عنه استقرأه المستقرئون الضليعون من العلم. وهكذا شرع المختصون والدارسون يقلبون الأمر على جوانبه واستخدموا الحواسيب يلقمونها بالمعلومات لحل المعضلة، ونشروا خريطة العالم على مناضد مستديرة وتحلقوا حولها، منضدة اقتصاديين ومنضدة عسكريين ومنضدة علماء نفس ومجتمع... إلخ.

وأخذ كل مختص يحاول تطبيق المعطيات واستخلاص النتائج، وفي نهاية المطاف أجمعوا على استغلال الفرص.

قال لهم الحاسوب: «عليكم بأثرياء العالم فهم المفتاح إلى حل الأزمة، أشعلوا نار الفتنة بينهم فيقتتلون ويشترون منكم السلاح بأموالهم الطائلة، وبذلك تدور عجلات صناعتكم، وكلما خمدت نار الفتنة أضرموها سعيرًا».

بدأوا في سبيل ذلك بتوظيف العملاء والسذج والمغفلين والمغلوبين على أمرهم. كما استعانوا بصندوق الدنيا، واختلط الأمر على المتفرجين.

من البطل، ومن الساذج، ومن المغفل، ومن العميل، ومن المغلوب على أمره؟ فالأدوار يتبادلها الممثلون.

البطل في مكان هو ساذج أو عميل أو مغلوب على أمره، أو مغفل في مكان آخر.

ورافق التمهيد للتخلص من أزمة الكساد المقبلة تدهور سوق مالية في بلد ثري.

وحل الدمار والخراب وحلت الفجائع بين المقتتلين، وأفل عقد وبدأ عقد جديد، واشتدت أزمة الكساد، فأشار الحاسوب عليهم بأن الحل كامن في توسيع رقعة الاقتتال بين الأثرياء.

وسد صاحب الصندوق الطريق على أية وساطة لإيقاف نزيف الدم والمال، وشمر عن ساعديه قائلاً:

- سأضرب عدوكم بسلاح تدفعون ثمنه.

وأفرغ ترساناته من قديم الأسلحة وجرب حديثها على ما غدا خرائب من الهجمة الأولى.

وقتلت الدجاجة التي كانت تبيض ذهبًا، وعرضت أرقام مبيعات بالبلايين تبشر بانتهاء أزمة الكساد.

ولكن الأزمة لم تنته. وأعلن مصرف عالمي فيه ودائع الموسرين عن إفلاسه، وأخذ صاحب الصندوق يفكر في فصل آخر باحثًا عن أثرياء آخرين عله يحل الأزمة المستعصية!

وأفلس صاحب الصندوق المنافس وتقطعت أوصاله ليغدوا أجيرًا!

أين رسلك يا معتصم؟! ألم يخبروك بأن نغمة جديدة يعزفها المتعصبون تنتشر بسرعة، مبشرة الأتباع بأن البذرة التي غرسوها ستغدو شجرة باسقة كثة وارفة الظلال، وستغطي أغصانها المنطقة بأكملها؟!

«هذا في رأس المعتصم!».



شهر الصوم والبركات



في كل عام يهل علينا شهر رمضان المبارك بعد تطلع لاهف لمقدمه وأشواق المسلمين تتزايد كلما قرب موعد طلوع هلاله، فهو شهر مبارك، ومطمع كبير لكل مسلم مؤمن يشعر بجملة أعباء وتراكمات من الأخطاء والذنوب، من تجاوزاته الدينية والأخلاقية حتى في تعامله مع الناس قريبهم والبعيد، وذلك من خلال مشاغله وانشغاله عن واجباته الروحية وروابطه العائلية والتزاماته الإنسانية.

فالإنسان مع ذلك كله لا يعي مخالفاته، ولا يصغي إلى تأنيب الضمير الذي يشاغل تفكيره. فتيار الحياة الجارف يلهيه عن كل النوازع الخيرة ويجذبه إلى الانحرافات الفطرية اللاهية العاجزة عن التحكم في كوابح النفس البشرية. ولكن من نعمة الله على المسلمين كافة، أن جعل هذا الشهر الكريم مصدر عطاء روحي، وملهم رخاء إنساني، وموقظًا للنفوس من غفلتها السادرة، فالمرء عندما يحل شهر رمضان المبارك يتذكر أقاربه وأصحابه ويحن إلى ذكرياته ومراتع صباه التي كانت تقترن بها الأفراح بالأعياد والاحتفالات بأيام الصيام. فهي ذكريات خالدة، وهي في الوقت نفسه ترسيخ للقيم الدينية التي تربى عليها المرء منذ ترعرع في أحضان الفطرة السليمة، وإرشاد إلى القيم من قبل والديه حين عوّداه فعل الخيرات، وصرف الزكوات، وبذل الحسنات للمستحقين في مثل هذه المواسم الخيرة والمناسبات المباركة، مع ما يزامنها من الصوم وإقامة الصلوات إحياء لليل ومواصلة للعمل في النهار، برغم ما يحسه الإنسان من ألم الجوع في أيام الصوم المباركة احتسابًا للتوبة، والتزامًا بأداء الركن الرابع من أركان دينه الحنيف، وامتثالاً لأمر ربه سبحانه وتعالى، واقتداء بتعاليم نبيه محمد ﷺ. فهو شهر كريم حافل بأفعال الخير، ومروض للنفس طاعةً للخالق سبحانه وتعالى، ومربٍّ للنفس، ومهذب للأخلاق، وطاردٌ الشُّح بما يبذل من زكوات، ويعطى مَن صدقات، ويوزع من مأكولات. كل ذلك مقترن بهذا الشهر المبارك، ومحيٍ للسنن، ومقنّن للعلاقات، ورادعٌ عن الشهوات، وممتن للصلات مع الأقارب والأرحام، ومطمع كلّ راغبٍ في التحلل من الأثقال، ومصدر إلهام للإقلاع عما تراكم من آثام ومخالفات وغلواء تعرض الإنسان لأشد العقاب في آخرته ودنياه.

فمرحبا به من شهر كريم ومبعث حب وخير عميم.

صالح عبدالعزيز السالم

شاعر من الخليج العربي:

جعفر بن محمد الخطي

بقلم: عبد الله أحمد الشباط

يُعدّ الشاعر أحد أعلام الشعر والأدب في القرن الحادي عشر الهجري، اسمه جعفر بن محمد بن حسن الخطي من بني عبد القيس، والخطي نسبة إلى الخط وهو الاسم التاريخي القديم لمنطقة القطيف حيث ولد الشاعر في إحدى قراها، ولم يذكر المؤرخون سنة ميلاده، أما وفاته فكانت سنة ١٠٢٨هـ.

ذكره البلادي في كتابه (أنوار البدرين) فقال:

«كان ـ رحمه الله ـ من الأدباء الكاملين والشعراء المفلقين وله يد في العلوم، إلا أن الشعر غلب عليه»(١).

كما ذكره ابن معصوم في (سلافة العصر) وقال عنه:

«ناهج طرف البلاغة والفصاحة، الزاخر الباحة، الرفيع الساحة، البديع الأثر والبيان، تقف بالبراعة قداحه، واردًا على المسامع كؤوسه وأقداحه، فأتى بكل مبتدع مطرب، ومخترع في حسنه معرب، ومع قرب عهده فقد بلغ من الشهرة المدى.

وسار به من لا يسير مشمّرًا ... وغنى به من لا يغني مُغرّدًا

وقد وقفت على فرائده التي كملت..»(٢).

وذكره المحبي في (نفحة الريحانة) فقال: (٣)

«الخَط والخِط للخطي وهذا من الجناس الخطي، فآثار قلمه زينة الصحائف، وأخبار أدبه حلية التحائف، وهو أحد الجلة المشاهير، وأوحد أولئك الجماهير، وله في البحرين حديث فاح أريجه، وتدفق بالثناء نهره وخليجه..».

وقد ذكر مؤرخوه أنه كثير السفر والترحال والتنقل بين القطيف والبحرين والعراق وإيران حيث التقى بالعديد من الأدباء والشعراء في كل قطر من هذه الأقطار مما جعله على إلمام تامّ بأحوال البلاد المجاورة من حيث الثقافة والأدب ورواج الشعر، مع تمسكٍ بلغته العربية الفصيحة واعتزازٍ بعروبته، فقد اصطدمت به إحدى الأسماك وتسمى (السبيطة) فشجت رأسه فقال:

برغم العوالي والمهندة البتر ... دماء أراقتها سبيطية البحر
ألا قد جنى بحر البلاد وتوبلي ... عليّ بما ضاقت به ساحة الصدر
فويل بني سن بن أفصى وما الذي ... رمتهم به أيدي الحوادث من وتر

وله في المديح شعر يسمو عن الزلفى فهو يمدح الشخص مهما كان مقامه بما فيه من خصال الخير والمنعة والبطولة كما في قوله يمدح وزير البحرين محمود ابن نور الدين بمناسبة عيد الفطر في قصيدة يقول في مطلعها:

ماذا يفيدك من سؤال الأربُع ... وهي التي إن خوطبت لم تسمع
سَفَهٌ وقوفك في رسوم رثة ... عجماء لا تدري الكلام ولا تعي
فذر الوقوف على مخافي منزل ... عافٍ لمختلف الرياح الأربَع
وامسك عِنان الدمع من حوبائه ... في دمنة لم تحمدَنْك ومربع
الله جارك هل رأيت منازلا ... عطلت فَحَلّتْها عقود الأدمع

وهو رغم ذلك شديد الاعتزاز بنفسه حيث يقول في قصيدة أخرى يعارض بها البهاء الحارثي:

جهلت على معروف فضلي فلم يكن ... سواه من الأقوام يعرف مقداري
على أنه لم يبق فيها أظنه ... من الأرض شبر لم تطبقه أخباري

وينحو شاعرنا نحو القدماء في ابتداء قصائده بالغزل.. إلا أنه أحيانا يشط عن هذا المضمار فيقول من قصيدة غزلية تعبر عن مكنونات نفسه وخفقات فؤاده:

جد بالبكا إنّ الخليط مقوض ... فمصرح بشكاتهم ومعرض
مَنْ ناشِدٌ لي بالعقيق حشاشة ... طاحت وراء الركب ساعة قوضوا
لم تلو راجعة ولم تلحق بهم ... حتى وهت مما (تحس) وتقبض (٤)

لكنه عندما يتَلَفّتُ حوله يريد العون والنصرة لا يجد له ملجأ إلا الله جل جلاله.. فهو الناصر والمعين وإليه المآب في الرخاء والشدة.. لذا نجد شاعرنا يرفع أكف الضراعة ويتوجه إلى خالقه بهذه المناجاة:

مولاي لو قرع امرؤ باب امرئ ... بيد الرجاء وآب بالخسران
لرحمته وذممت ذاك لبخله ... والبخل قلت سجية الإنسان
فعلام أرجع خائبا من بعد ما ... تعبت يداي وكلَّ مني لساني

والخلاصة أن هذا الشاعر المفوه الذي احتل مكان الصدارة في عصره لم يجد من عناية الدارسين ومؤرخي الأدب ما يستحقه من العناية والدراسة التي تجلو غبار السنين عن ديوانه الذي لا يزال في طي النسيان.

إن ما كتب عن الشاعر جعفر الخطي لا يعدو مقتطفات قصيرة لا تتناسب مع مكانته بوصفه شاعرًا يستحق كل تقدير وإعجاب.

الهوامش

(١) أنوار البدرين ص ٢٨٨.
(٢) سلافة العصر ص ٣٢.
(٣) نفحة الريحانة ص ٢٠٤/٣.
(٤) كلمة (تحس) من وضع المؤلف.

يونس إمره.. امرؤ القيس التركي

بقلم: أ. د. فكتور الكِك

إذا كان النَّثرُ في تراث تركيا لا يرقى، في صورته الفنيّـة، إلى أبعد من القرن التاسع عشر، إلاَّ في ما نَدَرَ من فرامين السلاطين وروايات الرّحالة، فإنَّ الشعر في تراث الأتراك بعيد العهد متقادم الميلاد يعود لألف سنة خلت.

بصورة عامة، يُقسم الشعر في تركيا إلى نوعين: شعر البلاط الكلاسيكي أو شعر «الديوان» كما يشير إليه الأتراك؛ والشعر الشعبي، وهو تطوُّرٌ لشعرٍ قبليّ قديم جدًا يعود إلى تراث ما قبل الإسلام في بلاد الطُّورانيّين.

و إذا كان شعر « الديوان» يتّسم بالجمود والرصانة والنُّبل في المعاني والتعابير والأساليب التعبيرية المقرَّرة، وببيان لا ينـاله إلاَّ الراسخون في العلم، ولا سيما علم العـربية والفـارسية، فإنَّ شعـر الأغنيـة الشعبية ينبع من حيـاة الشعب. لذلك نشأ من حاجة الشعب إلى تنفيس كرْبه أو التعبير عن فرحه، بلغة بسيطة قريبة من الأفهام.

هذا الشعـر الشعبي اقترن بالغنـاء والموسيقى وتنقُّلِ مبدعيـه من مكان إلى آخر ليكون، عفويًّـا، صوت الشعب. ولا يـزال ممثلو هذا الإرث التليد أحياء في تركيا اليوم يُرزقون.

وقد غنَّى هـذا الشعر إيمانـه بالله، والحبَّ العُـذريّ، وبطولات الحروب. ومن خـلال هـذه المحـاور حـارب الاستبـداد والتعصّب وعـدم التسـاهل في المجتمعات التركيـة. وقد دّونـه الناس في قلـوبهم وحوافظهـم، خلافًـا للشعر الكلاسيكي الذي حفظته الدواوين المكتوبة في أوراقها وقراطيسها الجامدة.

من هنا حفل الشعـر الشعبيُّ في تركيا بحكمة الشعب وتجاربـه لا بحكمة أفراد يعيشـون في أبراج عاجية وينظـرون، وعرف أصحابه بـالحكماء يخلدون في التاريخ الحدثان وينطقون بلسان كل إنسان!

وقد اخترنا واحدًا من أبرزهم احتفت **اليونسكو** بمرور سبعة قرون على بروز عبقريته، منذ تسع عشرة سنة، هو **يونس إمْره** رمز الشاعر الشعبي في تركيا.

تعريف

يونس إمْره ملأ تركيا القـرن الثالث عشر الميلادي شعرًا وغناء (*). نثر عمره، يومًا يـومًا، على شعاب الجبال والقرى، وقطع الأودية السبعـة مصعِّدًا مغوِّرًا، يُمنـاه والعصا تـوأمـان! يسراهُ وكشكول الشعـر صِنـوان لا يفترقان، ومن فيـه الذهبي فاضت أغنيات دهـرية ردَّدها نايُ الظَّاعنين، قرنًا بعـد قرن، وتردِّدها اليوم حناجر الشعب في تركيا متمثّلين، مغنين، راقصين.

يونس إمره: حيٌّ في وجدان بني قومه، تمردت كلماته النابضة على الدفاتر. وتساءل النـاس كثيرًا: تُرى، أكـان يونس مجنونًـا؟ نعم! كان مجنـونًا، أي غير عاديّ، أصابته نعمة الجنون الحقيقي متجاوزًا جنون «العامريين» المجازي.

نموذج من شعره

نشيدُ الحُبّ

بلادَ الله جُبتُ، فذبتُ،
وجرحُ الدَّهرِ ينزفُ من جَناني!
أمجنونٌ؟ حكيمٌ؟ ما عَجِبْتُ:
هوَ العشقُ المبرِّح قد براني!
نسيمُ الصُّبح، أم عَصْفُ البوَادي؟
غبارُ السَّهلِ، أم غيثُ الغوادِي؟
أنا الرَّعدُ المدوِّي في البلاد:
هو العشق المبرِّح قد براني!
بوادي السِّـرِّ، أو فوق الرَّوابي
لغاتُ الأرض تصرخ من إهابي:
أحبائي! غريبٌ، يا صِحابي..
هو العشق المبـرِّح قد برانـي!
وقلبـي ثُمَّ جرحي يبكياني.
أعينيَّ، بدمع أغرقاني!
أرفقًا، أم تباريح الهوانِ؟
هو العشق المبرِّح قد براني!
ويونس في ظلام الموت يسْعى،
تَقاذَفُنـي ميولُ النفس دَفْعًا،
قطار الجسم خفضًا ثُمَّ رَفْعًا:
هو العشقُ المبرِّح قد براني!

الهامش

(*) جل نعرفه عن يونس أنه عاش في القرن الثالث عشر الميلادي. ولد في أسرة فلاحين وقضى عمره شاعرًا ظاعنًا يطوف أرجاء تركيا، خلافًا لشعراء «الديوان» المستقرين في البلاطات. استخدم في شعره لغة بسيطة الأداء تداني لغة الشعب، مع أنه كان يعرف العربية والفارسية المسيطرتين على بيان شعراء البلاط.



د. عبد العزيز الخويطر



أيْ بُنَيّ

شعر: أحمد عبد السلام البقالي

« أهدى إليّ المفكر العربي الشيخ عبد العزيز عبد الله الخويطر وزير المعارف السعودي كتابه القيم « أي بني »، فرددتُ التحية الكريمة بهذه الأبيات : »

عَبْدُ العزيزِ الخُوَيْطِرْ على العُقولِ يُسَيْطِرْ
بِمَا غَدَا تحت عُنوان « أي بُنَيَّ » يُسَطِّرْ
مِنَ الجَوَاهِرِ تَشْفِي غليلَ كلِّ مفكِّرْ
بِسِحْرِ فِكْرٍ يُضِيءُ النُّهَى بِهِ وَيُعَطِّرْ
يُحْيِي جُذُورَ تَقَالِيدنَا لِتَنْمُوَ وتُثْمِرْ
بِرَسْمِهَا لِبَنِينا بصدقِ خَيْرِ مُعَبِّرْ
مُصَوِّرًا كلَّ مَا لاَ تراهُ عينُ المُصَوِّرْ
مِنْ عبقريةِ أجدادِنَا بِحُبٍّ مُؤَثِّرْ
كيْ لا تضيعَ ونَبْقَى بدونِ أصْلٍ يُبشِّرْ
بِمَا لَنَا من كنوزٍ في عالَمٍ متَغَيِّرْ
فاهنأ بموسوعةٍ، يا عبدَ العزيزِ الخُوَيْطِرْ
تَبْقَى مَدَى الدَّهْرِ تُحْيِي حَمَاسَنَا وَتُذَكِّرْ
شبَابَنَا بأُصُولٍ عريقةٍ وتبشِّر
بفجْرِ عهْدٍ جديدٍ مطهَّرٍ ومُنَوَّرْ

حافظ إبراهيم والقصة الشعرية

بقلم: د. جابر قميحة



حافظ إبراهيم

أحمد شوقي وحافظ إبراهيم (☆) وخليل مطران هم أبرز فرسان الشعر الثلاثة في أواخر القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين، وقد انفرد كل منهم بلقب اشتهر به على مستوى الوطن العربي: فشوقي هو أمير الشعراء، وحافظ هو شاعر النيل، وخليل مطران شاعر القطرين. وما نقدمه في هذه الصفحات لا يمثل دراسة في حافظ إبراهيم وشعره، فهذا ما لا يتسع له المقام، ولكنه بحث موجز غاية الإيجاز في علاقة حافظ إبراهيم بالقصص الشعري، وحظه من هذا اللون الفني، وتحديد موقفنا النقدي مما صاغه حافظ في هذا المجال إن وجد.

ولعل من أهم الدوافع التي حدت بنا إلى بحث هذا الموضوع في شعر حافظ هو ماكتبه أحد النقاد المعاصرين [١] من أن **حافظا** لو اتجه اتجاها إلى الشعر القصصي والمسرحي «لكان من شعره ثروة روائية باقية، لأنه تناول مآسي مصر الاجتماعية وأمانيها القومية، وسعيها للحرية وجهادها في القضاء على الاحتلال وفوزها بالاستقلال، ولأنه على قدرة بارعة في دقة الوصف، والقصة والمسرحية تعتمدان على الوصف، وهما من الأدب الوصفي، لا الأدب الإنشائي» [٢].

وهو رأي غريب حقا لأنه يصطدم بالواقع الأدبي لحافظ إبراهيم. ومن السهل أن نناقش هذا الرأي من وجهين:

الأول: أن القصة والمسرحية - وإن اعتمدتا إلى حد كبير على الوصف - يعتمدان أساسا على ملكة الإبداع والابتكار، والقدرة على التركيب والتعقيد، وإلا لجاز أن يكون كل شاعر بارع في الوصف قصاصا أو تمثيليا.

والأغراض الاجتماعية والقومية والسياسية التي طرقها حافظ لا يمكن أن تتخذ دليلا على قدرة الشاعر أو استعداده للون القصصي أو التمثيلي.

أما الوجه الثاني فهو أن الشعر القصصي والمسرحي يحتاج لثقافة واسعة ودراسة عميقة، وتذوق رفيع للأدب الدرامي العالمي. وهذا ما لم يتوافر لحافظ، وما كان حافظ بإمكاناته الفكرية والثقافية المحدودة الضيقة ليستطيع أن يضرب بسهم وافر في هذا المجال. وهو على هذا الاعتبار أعجز من أن يجاري «**أحمد شوقي**» في الشعر التمثيلي، أو يجاري **خليل مطران** في (القصة الشعرية) [٣].

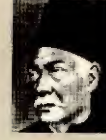
ولعل في انصرافه عن هذين الفنين خيرا كثيرا للشعر العربي ولحافظ نفسه، فعاش فائقا في الشعر القوميّ والشعر الاجتماعي والمراثي.

وقد اعترف الناقد **طاهر الطناحي** نفسه بهذه الحقيقة إلى حد مناقضته مقولته السابقة، فهو يرى أن «حافظا كان من طبعه الكسل، وكان يشكو عدم التشجيع، بل صادف في شبابه الكثير من التثبيط والإهمال والاضطهاد ومعاكسة المحتلين الإنجليز، فكان يكافحهم بقصائده الوطنية والسياسية، وبكى واشتكى لحظه العاثر، ثم شغله رثاء زعماء الوطنية والمجد الوطني عن أن ينصرف إلى أدب القصة والمسرح الذي يحتاج إلى الوقت الكافي والنفس الهادئة المطمئنة» [٤].

على أن قدرة حافظ على الوصف كانت محدودة المدى قريبة الأبعاد، فكان يعتمد في أغلب أوصافه على الرؤية البصرية اللاقطة، لا الرؤية الشعرية المستبطنة التي تتعمق إلى ما تحت السطوح الممتدة. وهذا ما تنبه إليه الأستاذ **أحمد أمين** إذ حكم على خيال حافظ بأنه كان «خيالا قريبا، قلّ حظه من الابتكار، وقلّ حظه من التصوير، وقصر خياله عن أن يغوص في باطن الشيء، فيصل إلى مكان الحياة منه، ثم يخرجه إلى الناس كما يشعر به، وقصر عن أن يحلق في السماء، فيصور منظرا عاما يجذب النفوس إليه» [٥].

شعر قصصي

ولكن ديوان حافظ لم يخْلُ من الشعر القصصي، وهو لا يشغل من ديوانه الضخم إلا صفحات قلائل، لأنه - كما ذكرنا آنفا - لم يكن يملك الأداة التي



لو اتجه للشعر القصصي لكانت إبداعاته ثروة روائية فذة..

تمكنه من أن يجعل من القصص الشعري غرضا شعريا يقف على قدم المساواة مع أغراضه الشعرية الأخرى التي بَزَّ فيها كثيرا من شعراء عصره.

ومن أشهر قصائده القصصية قصيدة «رعاية الأطفال» (٦) وقد استهلها الشاعر بقوله:

شبحًا أرى أم ذاك طيفُ خيالِ ... لا، بل فتاةٌ بالعراءِ حِيالي
أمستْ بمدْرَجة الخُطوب فما لَها ... راعٍ هناك وما لها من وَالي
حَسْرى تكاد تعيدُ فحمة ليلها ... نارًا بأناتٍ ذَكينَ طِوالِ
ما خطبُها عجبًا وما خطْبي بها ... مالى أشاطِرُها الوجيعة مالي؟

ويسألها الشاعر عنْ حالها فتخبره أنها حامل لم تَذُقْ «طعْمَ الغمض منذ ليالٍ» بعد موت أبيها وأمها وعمها وخالها.

فيحملها حافظ إلى دار «رعاية الأطفال»، حيث تجد قوما جبلوا على الرحمة الإنسانية والحنان. ويسهب حافظ في الثناء عليهم في أكثر من عشرين بيتا. ثم يختم قصيدته بقوله:

والمحسنون لَهُمْ على إحسانهم ... يوم الإنابة عشرة الأمثالِ
وجزاءُ ربِّ المحسنين يجلُّ عنْ ... عدٍّ وعنْ وزنٍ وعن مِكْيالِ

وإذا استسغنا عشرة الأمثال فإن الذي يصعب استساغته هو «العد» و«الوزن» و«المكيال»، هذه المعايير التي تصلح عنوانا أو عناوين لدرس حساب في المرحلة الأولى من التعليم. ولنغض الطرف عن هذه النثرية الدارجة في الأسلوب لنرى هذه الصورة الغارقة في المبالغة المضحكة:

فحملت هيكل عظمها وكأنني ... حُمِّلْتُ حين حَمَلْتُ عُودَ خِلالِ
أمشي وأحمل بائسَيْنِ فطارق ... باب الحياة ومؤْذِنٌ بزوالِ

نعم «عود خلال»، مع أن المرأة كانت حاملا في أيامها الأخيرة ولا أدرى كيف تكون صورة المرأة بعد أن تضع حملها، وينفصل عنها وليدها، فيخف «وزنها» عن ذي قبل. والبيت يذكرنا ببيت المتنبي المشهور:

كفَى بجسمي نُحولاً أنني رَجُلٌ ... لولا مُخَاطبتي إياك لم ترني (٧)

ولا جَرَمَ أنه من الظلم الفادح للفن أن نقوّم هذه القصيدة «بوصفها قصة شعرية»؛ فالطابع الغنائي غالب عليها، والأفكار معروضة بأسلوب تقريري مباشر، والخيال تسجيلي سطحي بصري، ليس فيه تحليق يشدّ المشاعر. وإن لم تَخْلُ من بعض الطوابع القصصية الناصلة.

وفي نفس الفلك تدور قصيدة قصصية أخرى هي «ملجأ رعاية الأطفال» (٨) وكذلك محاورة شعرية بينه وبين خليل مطران في حفل أقامته جمعية «رعاية الطفل» بدار الأوبرا المصرية (٩).

يقول أحمد أمين عن حافظ: «لقد حاول أن يوجد بخياله قصة، ولكنها خرجت قصة عرجاء، تتخلّج على الأرض، ولا تسبح في السماء، قريبة المنال، مضحكة التصوير» (١٠).

ويعني مقدم الديوان «القصة» التي استهل حافظ بها مِدْحته للبارودي(١١). وفي مستهلها يقول:



البارودي



أحمد أمين

وفتّانةٍ أوْحَى إلى القلبِ لحظُها ... فراح على الإيمان بالوحْي واغتدى
تيممتها والليلُ في غيرِ زِيِّهِ ... وحاسدُها في الأفْق يُغري بي العِدا
سريْتُ ولم أحذرْ وكانوا بمرصدٍ ... وهل حذرت قبلى الكواكبُ رُصَّدا؟

واستطاع العاشق أن يتخطى الأحْراس من قوم حبيبته، وقد شعروا به، ولكنهم تظاهروا بالنوم حفاظا على حياتهم أن يوردها موارد الهلاك. وتعجب حبيبته من شجاعته الخارقة، وتزيد إعجابا به وحبّا له، فتميل عليه لتغريه بفتنتها.

وهنا يلتفت حافظ بشعره إلى أستاذه «**محمود سامي البارودي**» فيقول:

أهمّ كما همّتْ فأذكرُ أنّني ... فتاكَ فيدعوني هُداكَ إلى الهدى

وينطلق بعد ذلك إلى مدح البارودي بعشرات الأبيات.

قصيدة قصصية

ونلاحظ على هذه القصة الشعرية ـ أو بتعبير أدق هذه القصيدة القصصية ـ عدة ملاحظات أهمها:

١ ـ أن الشاعر لم يقصد بها «القصة» لذاتها، ولكنه اتخذ من ذلك «توطئة» لمدح البارودي، فهي أشبه ما تكون بالغزل الصناعي الذي كان القدامى يستهلون به أشعارهم.

٢ ـ أن الشخصيات التي عرض لها الشاعر غريبة على الفكر والذوق. فأي نوع من الرجال هؤلاء الذين يتظاهرون بالنوم خوفا من سيف الشاعر، ويفرّطون في أعراضهم بهذه السهولة.

ناهيك بصورة «الحبيبة» التي تعرض نفسها بهذه الطريقة المبتذلة. فمثل هذا اللون من النساء لا يستأهل ركوب الأخطار وتعريض النفس للنكبات.

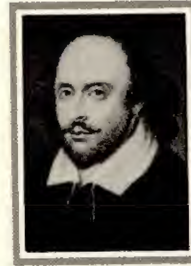
٣ ـ وفي النهاية نجد الشاعر متأثرا بقصة يوسف وامرأة العزيز مقتبسا قوله تعالى ﴿ ولقدْ همَّتْ بِهِ، وهمَّ بِها لوْلاَ أن رأَى بُرْهانَ ربِّه ﴾ (١٢).

٤ ـ وواضح أن «حافظا» قد تأثر بعمر بن أبي ربيعة، فالقصيدة تذكرنا بحكاياته ومغامراته في تخطي العقبات والأحراس وصولا إلى محبوباته، وخصوصا رائيته المشهورة التي مطلعها :

أمِنْ آلِ نُعْم أنْتَ غَادٍ فمبْكِرُ   غَدَاةَ غدٍ أمْ رائح فمُهجّـر (١٣)

وإن كان يفوق شاعر النيل في هذه الرائية فنا وصياغة وتصويرا، كما أنه صاغ قصيدته «قصة» من أولها لآخرها، ولم تكن تمهيدا لمدح أو غرض شعري آخر.


مطران


شكسبير

ولحافظ كذلك قصيدة قصصية بعنوان (**خنجر مكبث**) (١٤) وهي قصيدة مترجمة عن «**شكسبير**» نظمها على لسان مكبث يخاطب خنجرا تخيله، حينما هم باغتيال ابن عمه «دانكان» الملك ليخلفه في ملكه، ويصف تردده أولا، ثم تصميمه بعد ذلك على تنفيذ ما أراد.

وله «منظومة تمثيلية» (١٥) نظمها الشاعر عقب ضرب الأسطول الإيطالي لمدينة «بيروت» انتقاما من الأتراك، وذلك في عهد نشوب الحرب الطرابلسية بين الإيطاليين والترك سنة ١٩١٢. والحوار في هذه «المنظومة» يدور بين جريح من أهل بيروت وزوجته «ليلى» وطبيب، ورجل عربي.

وقد خلت المنظومة من مقومات الشعر التمثيلي الأصيل، فالحوار فيها بطيء عليل، كما أنه عجز عن أن يبرز الخوالج النفسية لشخصياتها. وهي أشبه ما تكون بتمثيليات الأطفال التي ترمي ـ في بساطة وسهولة ـ إلى غرس قيمة وطنية أو أخلاقية سهلة مباشرة في نفوس الناشئة.

وفي رأيي أن (غادة اليابان) (١٦) هي أجمل قصائده القصصية، وقد حكى فيها الشاعر غرامه بغادة يابانية، وأشاد بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان في حربها مع روسيا. وقد صدَّرها الشاعر بهذه الحكمة :

لا تلُمْ كفِّي إذا السيفُ نَبَا   صَحَّ مني العزمُ والدهرُ أبَى
رُبَّ ساعٍ مُبْصرٍ في سعْيِهِ   أخطأ التوفيقَ فيما طَلَبَا

ويصوّر الشاعر موقف «الوداع الأخير» بينه وبين الغادة اليابانية التي أزمعت الرحيل إلى وطنها لتقوم بواجب الدفاع عنه :

قلتُ والآلامُ تفْري مُهجتِي   وَيْكِ ما تصنعُ في الحربِ الظِّبَا ؟

فكان جوابها :

أنا يابانيةٌ لا أنْثَنِي   عن مُرادي أوْ أذوقَ العَطَبَا

هل تأثر في قصيدته «فتاة اليابان» بفتاة الجبل الأسود لمطران؟

أنا إن لم أحسنِ الرمْيَ ولَمْ   تستطع كفَّايَ تقليبَ الظُّبَا
أخدُمُ الجرْحَى وأقْضِي حَقَّهم   وأُوَاسِي في الوغَى من نُكِبَا

والقصيدة ذات هدف وطني واضح، وقد ساقها الشاعر ـ كما قال ـ لأمته لتأخذ منها درسا وعبرة، في وقت كانت أحوج ما تكون فيه للجد والعمل والكفاح ولسواعد الشعب شيبا وشبانا فتيانا وفتيات.

و«**غادة اليابان**» تذكرنا بقصة «**فتاة الجبل الأسود**» لخليل مطران (١٧)، ولا نستبعد أن يكون «حافظ» متأثرا فيها بمطران في الموضوع والتناول، مع اختلاف في التفاصيل وبعض المواقف، وإن كان **مطران** أبعد من **حافظ** خيالا، وأعمق فكرا، وأدق تصويرا. على أن «**فتاة الجبل الأسود**» تمثل قصة استوفت كل عناصرها وخصوصا «العقدة» التي تكونت بتصاعد المواقف وتأزمها، وانتهت بحل طبيعي لا افتعال فيه. في حين تبقى «**غادة اليابان**» أقرب إلى «القصيدة القصصية» منها إلى «القصة الشعرية»، وإن كانت ـ في نظرنا ـ أرقى ما نظمه حافظ من شعره القصصي، كما ذكرنا آنفا.

وخلاصة ما نراه في شعر حافظ القصصي :

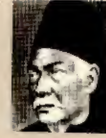
١) أن أغلب ما نظمه حافظ من هذا اللون يفتقر إلى المقومات الفنية للقصة الشعرية؛ إذ يعوزه دقة العرض والتعقيد وتعمق المشاعر الإنسانية، زيادة على أن الخيال فيه ساذج مقصوص الجناحين.

٢) أنه يغلب عليه الطابع الغنائي، وأغلب هذه المنظومات يمكن أن تنسب لشعر المناسبات، إذ اتخذها الشاعر ـ كما رأينا ـ تقدمات يخلص منها إلى مدح شخصية أو الثناء على مشروع اجتماعي، أو توجيه وطني بمناسبة حدث معين.

٣) أنه في كثير من هذه المنظومات كان تقليديا بحتا إلى حدّ «الامتصاص» الكامل ـ كما يقول علم النفس ـ وقد رأينا ذلك في القصة الغرامية المفتعلة التي خلص منها إلى مدح البارودي، فإن «عمر بن أبي ربيعة» يطل برأسه في كل بيت من أبياتها.

٤) وإذا أردنا أن نحدد مكان حافظ بين شعراء عصره في «مجال الشعر القصصي» فإننا نظلمه ظلما فادحا إذا وازنا بينه وبين عميد القصة الشعرية في العصر الحديث، خليل مطران، ونظلمه بعد ذلك إذا وازنا بينه وبين أحمد زكي أبي شادي منشئ «جماعة أبولو» (١٨٩٢ـ١٩٥٥) الذي نظم عددا من الأوبرات الشعرية مثل : «إحسان» و«أردشير» و«حياة النفوس» و«الزبّاء» و«الآلهة»، ونظم عددا من القصائد القصصية مثل «مملكة إبليس ـ أو جولة يوم» وأشهر من ذلك قصتاه «مها» و«عبده بك». (١٨) وكلها أنضج مما نظمه حافظ بكثير.

ولكننا نجد أن أشبه الشعراء بحافظ في الشعر القصصي موضوعات





أبوشادي



الرصافي

ومنهجا وفنا شاعر العراق معروف الرّصافي (١٨٧٥ ـ ١٩٤٥)، فله من القصائد القصصية: أم اليتيم ـ اليتيم في العيد ـ الفقر والسقام ـ الأرملة المرضع ـ أم الطفل في مشهد الحريق. ولكن الرصافي ينفرد دون حافظ بلون من الشعر القصصي الساخر الهادف، كما نرى في قصته الشعرية «أبو دلامة والمستقبل»[١٩].

٥) ولكن في غمار هذا النقد يجب أن نذكر شاعر النيل بالفضل في مطولته التاريخية عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وهي لا تخلو من الطوابع القصصية، لقد راح يتقصى المعاني الإسلامية والإنسانية خلف رجل من أبطال المسلمين هو ثاني الخلفاء الراشدين.

ومع أن «**حافظا**» ـ بإجماع الباحثين ـ كان متواضعا في خياله قليل الالتفات إلى التجارب الإنسانية الماضية، فقد سبق وحلق في التاريخ الإسلامي، ولو استمر في هذا الاتجاه، وعمد إلى درس التاريخ والرجوع إليه لراش التاريخ جناحيه، فطار كل مطار[٢١].

ولكن «**حافظا**» لم يلتفت للتاريخ التفاتة طويلة إلا في هذه القصيدة، مع أن الناس استقبلوا هذه المطولة استقبالا طيبا، ووعدهم الشاعر أن يقدم لهم قصائد من طرازها[٢٢].

ولـلأسف لم يبر **حافظ** بوعده، فهذا اللون يحتاج إلى قراءات طويلة مستوعبة، واطلاع واسع المدى، مما لا يتفق مع طبيعة حافظ واستعداده كما أشرنا من قبل.

ومن الفضل الذي يسجل للمطولة العمومية أنها كانت واحدا من أقوى الحوافز لكي ينظم محمد عبد المطلب مطولته عن «علي بن أبي طالب» كرم الله وجهه[٢٣]، وأن ينظم عبد الحليم المصري مطولته عن «أبي بكر الصديق» رضي الله عنه[٢٤].

وعودا على بدء نقول إن «حافظ إبراهيم» قد منح العربية عطاء ضخما بشعره الوطني، وشعره الاجتماعي، ووجدانياته في الرثاء بصفة خاصة، ولا يعيبه ألا ينظم «القصة الشعرية» بأبعادها وملامحها الفنية الدقيقة، فالشاعر ـ أيا كانت مكانته وبراعته الشعرية ـ غير مطالب ـ ضربة لازب ـ أن ينظم في كل الأغراض الشعرية، أو يكون كل إبداعه الشعري في الأغراض المختلفة على قدم المساواة في القوة والبراعة والإتقان.

الهوامش

(☆) ولد حافظ إبراهيم سنة ١٨٧١ بالقرب من ديروط بصعيد مصر، كان أبوه مهندسا وأمه سيدة تركية، مات أبوه وهو في الرابعة، فقضى حياة مضطربة في كفالة خاله، وبعد تخرجه في المدرسة الحربية بالقاهرة عين ضابطا بالسودان، ثم أحيل إلى الاستيداع لاتهامه في حركة تمرد على الإنجليز، وبقي فترة طويلة بلا عمل اقترب في أثنائها من الوجدان الشعبي، وعبّر عن آلام الأمة المصرية وآمالها، ثم عين في وظيفة بدار الكتب فقل إنتاجه الشعري أو ما ينشر منه. طبع ديوانه في حياته في ثلاثة أجزاء صغيرة (١٩٠١ ـ ١٩٢٢). ثم طبع بعد وفاته شاملا الكثير من شعره الذي لم ينشر في الطبعة الأولى. وله كتاب نثري باسم (ليالي سطيح) على أسلوب المقامات، كما ترجم رواية البؤساء لفيكتور هوجو عن الفرنسية.

انظر الموسعة العربية الميسرة ص ٦٨٥، دار القلم. القاهرة، ١٩٦٥م.

(١) طاهر الطناحي في كتابه: شوقي وحافظ ١٥٠ (دار الهلال. القاهرة ١٩٦٧).

(٢) من الأمور غير المقبولة والتي أساءت إلى النقد والأدب قديما وحديثا تحمس الناقد ـ أي ناقد لشاعره، ظنا منه أن «كماله الشعري» لا يتحقق إلا بالنظم في كل الأغراض والأجناس الشعرية ـ بالفعل أو بالإمكان ـ وهي نظرة أفقية سطحية، إذ لا يعيب الشاعر أن يفوته غرض أو أغراض، فالكم لا يمكن أن يكون معيار أفضلية. ولكن المهم أن يتوافر في الشاعر شرطان: أصالة الشاعرية من ناحية، والبراعة الفكرية والفنية فيما ينظم، ولو كان ذلك في غرض واحد أو غرضين.

(٣) لخليل مطران أكثر من خمسين قصة شعرية ناضجة، يطول نفسه في بعضها حتى يبلغ مئات الأبيات.

(٤) طاهر الطناحي: السابق ١٥٠.

(٥) أحمد أمين في تقديمه لديوان حافظ ٤٠ (بيروت ١٩٦٩).

(٦) ديوان حافظ ١/ ٢٧٥ وقد أنشدها حافظ في الحفل الذي أقامته جمعية «رعاية الأطفال» في دار الأوبرا المصرية في ٨ نيسان (أبريل) ١٩١٠.

(٧) ديوان المتنبي ٢/ ٢٩٢ (دار الزهراء ـ بيروت ـ ١٩٧٨)

(٨) ديوان حافظ ١/ ٢٨٣.

(٩) ديوان حافظ ١/ ٢٩٢.

(١٠) مقدمة الديوان ١/ ٤٠.

(١١) الديوان ١/ ٧.

(١٢) سورة يوسف/ ٢٤.

(١٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ٩٩ (بيروت ١٩٦٨).

(١٤) ديوان حافظ ١/ ٢٣٤.

(١٥) الديوان ٢/ ٢٩.

(١٦) ديوان حافظ ٢/ ٧.

(١٧) ديوان الخليل ١/ ١٧٩ (دار الهلال القاهرة ط٢ ـ ١٩٤٩).

(١٨) انظر: د. جمال الدين: خليل النيل وشاعر الشرق العربي ٤٠ (الدار القومية القاهرة ١٩٧١)، ومحمد مندور: الشعر المصري بعد شوقي: الحلقة الثانية ١٨ (معهد الدراسات العربية، القاهرة ١٩٥٧)، وأحمد زكي أبا شادي ديوان: الشفق الباكي ١٢٣ (القاهرة المطبعة السلفية ١٩٢٦)، وقصة «عبده بك» (القاهرة ـ المطبعة السلفية ١٩٢٦).

(١٩) راجع في ذلك ـ زيادة على «ديوان معروف الرصافي»، مصطفى علي «محاضرات عن معروف الرصافي» ١ ـ ١ (معهد الدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٥٣)، ومصطفى السحرتي وعبد المنعم خفاجي «معروف الرصافي شاعر العرب الكبير» ٣٠٦ (الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧١)، ومجلة أبولو المجلد الثاني: يناير ١٩٣٤ ص ٤٢٢.

ورفائيل بطي: الأدب العصري في العراق ٦٩ (المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٩٢٣).

(٢٠) ديوان حافظ ١/ ٧٧.

(٢١) د. كامل جمعة: حافظ إبراهيم ما له وما عليه ٣٠٨ (مكتبة القاهرة الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٠).

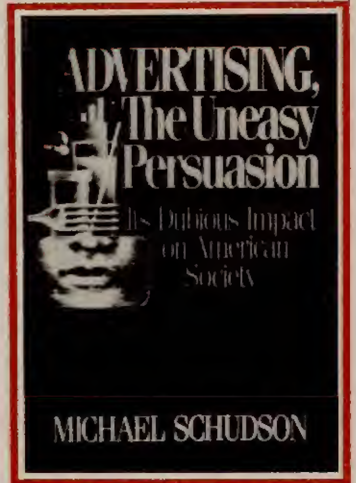
(٢٢) انظر السابق ٣١٥.

(٢٣) ديوان محمد عبد المطلب ٢٣٠ ـ ٢٥٠ (مطبعة الاعتماد القاهرة. د. ت). وقد أنشدها الشاعر يوم الجمعة ٨ من فبراير ١٩١٨ في حفل عام بمدرج وزارة المعارف بالقاهرة.

(٢٤) صحيفة الأفكار «(القاهرة ـ ٢٤ من مايو سنة ١٩١٨) وقد أنشدها الشاعر كذلك في حفل عام مساء ٢٣ من مايو ١٩١٨م.

الإعلان

مهمة الإقناع الصعبة



تأليف:
مايكل شودسون
عرض:
د. حمدي حسن

في عصر ما قبل الاتصال الجماهيري كان الإعلان أحد الأنشطة اليسيرة المعتادة في جنبات العالم القديم، حيث كانت صيحات المنادين الجوالين تتردد في جنبات دروب القرى القديمة تمتدح ما لديهم أو ما لدى من كلفوهم بذلك من بضائع. ويشهد لوح من الصلصال يرجع تاريخه إلى أكثر من أربعة آلاف عام أن الإعلان عن السلع قديم قدم النشاط الاقتصادي للإنسان.

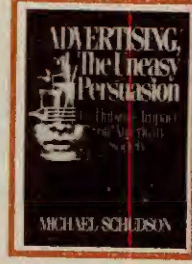
وفي عالم اليوم أصبح الإعلان صناعة ضخمة تستهلك نحو ٢٪ من إجمالي الدخل لأكبر دولة في العصر الحديث، ففي عام ١٩٩٠ بلغ إجمالي الإنفاق الإعلاني في الولايات المتحدة ١٤٠ بليون دولار ومن المتوقع أن يصل الرقم إلى ٤٢٠ بليون دولار بحلول عام ٢٠٠٠. وهكذا تحولت صناعة الإعلان من نظام يسير من المنادين والجوالين في إطار اقتصاديات محلية ضيقة إلى صناعة ضخمة شديدة التنظيم والتعقيد تقف ـ في الغرب ـ بتأثيراتها الاجتماعية إلى جوار المؤسسات التقليدية العريقة التي تشكل الحياة الاجتماعية في الغرب.

أهمية كبرى

«لا شيء سوى دار سك النقود يمكن أن يدر نقودًا بلا إعلان»، هذه العبارة للمؤرخ الإنجليزي توماس ماكولاي تعكس أهمية الإعلان في العالم الغربي، وهي أهمية تتزايد يوما بعد آخر في مناطق كثيرة من العالم حيث تتجه غالبية الدول نحو اقتصاديات السوق، وأصبحت هذه المقولة حقيقة ماثلة بالنسبة لوسائل الإعلام التي لا تستطيع البقاء دون إعلان، وفي مناطق كثيرة من العالم يصعب أن نتخيل وسائل إعلام بلا إعلان أو إعلانا بلا وسائل إعلام، فكلاهما نشأ في أحضان الآخر ويصعب عليه المسير دون الآخر.

حول تلك الصناعة الضخمة (الإعلان) وتأثيرها في المجتمع الأمريكي يدور هذا الكتاب في طبعته الثالثة لبرسم ملامح تلك الصناعة التي تستهلك من الأموال ما يتجاوز الدخل الوطني لمئة وعشرين دولة من دول العالم الحديث. وهي صناعة ترتبط أواصرها ارتباطا وثيقا بالأبعاد السياسية والاقتصادية والعسكرية للإمبراطورية الأمريكية الحديثة.

وعلى الرغم من أن الكتاب يعرض لتأثيرات الإعلان في المجتمع الأمريكي، إلا أنه يعترف بأن المجتمعات الأخرى لن تكون بعيدة عن مثل هذه التأثيرات حيث يقول: «إن بقية دول العالم تحاكي سريعًا ممارساتنا الإعلانية. وبحلول عام ٢٠٠٠م فإن كثيرًا من ممارساتنا الإعلانية سوف تكون هي المعيار في العديد من دول العالم. وبهذا المعنى فإن الولايات المتحدة سوف تظل مؤشرًا للتطورات المستقبلية للأنشطة الإعلانية في أجزاء العالم الأخرى». وبالفعل تشير الكثير من الدراسات إلى تلك الحقيقة، فالأرقام تشير إلى أن الولايات المتحدة سوف تستأثر وحدها بأقل قليلا من نصف الإنفاق العالمي في مجال النشاط الإعلاني مع بداية القرن الحادي والعشرين، وهو ما يعادل ضعف الإنفاق العالمي للدول الصناعية الخمس الكبرى، ويعادل ضعف إنفاق دول العالم الأخرى مجتمعة، وبهذا الحجم من الإنفاق الإعلاني سوف تتمكن الولايات المتحدة من صياغة أساليب الإعلان وممارساته في مختلف أنحاء العالم. وهو أمر لا يتضمن التأثير في الأنماط الاستهلاكية في مختلف



الإعلان

مهمة الإقناع الصعبة

الأسواق العالمية فحسب، ولكنه ينطوي على محاولة إيجاد أسواق إعلانية من خلال تطوير وسائل جماهيرية للإعلان في تلك الأسواق الجديدة.

الإعلان صناعة الرغبات

يرى بعضهم أن الوظيفة الأساسية للإعلان هي تقديم السلع إلى المستهلكين لدعم النشاط الاقتصادي غير أن الإعلان في واقع الممارسة لا يقوم بهذه الوظيفة وحدها، ولو أن الإعلان كان معنيا بتعريف المستهلك بالسلعة لقدّم له معلومات عنها وكفى، وهذا ما لا تكشف عنه الرسائل الإعلانية.

فالإعلان أكثر استخدامًا واهتمامًا بالقيم الاجتماعية والاتجاهات وأقل اهتمامًا واستخدامًا للمعلومات الضرورية عن السلع المعلن عنها، فالإعلان يظل ذا طابع إقناعي لا معلوماتي.

فالإعلان يستهدف صناعة رغبات جديدة لم تكن موجودة لدى المستهلك، ثم يسعى بعد ذلك إلى إشباعها. ولذلك فإن رغبات المستهلك تتشكل بناءً على أوامر المنتجين للسلع وليس بناءً على احتياجات المجتمع وأفراده، ولذلك تظل مهمة الإعلان في النهاية هي الإقناع وليس الإعلام.

وفي هذا الصدد يرى النقاد أن الإعلان يعمل بالطريقة نفسها التي تعمل بها الأسطورة في المجتمعات البدائية حيث يقدم للناس قصصًا وشروحًا يتم من خلالها نقل قيم ومثاليات يستخدمها الناس في تنظيم أفكارهم وخبراتهم وفهم العالم المحيط بهم، ففي كتاب «**الأسطورة الخفية**» ترى فاردا لونجهولز Varda Longholz أن الإعلان مثل الأسطورة يدعم صيغا مقبولة من السلوكيات والأفعال وهو بمثابة أداة للإقلال من التوتر وحل التناقضات في المجتمع. والإعلان يقدم حلاً يسيرًا للمآزق المستمرة في حياة الإنسان، فهو يثير القلق ويخفف منه في الوقت نفسه، ويذهب آخرون إلى القول إن الإعلان صيغة معاصرة من الكاهن القديم الذي تمكنه شخصيته المجهولة - كما يزعمون - من تقديم سحر جديد غريب لعلاج الآلام المألوفة في مجتمع معين وللإقلال من الطموح والمرارة والفشل والجشع والشهوة والوحدة أو إثارتها جميعا.

الاندفاع المتهور

يتعامل المؤلف في هذا الكتاب مع الإعلان بوصفه رسالة ثقافية شأن أي محتوى إعلامي آخر تنطوي على أبعاد أكثر شمولاً من إقبال الجمهور أو إحجامه عن شراء سلعة معلن عنها. فالافتراض الرئيس في هذا الكتاب هو أن الإعلان فضلاً عن حثه الجمهور على شراء سلعة معينة فإنه يعلم الجمهور الرأسمالية باعتبارها الشكل الملائم للنظام الاقتصادي والسياسي، ويعلمه أيضًا أن الاستهلاك صيغة ملائمة للسلوك السياسي والاجتماعي والاقتصادي، فالإعلان والتسويق جزء من المركب الثقافي للمادية يدافع كل منهما عن الآخر. غير أن شودسون يحذر من تلك الاندفاعات المتهورة نحو الاستهلاك والإنتاج، أو الإنتاج والاستهلاك؛ فالحياة والروح البشرية تتهددها الأخطار من كل صوب إذا ما انحصرت حياة البشر في الإنتاج والاستهلاك.

إن المؤلف في هذا الكتاب يهتم بالدور الذي

> ”الحياة البشرية تتهددها الأخطار إذا انحصرت حياة الناس في الإنتاج والاستهلاك“

يؤديه الإعلان في إيجاد ثقافة المستهلك والحفاظ عليها، ويرى أن الإعلان يمارس تأثيرا ضخما في نشر القيم المادية والثقافة الاستهلاكية، ومن ثم فهو يذهب إلى القول إن البيئة الثقافية الغربية التي يسهم الإعلان في تشكيلها هي بيئة غير صحية بالنسبة للأفراد على وجه الخصوص؛ لأنها تحمل هؤلاء الأفراد على التفكير والاهتمام بالاحتياجات الفورية والشخصية على حساب الاحتياجات الأخرى، وأنها يمكن أن تؤدي إلى تدمير محتمل لهذه الثقافة. ويرى المؤلف أنه على الرغم من أن الإعلان يعد أحد أوضح مصادر المعلومات في الثقافة الأمريكية وأنه ينطوي على تأثيرات بالغة في تنظيم رؤية الأفراد للمجتمع وترتيبها، إلا أن المعلنين والجمهور معًا يدركون أن الإعلان مخادع ومحتال. ولا يرى شودسون الخداع والاحتيال بالمعنى المعتاد، ولكنه يرى أن الإعلان يفتقر إلى الأصالة والخبرة الحقيقية؛ فالإعلان يوهمنا بأنه يقدم للمستهلك خدمة بينما هو في الواقع يقدم هذه الخدمة للمعلن. وحينما يعتمد الناس كثيرًا في معلوماتهم على مصادر تتسم بشيء قليل من الصدق فإن تأثير ذلك هو تولد مفهوم مجتمعي عن عدم الثقة يؤثر في السلوك الاجتماعي والسياسي. وبهذا تتعرض الثقافة للخطر مادام الإعلان لا يعلمنا بالضرورة أن نستهلك وإنما يعلمنا ألا نثق.

وعلاوة على ذلك فإن الإعلان يضع أمام المستهلك في الرسائل الإعلامية صيغًا مثالية من التجربة الاجتماعية التي يفترض المعلنون أنها صيغ ملائمة جدًّا لأغراضهم وجمهورهم، وهي صيغ لا يمكن للجمهور أن يجد في الواقع المعيش شيئًا مكافئًا لها. وهكذا فإن الخبرة التي لا يمكن الحصول على مكافئ لها في الواقع يمكن أن تدفع المستهلك إلى الإقلال من قيمة صيغ الخبرات الحقيقية التي هي عماد حياته. إن هذه النقطة تبدو في غاية الأهمية؛ فالعالم المثالي الذي تصوره الرسائل الإعلامية عالم يصعب وجوده في الواقع المعيش، وطالما ألح هذا العالم المثالي على خيال الناس من خلال طوفان الرسائل الإعلانية المتدفقة يوميًّا فإن الاضطراب أصبح ملازمًا لحياة الناس في مواجهة

واقع يختلف كثيرًا عن واقع آخر يعايشه على شاشة التلفزيون أو على صفحات المجلات والصحف.

الإعلان والثقافة ومصادر الخطر

يشير العديد من الدراسات إلى تزايد الدور الذي يؤديه الإعلان في المجتمعات الحديثة في تشكيل الثقافات. فالإعلان عن السلع الاستهلاكية أصبح أحد الأدوات المهمة في الاتصال الاجتماعي في المجتمعات الصناعية في هذا القرن. ذلك أن جزءًا كبيرًا ومهما من حديثنا اليومي المعتاد وسلوكنا أصبح يتعلق بالسلع الاستهلاكية وبما يمكن أن تفعله وتعنيه بالنسبة لنا. ويرى هؤلاء المؤلفون أن هذه الظاهرة لا تختص بها الثقافة الغربية وإنما أصبحت ظاهرة عالمية. فأولويات الاتصال الجماعي بين الناس لم يعد المجتمع يقررها باهتماماته واحتياجاته وإنما تقرر هذه الأولويات اهتمامات الهيئات والشركات المعلنة واحتياجاتها.

ويحذر المؤلف من سيطرة الإعلان على وسائل الإعلام، فحيث يعتمد النظام الإعلامي الغربي بشدة على العائدات الإعلامية من أجل البقاء فإن الثقافة الغربية تهددها المخاطر حيث تظل مركزية وسائل الإعلام في أيدي قلة قليلة قوية، ولهذا فإن سوق الأفكار الحرة تتعرض للخطر ما دام أن ما تطرحه وسائل الإعلام من أيديولوجية تحددها هذه الفئة القليلة.

وحول هذه النقطة يرى جون جالبريث أن التطور في صناعة الإعلان والتسويق ينطوي على معنى معاكس للمفهوم الليبرالي بشأن السوق الحرة. فالفلسفة الليبرالية ترى أن المستهلك هو القوة المسيطرة على السوق، وهو الذي يفكر فيما هو متاح، وهو الذي يختار ما الذي يلبي احتياجاته، ولذلك فإن قرار المستهلك هو الذي يرشد منتج السلعة في اختيار ما ينتج وما لا ينتج.

وهكذا تختفي السلع والمنتجات التافهة وغير الضرورية بينما تبقى السلع النافعة والمفيدة، ويرى جالبريث أنه في ظل الواقع الراهن فإن السيطرة على السوق انتزعت من أيدي المستهلك لتوضع في أيدي الشركات التجارية التي تراعي مصالحها أولاً وليس مصالح المستهلك، ومع ذلك فإن المستهلك يشتري هذه المنتجات لأنه تعلم من الإعلان بطريقة مضللة أن هذه المنتجات سوف تفي باحتياجاته الحقيقية أو تفي باحتياجات لم يكن المستهلك حتى وقت تعرضه للإعلان يدركها أو يعرف عنها شيئًا، وهي الاحتياجات التي أوجدها الإعلان لدى المستهلك.

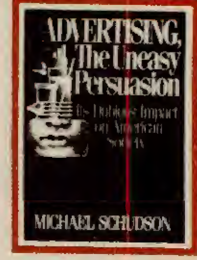
ويعترف المؤلف بأن الإعلانَ شكل من الخديعة والكذب المسموح به مادام قد حظي بقبول المجتمع الذي يعتبره جزءًا عاديا من النشاط الاجتماعي. فمعظم قراء الإعلانات يعلمون أن الإعلان يبالغ إن لم يكن يكذب، بل إن أكثر نقاد الإعلان حدة يعترفون بأنهم يجدون أنفسهم منجذبين إلى العالم الذي يصفه الإعلان برغم أنهم يعلمون أنه عالم زائف. وتفسر جوديث وليامستون هذا التناقض بقولها «**إن تصميم الإعلان وما يثيره من خيال يوضع بطريقة تدفع المتلقي إلى إدراك نمط الحياة الذي يتطلع إليه داخل هذا الخيال وهذا التصميم وهذا ما يعطي القوة للإعلان**»، وترى جوديث أن الإعلان لسوء الحظ يؤدي وظيفة تأويلية من خلال ما يقدمه من تصور للعالم؛ فالإعلان يضع العالم في منظور ضار بالنظام الاجتماعي، وترى أن الإعلان سوف يظل دومًا فوق أي محاولة لتنظيمه ووضع ضوابط له، لأن القوة والخطر اللذين ينطوي عليهما الإعلان لا يكمنان في صدق حديث الإعلان أو كذبه وإنما يكمنان في المعاني والدلالات التي يوجدها الإعلان للصورة التي نتطلع لأن نرى أنفسنا جزءًا منها.

> ”البيئة الثقافية الغربية التي يسهم الإعلان في تشكيلها بيئة غير صحية“

من التلميح إلى التصريح

إن أي كتاب يتعرض للتأثيرات الناتجة عن النشاط الإعلاني لا يمكن إلا أن يتوقف قليلاً أو كثيرًا أمام علاقة الإعلان بالجنس في الثقافة الغربية، وهي علاقة قوية وهي كذلك قائمة بدرجة أو بأخرى في كثير من ثقافات العالم التي اجتاحها الإعلان. وبرغم الضوابط القوية التي





الإعلان
مهمة الإقناع الصعبة

تصل إلى درجة التشدد في تقييد حركة الإعلانات إلا أن المعلنين لم يعدموا ولن يعدموا وسائلهم في التحايل على هذه الضوابط، ففي الستينيات كانت الإعلانات الأمريكية تتجاهل السود وأبناء الأقليات الأخرى في الظهور في الإعلانات، وحينما كان يسمح بظهورها فإنها في الغالب كانت تقوم بأدوار تافهة ولا قيمة لها. وعندما تعرضت شركات الإعلانات للضغوط سمحت بظهور أبناء الأقليات والسود في الإعلانات. غير أن القضية التي لم تصل المنظمات الأهلية الخيرية إلى حل لها حتى الآن هي صورة المرأة في الإعلانات. ففي أعقاب صدور كتاب لبيتي فريدمان حول الصور النمطية لاستخدام الجنس في الإعلانات حدث تغير طفيف في استخدام المعلنين للمرأة وكبار السن في الإعلانات، إلا أن باحثين أثبتوا أن استخدام المرأة باعتبارها مثيرًا جنسيًّا يتزايد في الإعلانات، وأن الجنس ما يزال يسيء إلى المرأة ولا يجعل لها معنى أو قيمة ويحيلها إلى شيء ويقلل من مكانتها في المجتمع. فالعري الكامل والجزئي والتلميحات الجنسية والجنس الصريح تستخدم بكثرة وكثافة في الإعلانات. وجاءت دراسات حديثة لتنبه إلى خطر أعظم وهو أن الأمر لم يعد يقتصر على المرأة وإنما يمتد ليشمل الرجل وبطريقة غير مسبوقة في تاريخ الإعلان. ويعترف أحد المعلنين بخطورة استخدام هذه الصور في الإعلانات فيقول: «إنني أرغب حقيقة في تجنب هذه الصور ولكنني مضطر لاستخدامها حتى أعيش».

> ”لم يعد الإعلان وسيلة تسويقية فحسب، بل أصبح صانعًا للرغبات ومكوّنًا للثقافات!“

وماذا بعد؟

إن الإعلان يضع مؤيديه ومعارضيه في الثقافة الغربية في موقف شديد التناقض، فلا يستطيع مؤيدوه إنكار تأثيراته المدمرة للثقافة الغربية، وليس لدى معارضيه بديل عنه يصلح حتى يتمكن النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في الغرب من أداء مهماته بنجاح، فالمعارضون يقولون: «إن وظيفة الاتصال الجماهيري بكل مكوناتها التي تنطوي على مراحل مهمة من العمليات التعليمية لا ينبغي أن تظل في أيدي أناس لا علاقة لمسؤولياتهم أو وظائفهم بالحقيقة، أناس مسؤولياتهم ووظائفهم معنية ببيع أشياء تفتقر إلى الحقيقة»، ويرى هؤلاء «أنه سوف لا يكون لدينا مناخ ثقافي وفكري صحي في هذا البلد (الولايات المتحدة) وسوف لا يكون لدينا نظام تعليمي ناجح وصحافة صحيحة حتى يتم فصل الإعلان عن كل شكل من أشكال الاتصال الفكري والثقافي». غير أن مثل هذا القول ينطوي على مخاطر وقوع وسائل الاتصال فريسة لضغوط من نوع آخر رفضها الأمريكيون الأوائل منذ وضع الدستور الفيدرالي.



ويرى المدافعون عن الإعلان أنه ليس هناك حتى الآن بديل واضح آخر عن الإعلان يمكن ألا يؤدي إلى الركود الاقتصادي.

وحتى تصل الثقافة الغربية إلى حل هذا التناقض القائم سوف يظل الإعلان ـ خصوصا في وسائل الاتصال الجماهيرية ـ رافدًا رئيسًا في تشكيل قيم الثقافة الغربية واستمرارها وهو رافد يبدو وكأنه يرعى حرية وسائل الإعلام في المجتمعات الغربية، ويدعم مسيرة الموضوعية في التغطية الإخبارية، ويؤدي فوائد جمة للنشاط الاقتصادي ويشكل مصدرًا رئيسًا للمعلومات في الثقافة الغربية. غير أنه من وجهة النظر الأخرى يمارس ضغوطًا من نوع آخر على وسائل الإعلام، فدولار المعلن أصبح بديلا عن دولار الحكومة، وأصبح الإعلان وسيلة الشركات لفرض الاهتمامات والاحتياجات على جمهور وسائل الإعلام، **وهو إحدى القوى الرئيسة في دعم مسيرة القيم المادية داخل الثقافة الغربية بكل أشكالها التي تنال كثيرا من مكانة الإنسان وقيمته وتهدد بالفعل هذه الثقافة.**

وفي النهاية فإن الإعلان جزء من نسيج الثقافة الغربية لا يمكنها اليوم مجرد البحث عن بديل لها. غير أن المشكلة التي تواجه الآخرين هي أكثر حدة مما تواجهه الثقافة الغربية، فالإعلان أصبح اليوم صناعة عالمية وأصبح قوة خارجية تشكل الثقافات المحلية في العديد من دول العالم، وفي الغرب كتابات تحذر الآخرين من إغفال حقيقة أن الإعلان شكل من أشكال الاتصال الاجتماعي وليس مجرد إبلاغ الآخرين بوجود السلع.



الجزيرة تكفيك



المسائية

تثري مساءك

تصدران يوميا عن: مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: ٤٠٢٥٥٥٥ .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

توظيف التراث في المسرح العربي

بقلم: أحمد هيبة

أثارت مسألة توظيف التراث في المسرح العربي ـ وما تزال ـ ركاما من الأسئلة في إطار التنازع النقدي الذي تشهده الساحة الثقافية العربية المعاصرة؛ بين دعاة التأصيل أو البحث عن صيغة مسرحية عربية متميزة ودعاة التجديد أو التجريب، بل والتغريب أحيانا.

على أن مقالتنا هذه تهدف أولا إلى طرح إشكالية في إطارها الحقيقي: مقاربة تاريخية مع ضبط الجهاز المفاهيمي الذي يرافق هذا الطرح الإشكالي.

ولعل ما يثير الانتباه هو مفهوم التراث ذاته. فما هو يا ترى هذا التراث؟ ما مواصفاته وحدوده؟

«إن التراث العربي يشكل حصيلة الثقافة العربية التي تستمر مع وجدان الجماعة، وتفرض نفسها بإلحاح على المثقف المعاصر، لأنه يكتسب وعيه بهذا التراث حتى يحدد موقفه منه»[(١)]. واستنادا على هذا، نجد أن شعراء العرب القدامى تعاملوا مع التراث/ القصيدة الجاهلية، في أفق تبنيها كنموذج أو تفجيرها، هكذا نجد على سبيل المثال في فترة واحدة، هي مرحلة العصر العباسي شاعرًا يؤصل القصيدة على مستوى الشكل ويتعلق الأمر بأبي تمام الذي قال في هذا الخصوص:

سأجهد نفسي حتى أبلغ الشعر شأوه وإن كان لي طوعًا ولست بجاهد

كما نجد شاعرًا آخر تعامل مع التراث ليس بمنطق الاتصال، ولكن بآلية الانقطاع، إنه أبو نواس الذي رفض اجترار الشكل الجاهلي للقصيدة العربية، فكان أن تمرد على المقدمات بما تمثله من ثوابت في النظم كما أشار إلى ذلك ابن قتيبة.

والحقيقة الثابتة أن «التراث ينبوع دائم التفجير بأنصع القيم، وهو الأرض الصلبة التي يقف عليها الأديب ليضع أدبه. وقد شاعت ظاهرة توظيف التراث في أدبنا الحديث على نحو لم يعرفه أدبنا القديم. وهذا لا يعني ـ بالطبع ـ عزلة أدبنا عن التيارات العالمية في الأدب والفن، لا يعني نبذ الثقافات العالمية التي تخصب فكره ووجدانه وفنه. ولكنه يعني أن يكون الأدب معبرًا عن طبيعة المجتمع العربي»[(٢)]، وبطريقة تراعي الخصوصيات السوسيو ـ ثقافية لهذا المجتمع. وفي هذه العملية تأصيل للفكر والثقافة، وقد اتخذت «عندنا، أي في العالم العربي، مسافة خاصة، مرتبطة بالواقع الحضاري التاريخي العريق، الذي يشكل فيه التراث العربي مادته الثرية والموصولة»[(٣)].

لقد ظل المسرح العربي في بداياته الأولى (صنوع، القباني، . . .)، يبحث عن إمكانات تتيح له إثبات الذات في أفق تأسيس انطلاقة سليمة. لذا ظل هذا المسرح يعيش مترجحًا بين مرجعيتين متباعدتين: الآخر والذات. «وبناء على هذا التأرجح [الترجح] المأساوي بين إنجازات الآخر وطرح إمكانية إثبات الذات ـ عبر مواصفات فعل مسرحي له خصوصيته العربية ـ ظهرت بعض المبادرات الدرامية التي كانت تحدوها رغبة ملحة في خلق المغايرة وابتداع أشكال جديدة تمتد جذورها في التراث العربي كما تلتقي في بعض وجوهها مع معطيات المسرح الغربي»[(٤)].

على أن هناك من يرى أن اللجوء إلى التراث كمرتكز من مرتكزات الإبداع كيفما كان جنسه، تحكمه خلفيات لعل أهمها العامل السياسي. ذلك أن الدول العربية عاشت مأساة الاستعمار لبلدانها، ولعل أولى الإجراءات الاستراتيجية للاستعمار إضافة إلى استنزاف خيرات هذه البلدان، طمس معالم هويتنا الثقافية والقومية، ومن ثم يكون من باب المجازفة الاستمرار في الاستهلاك الأعمى للأشكال التعبيرية الغربية؛ دون التفكير في استنبات أشكال محلية تجد سندها في التراث.

غير أن اللجوء إلى التراث ترافقه عادة مجموعة من المزالق، لعل أخطرها اعتبار التراث غاية وليس تقنية يمكن توظيفها، ثم إن هناك من يتعامل مع التراث في نوع من القدسية التي تعمل على تحنيطه لا على تفجيره. وفي هذا السياق، يبدي الدكتور عبد الله العروي بعض الملاحظات على كتابات جورجي زيدان الروائية، فجورجي زيدان لم يتعامل مع التراث في أفق تفجيره، بل «بإعادة فترات النور العربية» كما يقول العروي.

«وعليه، فإن توظيف المبدع المسرحي للتراث يعني توظيف معطياته بطريقة فنية إيحائية ورمزية، هدفها خدمة الحاضر والمستقبل»[(٥)]. على أننا نرى، من جهتنا، أن قراءة في تاريخ التعامل مع التراث من قبل بعض المبدعين في عالم الكتابة الدرامية، قمينة بإعطائنا نظرة بانورامية عن التطور الذي عرفه هذا المجال.

«لقد ارتبط شوقي بالتراث منذ بداية حياته الفنية فكان أكبر همه أن يعيد إلى الأسماع على لسانه أصوات طائفة من قدامى الشعراء، ابتداء من البحتري حتى البوصيري وقد كان هذا أثرًا لاتصاله القوي بالتراث واستغراقه فيه»[(٦)]. وهنا تكمن إحدى مشكلات التعامل مع التراث، ذلك أن شوقي لم يكن ذكيا فيما قام به، وإن كان قد بذل مجهودًا يسجل له ـ فهو «حين يختار قصة مجنون ليلى أو

عنتره أو أميرة الأندلس أو علي بك الكبير لتكون موضوع مسرحية لـه فإنه يظل شديد الارتباط بالرواية التراثية التي يختارها لهذه القصة أو تلك، حتى إن حجم مـا يفجره من دلالات بـاطنية لهذه القصـة يظل ضئيلا بـالقياس إلى معطيـاتها المبـاشرة، إنـه يظل مشدودًا إلى الـوجـه التراثي لهذه القصص، وإن حـاول في بعض الأحيـان أن يتسلل من خـلالها إلى شيء من همومـه الشخصيـة وهموم عصره»(٧).

إن أحمد شوقي في أعماله الشعـرية المسرحية، بذل قصـارى جهده، للقيام بمعارضـة مجموعـة من الأشعار المروية والمنسوبة إلى قـدماء الشعـراء العرب، وعليه فـإن شوقي لا ينطلق من هـذا الإرث الشعري في أفق بلـورته وتطـويره، ولكن في أفق تكريس تجارب معينة سابقة، على مستوى الإبداع الشعري.

هناك تجربة لها تفردها على مستوى التعامل مع إشكـالية توظيف التراث، ويتعلق الأمـر بتـوفيق الحكيم الـذي دخل عـالم الإبـداع بأشكـال من الطـرح المتميـز، سواء على مستـوى الكتابـة الأدبية أو على مستـوى التنظير، ففي مجال الكتـابة الـدراميـة، عـرف عن توفيـق الحكيم انفتاحـه على التجـريب في أفق المزاوجة بين التراث المحلي والقالب الغربي كما هـو الشأن في مسرحيته «يا طالع الشجـرة». غير أن مسرحيـة «أهل الكهف» كـانت بحق العمل الـذي أسـال مدادًا كثيرًا من حيث مستوى توظيف التراث وتقنيته. فمن قـائل إنه استوحاها من سورة الكهف، وتوفيق الحكيم نفسه يشير إلى أن فكرة المسرحية نشأت عنده ومعه منـذ كان طفـلا حيث كان يستمع لمقرئ وهـو يرتل سـورة الكهف بأحد مساجد القاهرة. [والقارئ لهذه الكتابة الدرامية «أهل الكهف» يستكشف أن توفيق الحكيم إن كان قد استوحى العنوان من سورة الكهف، وإن كان قد مهد للمسرحية بآيـة من السورة، فإن المسرحية انطبعت بسمات عصره حيث الصراع بين الخير والشر، بين القبح والجمال، مقاومة الزمن وانتصار الإنسان لنفسه.

إن مسألـة البحث في التراث عن معطيـات لتطعيم بعض الكتـابـات الدراميـة، كان ومـايزال بإيعاز من رغبـة ملحة في البحث عن صيغـة مسرحية عربية لها تفردها وخصوصيتها المستنبتـة من محيط هذه الأمة العربية والإسلامية وتاريخها وحضارتها.

الهوامش

(١) مصطفى رمضاني، توظيف التراث وإشكالية التأصيل في المسرح العربي. عالم الفكر مجلد ١٧ عدد ٤ ١٩٨٧ ص ٨٠.

(٢) محمد عزام، توظيف التراث في المسرح العربي الحديث والمعاصر، الوحدة س٨، ع٩٤ ـ ٩٥. يوليو ٩٢، ص ٦٧.

(٣) بول شاوول، المسرح العربي الحديث: ١٩٧٦ ـ ١٩٨٩، رياض ريس للكتب والنشر ١٩٩٠، ص٢٦

(٤) د. حسن المنيعي، التأصيل في المسرح العربي من خلال حركية النص، الوحدة ع ٩٤ ـ ٩٥ س ٨ يوليو ٩٢ ص ٧٢.

(٥) مصطفى رمضاني، المصدر السابق، ص ٧٨.

٦) د. عز الدين إسماعيل، توظيف التراث في المسرح. مجلة فصول مجلد ١ ـ عدد١ سنة ١٩٨٠ ص١٦٨.

(٧) د. عز الدين إسماعيل، المصدر السابق، ص ١٦٨.

آفاق ثقافية

مصطلح



«التنميـة الثقـافيـة» من المصطلحـات التي أطلت بـرأسهـا في محيطنا العـربي، على امتـداد العقـود الثـلاثـة الأخيرة، وأخـذ في الشيـوع والانتشـار، ليحتل مكـانه البارز بين صيـغ التنمية وأنسـاقها العديدة، مثل: «التنميـة الاقتصادية» و«التنمية الاجتماعية» و«التنمية الإدارية» وغيرها.

والإنسان هـو هدف التنمية في المقـام الأول، والتنمية عملية شـاملة، تسير في خطوط متوازية، مستهدفة الارتقاء بالوطن والمواطن، فالمواطن هو اللبنة الأساسية في المجتمع، وثمـة ارتباط وثيق بين أنماط التنمية المختلفة، وتعد «التنمية الثقـافية» العامل المشترك بينها، والخيط الـذي ينتظم أمورها جميعا.

وترمي «التنمية الثقافيـة» إلى تغيير محتويات رأس الإنسان إلى الأفضل والأجمل، وتحسينها وترقيتها، وإثراء معارفه وأفكاره، وطموحاته وخيالاته، بحيث يصبح إنسـانا أكثـر إضـاءة، مدركـا لـروح العصر، متفاعـلا مع معطيـاته ومنجـزاتـه، له رأي فيما يحدث من حـولـه، ولـه موقف إزاء مـا يصطرع على السـاحة المحيطة به، وبدون هذا التكوين المضيء، لا يستطيع الفرد استيعـاب خطط التنمية الاقتصاديـة والاجتماعية وغيرهـا، والتفاعل معها، والتعامل مع البرامج المعـدة، والإمكانات المادية المتـاحة، ومن هنا كانت «التنميـة الثقافيـة» هي المحور الأسـاسي، الذي تعتمـد عليه صيغ التنمية العـديدة، وبـدونها، تظل هذه الصيـغ في معزل عن هـذا الإنسان المحرك لها.

ولا شك أن ثمة وسائل عديدة، يمكن الـوقوف أمامها، في سعينا من أجل تكـوين إنسان مضيء، تتحقق لـه مقومـات التنمية الثقـافية، منهـا تعويده القـراءةَ، منذ انبثاق الوعي والإدراك لـديه، وضرورة إيجاد مكتبة في كل بيت، وإعادة النظر في المناهـج الدراسية، التي تعتمد التلقين والحفظ الآلي سبيلا للتحصيل الدراسي، وتعويد الطـالب المناقشة وإبداء الرأي، وحثـه على القـراءة الحرة، والاهتمام بـالمكتبة المدرسيـة والمكتبـة الجامعيـة. وسائل الإعـلام المختلفة، من صحف ومجلات وإذاعـة وتلفزيـون، إذا ما أحسن استثمارها، فإنها تـأتي في مقدمة هـذه الوسـائل جميعا، مهما تختلف مستويات تأثيرها، في سبيل الوصول إلى الهدف الثقافي المنشود.

عبدالملك عبدالرحيم



أعلام المفسرين

أ

أبو إسحاق أحمد الثعلبي :

هو أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، المقرىء، المفسِّر، كان **حافظًا واعظًا**، رأسًا في التفسير والعربية، متين الديانة. قال **ابن خلكان**: «كان أوحد زمانه في علم التفسير، وصنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير».

وقال **ياقوت الحموي** في معجم الأدباء: «أبو إسحاق الثعلبي، المقرىء، المفسر، الواعظ، الأديب، الثقة، الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، من التفسير الحاوي أنواع الفرائد من المعاني والإشارات».

تفسيره: **كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن**: يقول ـ رحمه الله ـ رغب الناس إليَّ في إخراج كتاب في تفسير القرآن، فأجبتهم إلى مطلوبهم، رعاية لحقوقهم وتقربًا به إلى الله تعالى... ثم قال: فاستخرت الله تعالى في تصنيف كتاب شامل، مهذب، ملخص، مفهوم، منظوم، مستخرج من زُهاء مائة كتاب مجموعات مسموعات... إلخ.

وهذا التفسير، تفسير القرآن بما جاء عن السلف، مع اختصاره للأسانيد، وعرض للمسائل النحوية ويخوض فيها بتوسع ظاهر، يعرض لشرح الكلمات اللغوية وأصولها وتصاريفها، ويستشهد على ما يقول بالشعر العربي، ويتوسع في الكلام عن الأحكام الفقهية عندما يتناول آية من آيات الأحكام، ويؤخذ عليه ذكره للإسرائيليات دون تعقبها والتعليق عليها، ولم يتحر الصحة في كل ما نقل من تفاسير السلف، قال ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير: «والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع».

وفاته: توفي ـ رحمه الله ـ سنة سبع وعشرين وأربعمائة من الهجرة.

أبو السعود العمادي :

هو أبو السعود بن مصطفى العمادي الحنفي، المولود في سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة من الهجرة بقرية قريبة من القسطنطينية، وهو من بيت عُرف بالعلم والفضل حتى قال بعضهم فيه: «تربى في حجر العلم حتى رَبَا، وارتضع ثدي الفضل إلى أن ترعرع وحبا، ولايزال يخدم العلوم الشريفة حتى رحب باعُه، وامتد ساعده واشتد اتساعه».

وكان يرحمه الله: من الذين قعدوا من الفضائل والمعارف على سنامها وغاربها، وسارت بذكره الركبان في مشارق الأرض ومغاربها».

مزايا تفسيره: «**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**»: يعتبر هذا التفسير غاية في بابه، ونهاية في حسن الصوغ وجمال التعبير، كشف فيه صاحبه عن أسرار البلاغة القرآنية، بما لم يسبقه إليه أحد، وفيه قال صاحب العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم: «وقد أتى بما لم تسمح به الأزمان، ولم تقرع به الآذان، فصدق المثل السائر: كم ترك الأول للآخر».

وصاحب الفوائد البهية في تراجم الحنفية يقول: «وقد طالعت تفسيره وانتفعت به، وهو تفسير حسن، ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل، متضمن لطائف ونكات، ومشتمل على فوائد وإشارات».

وفاته: توفي أبو السعود ـ رحمه الله ـ بمدينة القسطنطينية، ودفن بجوار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ـ وذلك في أوائل جمادى الأولى عام اثنين وثمانين وتسعمائة من الهجرة.

إسماعيل بن عمرو بن كثير:

نسبه وفضله: هو الإمام الحافظ، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل ابن عمرو بن ضوء بن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي، الفقيه الشافعي، ولد عام سبعمائة من الهجرة تقريبًا، قدم دمشق وله سبع سنين مع أخيه بعد موت أبيه، سمع من الآمدي، وابن عساكر، وأخذ عن ابن تيمية، وفُتِنَ بحبه، وامتُحن بسببه، وكان يفتي برأيه في مسألة

الطلاق وامتُحن بسبب ذلك وأوذي .

قال الـداودي في طبقات المفسرين : كـان ـ ابن كثير ـ قدوة العلماء والحفاظ ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ .

وقال ابن حبيب فيه : «زعيم أرباب التأويل ، سمع وجمع وصنَّف ، وأطرب الأسماع بالفتـوى وشنَّف ، وحدَّث وأفاد ، وطـارت أوراق فتاويه في البـلاد ، واشتهر بـالضبط والتحريـر ، وانتهت إليـه رياسـة العلم في التاريخ والحديث والتفسير» .

تفسير القرآن العظيم ومـزاياه : هـو من أشهـر مـا دون في التفسير «المأثور» ، ويعتبر في هذه النـاحية الكتاب الثاني بعد كتـاب ابن جرير ، اعتنى فيه مؤلفـه بالرواية عن مفسري السلف ، ففسر فيـه كلام الله تعالى بـالأحاديث والآثـار مسنـدة إلى أصحابها ، وقـد نبَّه على الإسرائيليـات وحـذَّر منها ، ورجَّح بعض الأقـوال على بعض ، وبـالجملة ، فإن هـذا التفسير من خير كتب التفسير بالمأثور وفيه قال السيوطي : «إنه لم يؤلف على نمطه مثله» .

وفاته : تُوفي ابـن كثير ـ رحمه الله ـ سنـة أربع وسبعين وسبعمائة من الهجرة ودفن بجوار ابن تيمية .



جلال الدين السيوطي :

نسبه ومكانته : هو الحافظ جـلال الدين أبو الفضل عبـد الرحمن بن أبي بكربن محمد السيوطي الشافعي ، المسند المحقق . ولد في رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة من الهجـرة ، ختم القـرآن ولـه من العمـر ثماني سنين ، وحفظ كثيراً من المتـون ، وكـان أعلم أهل زمـانـه بعلم الحديث وفنونـه ، رجالا ، وغريبًا ، ومتنًـا وسندًا ، واستنباطًا لـلأحكام ، وبلغت مؤلفاته خمسمائة مؤلف .

تفسيره **«الدر المنثور في التفسير بالمأثور» :** قال في مقدمة الدر المنثور (جـ١ ص٢) : «وبعد ، فلما ألفت كتـاب تـرجمان القرآن وهـو التفسير المسند عن رسـول الله ﷺ ـ وتم بحمد الله في مجلدات ، فكـان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرجة منها واردات (طرقًا كثيرة) ، رأيت قصـور أكثر الهمم عن تحصيلـه ، ورغبتهم في الاقتصـار على متـون الأحاديث دون الإسناد وتطويلـه ، فلخصت منه هذا المختصر ، مقتصراً فيـه على متن الأثـر ، مصـدرًا بالعـزو والتخـريج إلى كل كتـاب معتبر ، وسميته بالدر المنثور ، في التفسير بالمأثور» اهـ .

ومن هاتين العبارتين يتبين لنا أن السيوطي اختصر كتابه الدر المنثور من كتابه تـرجمان القرآن وحذف منه الأسانيـد مخافة الملل ، مع عزوه كل رواية إلى الكتاب الذي أخذها منه .

وفاته : توفي ـ رحمه الله ـ في سحر ليلة الجمعة تاسع عشر من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة .

جلال الدين المحلي :

نسبه وفضله : هو جـلال الدين محمد بن أحمد بن محمـد بن إبراهيم المحلي الشـافعي ، تفتازاني العـرب ، الإمـام العلامـة ، ولد بمصر سنـة إحـدى وتسعين وسبعمائة من الهجـرة ، واشتغل وبرع في الفنـون فقهًـا ، وأصولاً ، ونحواً ، ومنطقًـا ، وغيرها ، وكان آية في الـذكاء والفهم ، حتى كـان بعض أهل عصره يقـول فيـه : «إن ذهنه يثقب الماس» وكـان غـرة عصره في سلوك طـريق السلف ، على مبلغ عظيم من الصـلاح والورع ، آمراً بـالمعروف ، نـاهياً عن المنكـر ، لا تأخـذه في الحق لومـة لائم ، وقد عرض عليه القضاء فلم يقبله ، وولي تـدريس الفقه ، وألف كتباً نافعة ، هي غاية في التحرير والاختصار ، والتنقيح وسلامة العبارة ، وحسن المزج والحل ، منهـا : شرح جمع الجوامع في الأصـول ، وشرح المنهـاج في فقـه الشافعيـة ، وشرح الورقـات في الأصول ، والتفسير الـذي ابتدأه بسـورة الكهف إلى آخر سورة الناس ، ثم ابتدأ بـالفاتحة ، وبعد أن أتمها اخترمته المنية فلم يفسر مابعدها ، وأتمه جلال الدين السيوطي .

تفسير الجلالين : يتميـز الجزء الـذي فسَّره الجلال المحلي ، بعبـارة مـوجزة محررة ، في غـايـة الحسن ونهاية الـدقـة ، وقد اعتمـد على أرجح الأقوال ، وأعرب مـا يحتاج إليه ، ونبَّه على القـراءات المختلفة المشهورة ، على وجه لطيف ، وتعبير وجيـز ، والكتاب قيِّم في بابه ، مشهـور متداول بين أيدي طلبة العلم .

وفاته : توفي ـ رحمه الله ـ في أول يوم من سنة أربع وستين وثمانمائة من الهجرة .



الحسين بن مسعود البغوي :

هو أبو محمد ، الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي ، الفقيـه ، الشـافعي ، المحـدث ، المفسر ، الملقَّب بمحيي السنـة وركن الدين .

تفقه البغـوي على القاضي حسين وسمع الحديث منه ، وكـان تقيًّا ، ورعًا ، قـانِعًا ، إذا ألقى الدرس لايلقيـه إلاَّ على طهارة ، وكان إمـامًا في

التفسير، إمامًا في الحديث، إمامًا في الفقه، وعده التاج السبكي من علماء الشافعية الأعلام.

تفسيره «**معالم التنزيل**»: وصفه الخازن في مقدمة تفسيره بأنه «من أجل المصنفات في علم التفسير وأعلاها، وأنبلها وأسناها، جامع للصحيح من الأقاويل، عارٍ عن الشُّبه والتصحيف والتبديل، مُحلّى بالأحاديث النبوية، مطرَّز بالأحكام الشرعية، موشّى بالقصص الغريبة، وأخبار الماضين العجيبة، مُرصَّع بأحسن الإشارات، فخرَّج بأوضح العبارات، مفرغ في قالب الجمال بأفصح مقال» أ. هـ.

وفاته: توفي رحمه الله في شوال سنة عشر وخمسمائة من الهجرة وقد جاوز الثمانين.

س

سعيد بن جبير:

نسبه وفضله: هو أبو محمد، سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي، مولاهم، كان حبشي الأصل، أسود اللون أبيض الخصال. سمع جماعة من أئمة الصحابة، رَوَى عن ابن عباس، وابن مسعود، وغيرهما.

مكانته في التفسير: كان ـ رحمه الله ـ من كبار التابعين ومتقدميهم في التفسير والحديث والفقه، وقد جمع سعيد القراءات الثابتة عن الصحابة وكان يقرأ بها، ولذا قال سعيد بن عبد الملك: كان سعيد بن جبير يؤمنا في شهر رمضان فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله بن مسعود، وليلة بقراءة زيد بن ثابت، وليلة بقراءة غيره، وهكذا أبدًا».

ولقد جمع سعيد علم أصحابه من التابعين، وألـمَّ بما عندهم من النواحي التي برزوا فيها، فقد قال خصيف: «كان من أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيب، وبالحج عطاء، وبالحلال والحرام طاووس، وبالتفسير أبو الحجاج مجاهد بن جبر، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير». لهذا كله نجد ابن عباس ــ رضي الله عنهما ـ يثق بعلم سعيد، ويحيل عليه من يستفتيه، وكان يقول لأهل الكوفة إذا أتوه ليسألوه عن شيء: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ ــ يعني سعيد ابن جبير ـ، وكان قتادة يرى «أنه أعلم الناس بالتفسير».

وفاته: قتله الحجاج صبرًا، في شعبان سنة خمس وتسعين من الهجرة وهو ابن تسع وأربعين سنة. مات ـ يرحمه الله ـ وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.

ش

شهاب الدين الآلوسي:

نسبه ومنزلته: هو أبو الثناء. شهاب الدين، السيد محمود أفندي الآلوسي البغدادي، ولد في سنة سبع عشرة ومائتين بعد الألف من الهجرة، في جانب الكرخ من بغداد.

كان ـ يرحمه الله ـ شيخ العلماء في العراق، جمع كثيرًا من العلوم حتى أصبح علامة في المنقول والمعقول، فهَّامة في الفروع والأصول. مُحدِّثًا لا يُجارى، ومُفَسِّرًا لكتاب الله لا يبارى، وكان غاية في الحرص على تزايد علمه، وتوفير نصيبه منه، وكان **كثيرًا** ما ينشد:

سهري لتنقيح العلوم ألَـذُّ لي * من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلي طربًا لحل عويصة * أحلى وأعذب من مدامة ساقي

وكان ـ يرحمه الله ـ عالماً باختلاف المذاهب، مطلعًا على الملل والنحل، سلفي الاعتقاد، شافعي المذهب.

«**تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**»: جمع فيه آراء السلف رواية ودراية، ونقل أقوال الخلف بكل أمانة وعناية، فهو جامع لكل ما سبقه من التفاسير، فتراه ينقل عن تفسير ابن عطية، وتفسير أبي حيَّان، وتفسير الكشاف، وتفسير أبي السعود، وتفسير البيضاوي، وتفسير الفخر الرازي وغيرها من كتب التفسير، وهو إذ ينقل من هذه التفاسير، ينصب نفسه حكمًا عدلاً بينها، ويجعل من نفسه نقَّادًا مدَّقِقًا، فتراه كثيرا ما يعترض على ما كتبه أبو السعود كما تعقَّب الفخر الرازي في كثير من المسائل، وكان إذا استصوب رأيا انتصر له ورجَّحَهُ على ما عداه.

وفاته: توفي ـ يرحمه الله ـ في يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين بعد الألف من الهجرة.

ع

عبد الله بن أحمد النسفي:

هو أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ـ نسبة إلى نسف من بلاد ما وراء النهر ـ الحنفي أحد الزهاد المتأخرين، والأئمة

المعتبرين، كـان رأسًا في الفقـه والأصول، بارعًـا في الحديث ومعـانيه، بصيرًا بكتاب الله تعالى، وهو صاحب التصانيف المفيدة المعتبرة في الفقه والأصول وغيرها.

من مؤلفاته: متن الوافي في الفروع، وشرحه الكافي، وكنز الدقائق في الفقـه، والمنار في أصـول الفقـه، والعمـدة في أصول الـدين، ومـدارك التنزيل وحقائق التأويل في تفسير القرآن الكريم.

تفسيره: مدارك التنزيل وحقائق التأويل:

هذا التفسير، اختصره النسفي - رحمـه الله - من تفسير البيضاوي ومن الكشاف للزمخشري، غير أنه تـرك ما في الكشاف من الاعتزالات، وجـرى فيـه على مـذهب أهل السنـة والجماعـة، وهـو تفسير وسط بين الطول والقصر، جمع فيه صاحبه بين وجوه الإعراب والقراءات، وضمنه ما اشتمـل عليه الكشاف مـن النكت البلاغيـة والمحسنات البـديعية، والكشف عن المعاني الدقيقة الخفية.

قال - يرحمـه الله - : «قـد سـألني من تتعـين إجـابته، كتـابًا وسطا في التأويـلات، جامعًـا لوجـوه الإعراب والقـراءات، متضمنًا لـدقائق علمي البديع والإشارات، حـاليًا بأقاويل أهل السنة والجماعـة، خاليًا عن أباطيل أهل البـدع والضلالة، ليس بالطـويل الممل، ولا بالقصير المخل، وكنت أقدم رجلاً وأرجع أخرى؛ استقصارًا لقوة البشر عن درك هذا الوطر، وأخذ السبيل الحذر عن ركوب متن الخطر، حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة، وأتممته في مدة يسيرة وسميته بمدارك التنزيل وحقائق التأويل».

وفاتـه: توفي النسفي - يـرحمه الله - سنة إحـدى وسبعمائة من الهجرة ببلدة أيذج بكردستان.

م

محمد بن أحمد القرطبي:

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرْح الأنصاري، الخزرجي، الأندلسي، القـرطبي، المفسِّر. كان - يـرحمه الله - من العلماء العاملين، أوقاته كلها معمورة بالتوجه إلى الله وعبادته تارة، وبالتصنيف تارة أخرى، حتى أخرج للناس كتبًا انتفعوا بها.

ومن مصنفاتـه: كتابه في التفسير المسمى بالجامع لأحكـام القرآن، وشرح أسماء الله الحسنى، وكتـاب التـذكار في أفضل الأذكـار، وكتـاب التذكرة بأمور الآخرة، وكتاب شرح التقصي، وكتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة وردّ ذل السـؤال بالكتب والشفاعة. قـال ابن فرحون: لم أقف على تأليف أحسن منه في بابه، وله كتب غير تلك كثيرة ومفيدة.

تفسيره الجامع لأحكام القرآن:

وصف العـلامـة ابن فـرحـون هـذا التفسير فقـال: «هـو من أجل التفاسير نفعـا، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضهـا أحكام القرآن واستنباط الأدلـة، وذكر القراءات والإعراب والنـاسخ والمنسوخ» ويعـرض لأسباب النـزول، ويُبَيِّنُ الغـريب من ألفاظ القـرآن، ويحتكم كثيرا إلى اللغة، ويكثر من الاستشهاد بأشعار العرب، ويرد على المعتزلة والقدرية، والـروافض، والفلاسفة، وغـلاة الصوفية، ويؤخـذ عليه ما ذكر من بعض غرائب القَصَصِ الإسرائيلي.

وخير مـا في الـرجل أنـه لا يتعصب لمذهبـه «المالكي» بل يمشي مع الدليل حتى يصل إلى ما يرى أنه الصواب أيًا كان قائله.

وفاته: استقر الـقرطبي - يـرحمه الله - بِمُنْيَة ابن خـصيب (المنيا) من صعيد مصر، وتوفي ودفن بها، في شوال سنة إحدى وسبعين وستمائة من الهجرة.

محمد بن جرير الطبري:

هو أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الإمام الجليل، المجتهد المطلق، صاحب التصانيف المشهورة، وهو من أهل طبرستان، ولـد بها سنة أربع وعشرين ومـائتين من الهجرة، ورحل من بلده في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وطوَّف في الأقاليم، فسمع بمصر والشام والعراق.

وكـان - يـرحمه الله - حـافظًا لكتـاب الله، بصيرًا بالقـرآن، عارفـا بـالمعـاني، عالماً بـالسنن وطرقهـا، وصحيحهـا وسقيمها، ونـاسخهـا ومنسوخها، عارفًـا بأقوال الصحابة ومن بعدهم، عارفـاً بأخبار الناس وأحوالهم.

ومن مصنفاته: كتـاب التفسير (**جـامع البيان في تفسير القـرآن**)، وتـاريخ الأمم والملوك، وكتـاب القـراءات، وكتاب اختـلاف العلماء، وكتـاب التبصُّر في أصـول الـدين، وتـاريخ الـرجـال مـن الصحـابـة والتابعين، وكتاب أحكام شرائع الإسلام وغيرها.

تفسيره: **جامع البيان في تفسير القرآن**

يعتبر هذا التفسير من أقـوم التفاسير وأشهـرها، قـال السيـوطي: وكتـابه - يعنى تفسير الطبري - «أجل التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال، وتـرجيح بعضها على بعض، والإعراب، والاستنباط،

فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين».

وقال النووي: «أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري».

وقال ابن تيمية: «وأما التفاسير التي في أيدي الناس، فأصحها تفسير ابن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين».

وقال ابن خزيمة «نظرت فيه من أوله إلى آخره فما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير».

وفاته: بعد أن طوف بأقاليم كثيرة طلباً للعلم ألقى عصاه واستقر ببغداد، وبها توفي سنة عشر وثلاثمائة من الهجرة.

محمد بن علي الشوكاني:

هو محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني، ولد في سنة ثلاث وسبعين ومائة بعد الألف من الهجرة، في بلدة هجرة شوكان، ونشأ بصنعاء باليمن، وأخذ في طلب العلم والسماع من العلماء الأعلام، حتى صار، «فريداً في عصره، ونادرة لدهره، وقدوة لغيره، بحراً في العلم لا يجارى، ومفسرًا للقرآن لايبارى، ومحدثا لا يشق له غبار، ومجتهدا لا يثبت أحد معه في مضمار».

وقد خلف كتباً نافعة منها: كتاب فتح القدير في التفسير، وكتاب نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار في الحديث، وكتاب إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والميعاد والنبوات، ردَّ به على موسى بن ميمون الأندلسي اليهودي، وغير هذا كثير من مؤلفاته.

وعقيدة الشوكاني عقيدة السلف، من حمل صفات الله تعالى الواردة في القرآن والسنة على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف وقد ألَّفَ رسالة في ذلك «التُّحف بمذهب السلف».

تفسيره: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير.

طريقته في هذا التفسير: يذكر الآيات، ثم يفسرها تفسيرا معقولا مقبولا، ثم يذكر الروايات الواردة عن السلف، ويذكر المناسبات بين الآيات، ويحتكم إلى اللغة كثيرا، وينقل عن أئمتها كالمبرد وأبي عبيدة والفراء، كما أنه إحيانا يتعرض للقراءات السبع، ويعرض لمذاهب العلماء الفقهية، ويرجح بعضها على بعض، ويعطي نفسه حرية واسعة في الاستنباط.

ويؤخذ عليه ذكره للروايات الموضوعة، أو الضعيفة، يمر عليها بدون تعليق أوتنبيه.

وفاته:

توفي الشوكاني - يرحمه الله - سنة خمسين ومائتين وألف من الهجرة.

محمد بن يوسف أبو حيَّان:

هو أثير الدين، أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن حيان، الأندلسي، الغرناطي، الحياني، الشهير بأبي حيَّان، المولود سنة أربع وخمسين وستمائة من الهجرة.

كان ملما بالقراءات صحيحها وشاذها، قرأ القرآن على الخطيب، وقدم الإسكندرية فقرأ القراءات على المريوطي، وقرأ بمصر على المليجي ولازم ابن النحاس، فسمع عليه كثيرا من كتب الأدب.

وقد خدم النحو والتصريف أكثر عمره فهو الإمام المطلق فيهما، ومن أهم مؤلفاته:

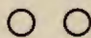
تفسير البحر المحيط، وغريب القرآن، وشرح التسهيل، ونهاية الإعراب، وخلاصة البيان، وله منظومة على وزن الشاطبية في القراءات بغير رموز.

تفسيره: البحر المحيط:

يقع هذا التفسير في ثمانية مجلدات كبار، ويعتبر المرجع الأول لمن يريد الوقوف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم، ولقد أكثر من مسائل النحو وتوسع في الخلاف بين النحويين، حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير، بيد أنه ذكر أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات الواردة مع توجيهها، كما إنه لا يغفل الناحية البلاغية في القرآن، ولا يهمل الأحكام الفقهية عندما يمر بآيات الأحكام، مع ذكره لما جاء عن السلف، ومن تقدم من الخلف في ذلك، وقد نقل أبو حيان في تفسيره كثيرًا من تفسير الزمخشري، وتفسير ابن عطية خصوصًا ما كان من مسائل النحو ووجوه الإعراب، كما إنه يتعقبهما كثيرًا بالرَّد والتفنيد لما قالاه في مسائل النحو على الخصوص.

وفاته:

توفي - يرحمه الله - بمصر سنة خمس وأربعين وسبعمائة من الهجرة.



مسرحية

يحسبهم الجاهل أغنياء

من الأعمال التي تنشر لأول مرة ○ تأليف: علي أحمد باكثير

(١)

في بيت عبد الله بن عمر بن الخطاب، عبد الله مريض يعوده قريبه عبد الله بن مطيع العدوي.

ابن عمر: أما والله إنك لتحسن الحديث يا ابن مطيع. ولكن من قال لك إني لا أعنى بصحتي؟ أم تريد مني أن آكل كما يأكل كسرى وقيصر؟

ابن مطيع: أيُّ جُناح عليك في ذلك ما كان علاجا لك؟

ابن عمر: لا أريد أن أشفى من علة لأصاب بعلة أنكى وأشد.

ابن مطيع: أي علة أشد من علة تمنعك من شهود صلاة الجماعة في المسجد؟

ابن عمر: (ينادي) صفية. صفية.

صفية: (صوتها) لبيك يا أبا عبد الرحمن.

ابن عمر: أنا ذاهب إلى المسجد فأحضرى لي الوضوء.

صفية: لكنك بعدُ عليل.

ابن عمر: كلا، قد شفيت من علتي فأنا بخير.

صفية: لكنك بعد واهن ضعيف.

ابن عمر: كلا، ما أنا بواهن ولا ضعيف.

صفية: كلمه يا ابن مطيع فهو يسمع كلامك.

ابن مطيع: يا أم عبد الرحمن، ما دفعه إلى الخروج إلا كلامي له.

صفية: حسبنا الله ونعم الوكيل. ماذا تَصنع لأبي عبد الرحمن؟

ابن عمر: هيه يا بنت أبي عبيد، أنت أرسلت إلى ابن مطيع اليوم ليكلمني فيما كلمني فيه.

ابن مطيع: لا والله يا ابن عم. إنما جئت لأعودك.

ابن عمر: لكنها كلّمتك قبل أن تدخل عندي. هيا يا صفية ألم تحضري وضوئي بعد؟

ابن مطيع: لم يزل في الوقت سعة يا أبا عبدالرحمن.

ابن عمر: ويحك، أتريد مني أن أمشي هرولة؟

(٢)

ابن عمر: (يتأوه) آه.. آه.

صفية: ماذا بك يا أبا عبد الرحمن؟ هل تشكو من وجع؟

ابن عمر: لا بأس علي إن شاء الله. إنما هي وعكة عارضة.

صفية: إنك أجهدت نفسك يا أبا عبد الرحمن منذ قمت من علتك ولم تكن قد استرددت كامل صحتك.



ابن عمر: أي إجهاد تعنين؟

صفية: مواظبتك على القيام ومواصلتك للصيام وإقلالك من الطعام.

ابن عمر: ويحك يا صفية، أهذا سبب علتي عندك؟ فكيف إذن عشت طول هذا العمر؟

صفية: أنا لم أقل إن هذا سبب علتك، ولكنك قمت قريبا من علة شديدة قد هدت قواك، فكان حريًّا بك أن تريح نفسك قليلاً وتصيب من الطعام ما يكفيك ريثما تستعيد سابق قوتك فتعود حينئذ إلى مألوف عادتك.

ابن عمر: أتحبين يا صفية أن أصارحك القول؟

صفية: نعم.

ابن عمر: ولا تغضبي؟

صفية: لا.

ابن عمر: إن كان من سبب لعلتي فإنه أنت.

صفية: أنا يا أبا عبد الرحمن؟ أنا سبب علتك؟

ابن عمر: نعم.

صفية: كيف يا أبا عبد الرحمن؟ ما المانع؟

ابن عمر: إنك لا تكفين أبدا عن تدبير الحيل للحيلولة بيني وبين ما تطيب به نفسي من بعض أعمال الخير.

صفية: عن أي شيء تتحدث يا أبا عبد الرحمن؟

ابن عمر: إنك تعرفين ما أعني.

صفية: والله الذي لا إله إلا هو ما من شيء فعلته قط إلا قصدت به الخير لك.

ابن عمر: إني أعلم ذلك يا صفية. أعلم أنك كنت تحتالين عليّ كما تحتال الأم على وليدها لتصرفه

عما يريد وهي لا تريد به إلا الخير ولكني لا أحب يا صفية أن تعامليني كالوليد .

صفية : لعلك تعني أولئك المساكين الذين كانوا يقفون في طريقك لتدعوهم فيؤاكلوك .

ابن عمر : فأزحتهم أنت عن ذلك الطريق لينقطعوا عني .

صفية : لكني لم أقطع عنهم برّك يا أبا عبدالرحمن .

ابن عمر : أجل كنت تبعثين إليهم الطعام .

صفية : وعرفت ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟

ابن عمر : نعم .

صفية : حمزة أخبرك ؟

ابن عمر : لا

صفية : فكيف إذن عرفت ؟

ابن عمر : بالحدس والتخمين .

صفية : وسكتَّ على ذلك ولم تفاتحني ؟

ابن عمر : رأيت السكوت حينئذ أفضل .

صفية : بالله إلاّ ما وهبت لي ذلك يا أبا عبدالرحمن .

ابن عمر : انتظري حتى تكشفي لي عن الحيلة الأخرى .

صفية : يا ويلتا ، عم تتحدث ؟

ابن عمر : إنك تعلمين أنك لما قطعت أولئك المساكين عني تخيرت رجالا آخرين من الذين لا يسألون الناس إلحافًا ويحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، فكان يتعشى معي منهم كل ليلة اثنان أو ثلاثة ثم انقطعوا عنا منذ جمعة ، وكلّما أرسلت حمزة إلى أحدهم ليدعوه قال له : اعتذر لي إلى أبيك فإني مدعو للعشاء في بيت آخر . فخبريني يا صفية عن جلية الأمر .

صفية : ألم يخبرك حمزة بشيء ؟

ابن عمر : كلا لم أشأ أن أسأل حمزة ، فما كان ينبغي له أن يذيع سر أمه ولا لوم عليه عندي فعليه أن يطيعك . ولكنى أريد منك أن تخبريني بنفسك .

صفية : وتعدني ألا تغضب ؟

ابن عمر : نعم .

صفية : أرسلت إليهم في بيوتهم ألا يحضروا وكنت أبعث بالطعام إلى كل واحد منهم مرتين في الجمعة .

ابن عمر : سبحان الله ، وما يدعوك إلى ذلك وإنه ليرهقك أكثر ؟

صفية : يا أبا عبد الرحمن ، إن جلّ قصدي أن أجعلك تأكل طعامك الذي أصنعه لك فأنت بحاجة إليه وإذا حضروا ليؤاكلوك تركت لهم أنت كل شيء ولم تصب إلا القليل الذي لا يغنيك .

ابن عمر : إذن فإني لن أتعشى الليلة .

صفية : فيم يا أبا عبد الرحمن ؟

ابن عمر : ليكون عقوبة لك حتى لا تعودي لمثلها .

صفية : إنك وعدتني ألا تغضب .

ابن عمر : إني لست بغاضب ولكني ممتنع عن العشاء .

صفية : فامتناعك هو الغضب .

ابن عمر : سميه كما تشائين .

صفية : يا سيدي تعشَّ الليلة ولك عليّ ألا أعود لمثلها أبدا .

ابن عمر : سأفعل يا صفية من أجلك ولكني أقسم بالله لا أتعشى بعد الليلة أبدا إلا إذا حضر من يؤاكلني من أولئك المحتاجين المتعففين .

آه . آه .

صفية : وي . ماذا بك يا أبا عبد الرحمن ؟

ابن عمر : لا شيء يا صفية .

صفية : تبا لي أنا أرهقتك .

ابن عمر : كلا يا صفية . ما بي إلا شيء من العطش الشديد . كأنه حريق في جوفي .

صفية : انتظر . قد علَّقْتُ لك قربة منذ الصباح فلا بد أن ماءها الآن بارد كالثلج (تخرج) .

ابن عمر : **(يتمتم)** الحمد لله الذي رزقني هذه الزوجة الصالحة . ويحها . ما أحناها علي .

صفية : **(تعود) خذ يا أبا عبد الرحمن** .

ابن عمر : الله . كأنها قطعة من الثلج .

صفية : الريح السموم قد ساقها الله اليوم لتبرد الماء لك ، وهذا قدح جديد من الخزف يطيب الشرب فيه . **(تفرغ الماء من القربة في القدح)** .

ابن عمر : ما أطيب رائحة القدح .

صفية : وضعت الأشنان فيه يا أبا عبد الرحمن . اشرب هنيئا مريئا . ستطفئ به ما في جوفك إن شاء الله .

ابن عمر : ما في جوفي من الحريق .

صفية : أجل . سيزول إن شاء الله .

ابن عمر : **(في صوت يخالطه البكاء)** ما في جوفي من الحريق .

صفية : اشرب .

ابن عمر : (يجرع جرعة من الماء) الله . الله .

صفية : اشرب يا أبا عبد الرحمن .

ابن عمر : خذيه يا صفية . حسبي ما شربت .

صفية : إنك لم تذق غير جرعة واحدة . وي . إنك لتبكي يا أبا عبد الرحمن . هل تشكو من وجع .

ابن عمر : لا يا صفية .

صفية : فماذا يبكيك ؟

ابن عمر : ذكرت آية في كتاب الله يا صفية .

صفية : أية آية يا أبا عبد الرحمن ؟

ابن عمر : ذكرت قوله تعالى عن أهل النار : ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ . وأي شيء يا صفية أشهى إلى النار من الماء البارد ؟

صفية : يا ليتني ما أتيتك به .

ابن عمر : **(يردد)** ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ . ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ .

(٣)

ابن عمر : ماذا أشم يا حمزة ؟ رائحة سمك يُقْلَى ؟

حمزة : نعم يا أبي . أمي تقليه في المطبخ .

ابن عمر : لكنهم قالوا إنه لا يوجد في المدينة سمك هذه الأيام ؟

حمزة : أجل يا أبي ليس هذا موسمه .

ابن عمر : فمن أين جاءت به أمك ؟

حمزة : من ساحل ينبع .

مسرحية

يحسبهم الجاهل أغنياء

ابن عمر : من ساحل ينبع ؟!

حمزة : أرسلت أمي من يبتاعه من هناك .

ابن عمر : فيم كل هذا ؟ ما كان ما يدعو إلى ذلك .

حمزة : ألم تقل لها أمس إنك تشتهي أن تأكل لحم حوت ؟

ابن عمر : يا ليتني ما قلت لها .

حمزة : ها هي ذي أمي مقبلة . لا بد أنها فرغت من قليه .

صفية : ما لك يا حمزة لا تدعك لأبيك ؟

حمزة : قد فعلت يا أماه .

صفية : علام انقطعت ؟

ابن عمر : أنا الذي قلت له كفاية .

صفية : وأنا يا أبا عبد الرحمن قد أعددت لك الحوت الذي تشتهيه .

ابن عمر : أحقا يا صفية أرسلت في طلبه من ينبع ؟

صفية : من أجلك يا أبا عبد الرحمن أرسل في طلبه من ساحل اليمن .

ابن عمر : يا ليتني ما قلت لك إن نفسي تشتهيه .

صفية : فيم يا أبا عبد الرحمن ؟

ابن عمر : النفس الأمارة با لسوء .

صفية : أي سوء يا أبا عبد الرحمن فيما أحله الله عز وجل ؟ وقد قال عنه في كتابه : ﴿ وتأكلون منه لحما طريا ﴾ .

ابن عمر : ولكن جلبه من ينبع . من أجل شهوة رجل يتشهى .

صفية : يا سيدي إنك لم تَطْعَمْ شيئا منذ أيام وقد مالت نفسك إلى الحوت . فأي شيء في ذلك ؟

ابن عمر : من ينبع ؟!

صفية : وهل يجلب الحوت إلا من ساحل البحر .

ابن عمر : يجلب لعبد الله خصوصا دون سائر أهل المدينة .

صفية : ويلك حمزة . لم تخبر أباك بكل شيء ؟

حمزة : هو سألني يا أماه من أين ؟

سائل : (صوته من بعيد) يا أهل الخير . يا أهل الخير . سائل مسكين .

ابن عمر : أحضريه يا صفية .

صفية : الآن ؟

ابن عمر : نعم .



صفية : لم يحن موعد غدائك بعد .

ابن عمر : **لا بأس أن نجعل به اليوم** .

صفية : خيرا يا أبا عبد الرحمن . لتأكله وهو سخن . تعالَ معي يا حمزة .

ابن عمر : **(يتمتم)** أين صوت ذلك السائل ؟ هل عدل إلى طريق آخر ؟

السائل : **(صوته)** يا أهل الخير . يا أهل الخير .

ابن عمر : الحمد لله هذا صوته قد عاد .

صفية : **(تدخل بالحوت المقلي في طبق فتضعه أمام ابن عمر)** شممت رائحته يا أبا عبد الرحمن ؟

ابن عمر : بوركت يا صفية . أراه شهيا يسيل له اللعاب .

صفية : ضع الخبز هنا يا حمزة . هيا يا أبا عبد الرحمن كل هنيئا مريئا .

السائل : **(صوته)** يا أهل الخير . يا أهل الخير .

ابن عمر : انطلق يا حمزة فادع لنا هذا السائل المسكين .

حمزة : سمعا يا أبي **(ينطلق خارجا)** .

صفية : كل يا أبا عبد الرحمن . لا شأن لك بالسائل . نحن نعطيه .

ابن عمر : أعطوه هذا الحوت يا صفية .

صفية : سنعطيه طعاما آخر يا أبا عبد الرحمن . أما هذا الحوت فقد جلبناه لك أنت ، وصنعناه لك أنت وأنت عليل وفيه شفاؤك وعلاجك . وهذا رجل جائع يأكل كل شيء .

ابن عمر : أطيعيني يا صفية .

صفية : إذن فذق منه شيئا ونعطي الباقي للسائل .

ابن عمر : لا والله يا صفية لا أذوق منه شيئا .

صفية : أمن أجل هذا السائل ؟

ابن عمر : لا ليس من أجله يا صفية .

صفية : أما كنت تشتهي الحوت ؟ ألا تحبه ؟

ابن عمر : بلى يا صفية .

صفية : لم لا تذوق إذن وقد تعبنا فيه ؟

ابن عمر : لأن عبد الله يحبه يا صفية . . عبد الله بن عمر يحبه .

(ستار)

شخصية المتنبي في آثار الجارم النثرية



بقلم: أحمد فضل شبلول

سعدت جدًا بالملف القيِّم الذي قدمته (الفيصل) في عددها السابق عن الشاعر علي الجارم والذي أظهر جوانب ليست معروفة بشكل كبير عن هذا الرائد في مجالات متنوعة مثل «علم النفس» و«علم التربية» و«تبسيط النحو» و«النقد»، وأودهنا أن أجلو جانبًا مهمًا في تراث هذا الشاعر والناثر، وهو «شخصية المتنبي في آثار الجارم النثرية».

عندما تعرض الشاعر علي الجارم إلى شخصية المتنبي وضع في اعتباره السياق التاريخي الحقيقي لسيرة المتنبي كما كتبها معاصروه وكما رواها المؤرخون عنه، ثم أضاف إلى ذلك خياله الفني وحسه الشاعر بشخصية هذا الشاعر العربي العظيم بكل انفعالاتها وتوتراتها وأزماتها النفسية ودوافعها وإحباطاتها وطموحاتها وصراعاتها وسلوكياتها واضطراباتها وتوافقها أو عدم توافقها مع المجتمع الذي تعيش فيه تلك الشخصية، سواء كان المجتمع العادي أو مجتمع القصور ومجتمع الملوك والأمراء والوزراء والحاشية والبلاط.

وقد تعرض علي الجارم إلى شخصية المتنبي بصورة مباشرة من خلال عمليه «الشاعر الطموح» و«خاتمة المطاف»[1]. ومن خلال هذين العملين أو الأثرين نستطيع التحدث عن شخصية المتنبي على النحو التالي:

عرف المتنبي حياة الصحراء وأخلاق الأعراب في طليعة صباه حينما كان يتنقل بين القبائل في بادية الكوفة ليتلقى اللغة من أفواه رجالها، ثم عرف الصحراء حينما أقام طويلاً في بادية السماوة بالشام بين بني كلاب، لذا لم يكن على الصحراء دخيلا، ولم يكن عن عادات الأعراب بعيدًا. (ص٢١٦).

يرسم علي الجارم ملامح وصفات جسدية لشخصية المتنبي وهو في سن التاسعة والثلاثين من عمره على النحو التالي: «طويل فاره، خفيف اللحم، أسمر اللون، عريض الجبهة، براق العينين، شديد سوادهما، مستقيم الأنف، ترتفع أرنبته إلى ما يقرب من الشمم، في شفتيه رقة، وفي عنقه صَيَد، وفي ملامحه ثقة المعتز بنفسه، وفي نظراته كبرياء العباقرة، وفي صدره المرتفع ما ينم على مايملأ هذا الصدر من آمال جسام» (ص١١٠).

شخصية مغرورة

في مجلس سيف الدولة يصف أبو فراس الحمداني المتنبي بالغرور وسماجة الخلق، ولؤم العنصر، ووضاعة النسب (ص١٠٤) ويرد سيف الدولة الحمداني عليه بقوله: **لقد قلت حقا يا ابن العم** (ص١٠٤). وفي موضع آخر يقول سيف الدولة عن المتنبي: «**إني سئمت كبره وإدلاله وتجنيه**» (ص١٠٥).

ويصف آخرُ المتنبي بقوله: «**يحيينا بشعره، ولكنه يميتنا في اليوم ألف مرة بزهوه وإعجابه**» (ص١١١). ويعترف متنبي الجارم بغروره في قوله: «**ساقني الغرور إلى مصر**» (ص٢٠٥). ويقول عنه الجارم: «**إنه هو الذي ازدهى على الأمراء وتحكم فيهم ثم هجاهم، وهو الذي تزلف إليه العظماء فازدراهم، وسمت إليه عيون الشعراء فبهرهم وأخرسهم، وحاول علماء الأدب واللغة أن يجروا معه في شوط فبزَّهم وأخمد أنفاسهم. وإنه الفارس المغوار والبطل الكرّار الذي تحدى الصحراء وأرغم أنف البيداء وصارع الموت وأفنى الفناء**». (ص٢٢٦) ثم يورد أو يتمثل ببيت المتنبي الذي يقول فيه:

يحاذرني حتفي كأني حتفه	وتنكزني الأفعى فيقتلها سُمّي

ويبدو أن صفة الغرور التي كان عليها المتنبي قد انعكست على رأي زائريه فيه، فيصفه الشريف الحسن العلوي بقوله: «إنك لا تصرف القصيدة كلها إلى ممدوحك كما تفعل جمهرة الشعراء، ولكنك تتصدق عليه بأبيات قليلة» (ص٢٣١).

شخصية ذات كبرياء

تُعَدّ الكبرياء الصفة الثانية المشهورة عند شخصية المتنبي بعد الغرور، وبين الغرور والكبرياء مسافة يسيرة أو فارق يسير، وقد يفهم الغرور على أنه كبرياء، وقد تفهم الكبرياء على أنها غرور، وعن ملامح الكبرياء في شخصية المتنبي أنه كان يرفض تقبيل الأرض بين يدي سيف الدولة. **ومن ملامح الكبرياء عند المتنبي كذلك ترفعه عن الخوض فيما يخوض فيه الناس، يقول له ابن سعيد بعد أن عرف بالدسائس والفتن والمؤمرات التي تدبر للمتنبي في بلاط سيف الدولة، يقول له: «خض مع الناس فيما يخوضون، وخذهم كما يكونون، واحتل إذا وجدت الاحتيال مطية لمآربك، وبش في وجوه قوم وقلبك يلعنهم»** (ص١١٢). فيرد عليه المتنبي قائلا: «لا. . لا. يا أبا الحسن. ذلك عهد ودعته منذ حين، فإن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها. . ولن أفسد خلقي لفساد أخلاق الناس، ولن أضيع مروءتي بين ملق دنيء، وخداع وبيء.

أنت تريدني على أن أقذف بأخلاقي ورجولتي في التراب لأرتدي ثوبا من الرياء مخرقا. .» (ص١١٣).

ومن دلائل الكبرياء في شخصية المتنبي قوله بعد أن فر من مصر (٢٥٠ هـ) وعاد إلى الكوفة: «إذا فاتني الملك فلن تفوتني المنزلة الرفيعة بين ملوك الأرض، ولن يفوتني أن يعدني الناس ملكا من غير صولجان» (ص٢٢٩).

شخصية ذات طموح

يرى متنبي الجارم نفسه أنه طموح لدرجة لم يصلها إنسان قبله، وأن الناس يرون هذا السمو والطموح إلى المعالي كبرًا وغرورًا، وهو يرى أنه لا يزال في فسيح الأرض مضطرب للكريم الذي يطلب ما يعجز الطيرَ ورده، ويبتغي ما هو أجلُّ أن يسمّى (ص١١١).

وهو في سبيل تحقيق طموحه الذي يسعى إليه هجر سيف الدولة الحمداني الذي لم يجد عنده بغيته، ورحل إلى مصر (في طليعة جمادى الآخرة سنة ٣٤٦ هـ) تثور في نفسه «شياطين الجشع والطموح» (ص١٣٠). وفي سبيل تحقيق أحلامه وأطماعه وطموحاته «نسي العبد الأسود وما في مدحه من مذلة ومهانة» (ص١٣٠). لقد رحل إلى مصر كي يحقق طموحه ـ الذي لن يتحقق ـ وأخذ يلح على كافور بالتلميح تارة وبالتصريح أخرى ـ أن يوليه ولاية من ولايات مصر، وعندما سأله كافور: ما رأيك في ولاية صيداء، إنها ولاية واسعة وافرة الخيرات؟ كاد المتنبي يطير من فوق كرسيه فرحًا (ص١٦٤)، ووقف خاضع الرأس أمام كافور كأنه الراهب في محرابه، وطفق يقول: «إنني سأكون أعدل والٍ لها، وأوفى والٍ لك يا مولانا» (ص١٦٤). ولم يكن وعد كافور بتولية المتنبي ولاية صيداء سوى اختبار لنوايا المتنبي وسخرية منه؛ لأنه نُمي إلى علمه أن شدة طموح المتنبي في سبيل أن يكون حاكما جعلته يتفق مع أبي شجاع فاتك على انتزاع الملك من كافور (بالرأي والسيف والشعر) وأن يحكم مصر مناصفة مع فاتك. لقد لعب خيال الشعراء والطموح المرضي لدى المتنبي برأسه لدرجة تخيل فيها أنه يحكم مصر مناصفة مع فاتك عدو كافور.

يحكي المتنبي لصديقه ابن يوسف الخطة الطموح التي وضعها فاتك للاستيلاء على حكم مصر بمساعدة المتنبي فينقل له ما ورد على لسان فاتك في قوله: **«رأيي حينما تسنح الفرصة أن أجمع قبائل العرب الضاربة بالفيوم وأن أكوّن منها جيشا لُهَامًا نزحف به على الفسطاط، ونقبض على كافور، ونريح الدنيا من اسمه، ثم تكون ولاية مصر شركة بيننا على السواء. ما رأيك يا أبا الطيب؟»** يقول المتنبي: **«فدهشت وبُهتّ وكادت تدركني غشية، لقد كانت مفاجأة عجيبة يا ابن يوسف، أكون ملكا لمصر؟ أنا الذي كان يطمع في ولاية صغيرة من العبد أكون ملكا لمصر؟ وأدبر الأمر من مصر إلى عدن إلى العراق فأرض الروم فالنوب؟ هذا أشبه بالأحلام، وأَدْخَل في باب الأوهام.** إن مطامحي لم تصل بي إلى هذا، ولكن ماذا أعمل والخطة واضحة، والغاية محققة؟»

وعلى الرغم من كل هذا فإن أحد أصدقاء المتنبي الخلصاء يراه «الحركة الدائبة والطموح الوثاب والهمة الغلابة والعزم الفصّال» (ص٢٠٩). **إن الطموح الذي تطلع المتنبي إلى تحقيقه ـ بأية وسيلة كانت ـ قد انتهى به إلى سخرية الناس منه وإلى انكساره النفسي، يقول متنبي الجارم: «كنت أطمح إلى أن أكون رجل الدنيا فأبت عليّ الدنيا، وكنت أطمح إلى أن أكون ملكا فنبذتني العروش وسخرت مني التيجان»** (ص٢٧٠).

الشعور بالعظمة والعبقرية

يرى سيف الدولة الحمداني أن المتنبي شاعر مجنون بالعظمة، تيَّاه على الملوك (ص١٠٦). وعندما قدم المتنبي إلى دار ابن رشدين بمصر واستقبلته عائشة بنت رشدين رأت فيه صورة للعظمة العربية والرجولة المتوثبة، ورجعت البصر فرأت فيه ملامح البطولة (ص١٥٢). **وعندما جرى الحديث بينهما (متنبي الجارم وعائشة المصرية) قالت له: أتخيل أنك ولدت في ليلة عاصفة كثيرة الأنواء والأعاصير، كان الرعد فيها يصدع أقطار السماء، والصواعق تنقض كأنها رؤوس الشياطين! لقد صدئ سيفك في غمده هنا (تقصد في مصر) يا أبا الطيب وملَّ جوادك من طول الوقوف. إن مثلك لم يخلق ليجلس في شمس الشتاء، أو يقضي أصيل يوم الصيف في زورق يقذف به نسيم النيل الواني من مصر إلى حلوان، وإنما خلقت للصراع والصدام، وأن تدخل من قتام في قتام»** (ص١٧٢).

ويصف الجارم عظمة المتنبي بقوله: «كأن سرعة وميض نظرة الخزاعي (عبد العزيز الخزاعي زعيم العرب ببلبيس) تقول: أحياة هذه العبقرية الضخمة وذلك النبوغ الخارق أصبحت معلقة بكلمة يقولها هذا الغر الأبله الذي لا يعقل ولا يبين؟ أذلك العقل الهبرزي، والذهن الوقاد، رمى به نحس الطالع إلى أن يستجدي بسمة رضا من هذا الحيوان الجاهل المعتوه؟ أليس من أضاحيك القدر ومبكياته أن يقف المتنبي وهو الفارس الكرَّار والبطل المغوار الذي ملأ خياشيمه غبار الوقائع ذليلا مستعطفا أمام ذلك المرور الأحمق والرعديد المائق؟ . . .» (ص١٩٨).

ويبدو أن وصف عائشة بنت رشدين ومدحها السابق للمتنبي قد فعل مفعوله داخل نفسيته، فعندما أراد تقويم الموقف النفسي وحاله بعد العودة إلى الكوفة أخذ يستظل بظلال كلمات عائشة ويعيدها على أنها وصف صحيح لحالته النفسية والتاريخية. وتلاحظ أن هناك كلمات بعينها يكررها المتنبي مستقاة من حديث عائشة له.

شخصية نادمة

على الرغم من أن المتنبي فارق سيف الدولة بإرادته وطوعه ولم يجبر على ذلك، فإن الندم ظل يصاحبه طوال عمره على فعلته هذه. وهو في غمرة ندمه هذا لم يستجب للنداءات المتكررة التي ظل سيف الدولة يرسلها له كي يعود إلى كنفه وحمايته وبلاطه، وبخاصة بعد هروبه من مصر ولجوئه إلى بلده «الكوفة». إن سيف الدولة لم يدخر محاولة لضم المتنبي مرة أخرة إلى بلاطه. غير أن الندم الأكبر الذي أعلنه المتنبي صراحة أكثر من مرة هو ندمه على لجوئه إلى كافور الإخشيدي ومدحه إياه وبخاصة بعد أن وعده كافور باقتطاعه ولاية صيداء له، ثم معرفة المتنبي أن هذا الوعد ما هو إلا مقدمة لمضايقات جديدة تدبر ضده.

يقول المتنبي في حديثه لابن يوسف : «لقد فقدت بقدومي إلى العبد (يقصد كافورًا) كل شيء فقدت شبابي، وفقدت آمالي، وفقدت كرامتي، ودنست اسمي بين الشعراء . . . » (ص٢٠٣).

ثم يعود إلى إعلان ندمه لمفارقته سيف الدولة فيقول : «أين أنا من سيف الدولة ومن أيامه النضرات ولياليه المشرقات؟ تركت هذا الملك الحر الكريم المجاهد يا ابن يوسف ثم قصدت من؟ قصدت كافورا الزنجي الخبيث النتن الكذاب الماكر المحتال، فجزاني الله على كفري بالنعمة، وألقى بي في عذاب الجحيم بعد أن بطرت على الجنة»(ص٢٠٥).

ويعود فيعلن عن ندمه الأكبر للجوئه إلى مصر قائلا : «إنني أريد أن أنسى أني رحلت إلى مصر، وأني قصدت الأسود». (ص٢١٨).

وهكذا يتقلب المتنبي بين ندمين : ندمه لمفارقة سيف الدولة، وندمه للجوئه إلى مصر ومدحه كافور الأخشيدي.

شخصية هروبية

على الرغم مما اشتهر به المتنبي من فروسية وبطولة، ومشاركته في بعض المعارك مع سيف الدولة، والتي أجاد وصفها شعرًا. ومعارك أخرى وصفها علي الجارم منها استخدامه للسيف عندما تمرد عليه عبيده في طريقه من مصر إلى الكوفة، ومنها المعركة التي خاضها في الكوفة ضد بعض القرامطة، إلا أن الهروب كان سمةً أساسية في حياة المتنبي. يقول المتنبي : «وكأن حياتي أصبحت كلها فرارًا وكأنه كتب عليَّ ألا ألقى ملكا إلا فارًا من ملك وألا أودع ممدوحا إلا بمثل ما قلت في كافور» (ص٢٠٥).

والهروب الأول في حياة المتنبي كان مع والده حيث فرَّا من أبي طاهر زعيم القرامطة في الكوفة سنة ٣١٩ هـ، يقول : «خرجت فارًا مع أبي في حماية الليل وستاره، حتى بغداد فلم أقم بها طويلا حتى ودعت أبي واتخذت طريقي إلى شمال الشام». (ص٢٣١).

والهروب الثاني في حياة المتنبي وقع عندما فرّ من بدر بن عمار «فلم أجد وسيلة إلا أن أفر منه وأن أتخذ الليل مركبا وأترك عنده آمالا لم تتفتح أزهارها، ولم تزغب أطيارها وكانت هذه هي الخيبة الأولى». (ص٢٠٤).

أما الهروب الثالث فكان عندما فر من سيف الدولة الحمداني الذي عاش في كنفه سنوات، يقول : «نبت بي حلب وخرجت منها ليلاً كما يخرج اللص المطارد» (ص٢٠٤).

والهروب الرابع كان عندما فَرَّ من مصر ومن حاكمها كافور الأخشيدي ليلة عيد الأضحى لعام ٣٥٠ هـ، وفي هذا الهروب أنشأ المتنبي قصيدته الدالية المعروفة التي يقول في مطلعها :

عيدٌ. بأية حال عدت يا عيدُ

بما مضى أم لأمر فيك تجديدُ

شخصية ملول، قلقة

من السمات الأساسية في شخصية المتنبي ـ كما وردت في آثار علي الجارم النثرية ـ أنها شخصية ملول لا تحب الجلوس في مكان واحد ولا مدح شخص واحد، يقول الجارم : «قضى الشاعر شهرين في ضيافة ابن العميد محفوفا بصنوف الإكرام والرعاية ولكن نفسه الملول أبت عليه أن يركد في مكان كالماء الآسن» (ص٢٦٢). وعندما نصحه ابن العميد أن يتجه إلى عضد الدولة ليقيم عنده أجابه بقوله : «ولكني يا سيدي رجل ملول شديد الضجر مولع بالنقلة، وهذا لا يرضي هؤلاء الملوك الذين يلذ لهم احتباسي على الرغم مني، فإذا قبلني على أن أقيم عنده كما أشاء، وأرحل عنه متى أشاء توجهت إليه». (ص٢٦٢).

وقد حاول المتنبي أكثر من مرة الانسحاب من الحياة العامة ـ بصفة عامة ـ وحياة الشعر والشعراء بخاصة وذلك إثر عودته إلى الكوفة ورغبته في الخلود إلى الراحة والهدوء، يقول لزوجته فاطمة : «لن أقول من الآن شعرا ولن يظفر مني أمثال هؤلاء المناكيد ببيت واحد . . . لقد ألقيت عناني للشعر طويلا فأحلني دار الهوان وزحزحني عن قمة المجد، وسأسكت اليوم شعري ليتكلم سيفي» (ص٢٢٧، ٢٢٨).

وقبل أن يقتل المتنبي (٣٥٤ هـ) كان لديه إحساس مفعم بالصدق بقرب أجله ودنوه وانسحابه من الحياة، فأخذ يذكر الموت كثيرًا في شعره وفي أقواله وردوده على أصدقائه، يقول في أواخر أيام حياته :

وما الموت إلا سارقٌ دَقَّ شخصُهُ ... يصول بلا كف ويسعى بلا رجْلِ

ويقول :

نعد المشرفية والعوالي ... وتقتلنا المنون بلا قتال

وعندما يسأله ابن حمزة : ما هذا الشعر القاتم يا أبا الطيب؟ وما لنا ولذكر الموت والمنون، يجيبه بقوله : «الموت يا ابن حمزة راحة الحزين وموئل اليائس» (ص٢٧٠).

وما فرار المتنبي الذي سبق أن تحدثنا عنه سوى نوع من أنواع الانسحاب من حياة عاشها وأراد أن ينسحب منها سواء كان هذا الانسحاب باختياره كما في حالة هروبه من حلب، أو أجبر عليه لتوقعاته بمؤامرات تحاك ضده كما في حالة هروبه من مصر.

هكذا بدت شخصية المتنبي في آثار الشاعر والأديب علي الجارم النثرية والتي بلغت عشرة أعمال يدور أغلبها حول شعراء معروفين في تاريخنا الشعري، ولكن يبدو أن للمتنبي تأثيرًا كبيرًا على الجارم لذا فقد خصه بعملين من أعماله العشرة وهما : الشاعر الطموح وخاتمة المطاف.

الهوامش

(١) علي الجارم، الأعمال النثرية الكاملة، القاهرة : دار الشروق ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩م) الطبعة الأولى. (ص ص٩٥ـ٢٧٢).

تلاوة القرآن

كان السلف الصالح - رضي الله عنهم - يكثرون من تلاوة القرآن الكريم في رمضان في الصلاة وغيرها، وكان الزُهْرِيُّ - يرحمه الله - إذا دخل رمضان يقول: «إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام». وكان مالك - يرحمه الله - إذا دخل هذا الشهر ترك قراءة الحديث ومجالس العلم وأقبل على قراءة القرآن من المصحف. وكان قتادة - يرحمه الله - يختتم القرآن في كل سبع ليال دائما، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأخيرة منه في كل ليلة.

البريد الصوتي

كان ذلك في غزوة الحديبية سنة ست من الهجرة، كما يذكر المقريزي في «إمتاع الأسماع» حيث يقول: «وبلغ أهل مكة خروج رسول الله ﷺ، فراعهم ذلك وتشاوروا، ثم قدّموا عكرمة بن أبي جهل، أو خالد ابن الوليد، على مئتي فارس إلى كُراع الغميم (بين مكة والمدينة) واستنفروا مَنْ أطاعهم من حُلفاء قريش من بني كنانة (كانوا قد تحالفوا تحت جبل يقال له حُبْشِيّ)، وأجلبت ثقيف معهم (أي انضمت) ووضعوا العيونَ على الجبال، وهم عشرة رجال يُوحِي بعضهم إلى بعض بالصوت: فعل محمد كذا وكذا، فيردِّد من بَعْده قوله، وهكذا حتى ينتهي ذلك إلى قريش».

وهذا سبق حضاريّ قديم، له نظير معاصر في الحروب الحديثة بالتخاطب بالإشارة بالأعلام، التي تطورت إلى النظام اللاسلكي والراداري.

ويأتيك بالأمثال:

دُهْ دُرَّيْنِ سَعْدُ القَيْنْ

أصل المثل أن العرب تعتقد أن العَجَمَ أهل مكر وخديعة، وكان العجم يخالطونهم، وكانو يتَّجرون في الدُّرِّ، ولا يحسنون العربية، فإذا أرادوا أن يعبِّروا عن العشرة قالوا: «ده»، وعن الاثنين؛ قالوا: «دو»، فوقع إليهم رجل معه خرزات سود وبيض، فلبَّس عليهم، وقال: دُو دُرَّيْن، أي نوعان من الدُّر أو «دُه درين»، أي قال: عشرة منه بكذا، ففتشوا عنه فوجدوه كاذبًا فيما زعم، فقالوا: «دُهْ دُرَّين» ثم ضَمُّوا إلى هذا اللفظ «سَعْد القين» لأنهم عَرَفوه بالكذب حين قالوا: إذا سمعت بِسُرى القَيْنِ فإنَّه مُصْبح، فجمعوا بين هذين اللفظين في العبارة عن الكذب، وثنَّوا قولهم «درّينِ» لمزاوجة القَيْن. فإذا أرادوا أن يعبِّروا بها عن الباطل تكلموا بهذا. . ويقال للرجل يُهْزَأ منه: دُهْ دُرَّين، وطرطبين.

ما اتفق لفظه واختلف معناه

البِكْرُ

تأتي على أربعة أوجه:

١ - البِكْرُ: العذراء من النِّساء.

٢ - والبكر: أَوَّلُ وَلَدٍ تَلِدُ المرأةُ.

٣ - والبِكْرُ من الإبل: التي نُتِجت بطنًا واحدًا.

٤ - والبكر من الحوائج: التي طُلِبت حديثا، قال الشاعر:

عَوَانٍ من الحاجات أو حاجةً بكرا

ونارٌ بِكْرٌ: أن لم تقتبس من نار

عبادة

من حِكَم الصيام أنه عبادة لله تعالى يتقرّب العبد فيها إلى ربه بترك مشتهياته من طعام وشراب ونكاح،

فيظهر بذلك صدق إيمانه وكمال عبوديته لله وقوة محبته له ورجاؤه ما عنده.

ومن حِكَم الصيام أن الغني يعرف به نعمة الله عليه بالغنى؛

حيث أنعم الله عليه بهذه النعم وقد حرمها كثيرًا من الخلق، فيحمد الله على هذه النعمة، ويشكره على هذا التيسير، ويذكر بذلك أخاه الفقير الذي ربما يبيت طاويًا جائعا، فيجود عليه بالصدقة يكسو بها عورته ويسد بها جوعته.

ومن حِكَم الصيام أنه سبب للتّقوى، فأنه كلما همَّ إنسان بمعصية تذكّر أنه صائم فامتنع عنها.



مدينة ينبع السعودية قبل خمسة وسبعين عامًا

الأكبر

أكبر شبه جزيرة في العالم هي شبه الجزيرة العربية، حيث تبلغ مساحتها ٣,٢٥٠,٠٠٠ كم مربع. أما أكبر جزيرة في العالم فهي جرينلاند، التي تبلغ مساحتها ٢,١٧٥,٠٠٠ كم مربع، وهناك دلائل على أن هذه الجزيرة هي - في الواقع - عدة جزر تغطيها طبقة جليدية تجمع بينها.

ثيران تكسب حربًا!

اكتشف القائد القرطاجي الأشهر «هينبعل»، حين انسدل الظلام، أن العدو معسكر في واد عميق ونيرانه موقدة، فعلم أن هذا العدو لا يخشى هجومًا ليليًا عليه، إذ ليس ثمة قائد حربي يعلن قصدا عن مكانه الخفي في الليل، فأصدر القائد القرطاجي أوامره بأن يجمع رجاله مئتي ثور على قمة الأكمة، وأن يربطوا بقرونها مشاعل مصنوعة من خشب سريع الالتهاب، وهو الراتنج، وحين أعطى الإشارة المتفق عليها أوقد الرجال في الخشب، ودفعوا الثيران إلى الوادي وخزًا وركلاً، فانطلقت وقد جنّ جنونها بأربعمئة مشعل ملتهب، وشقت طريقها على غير هدى عبر المعسكر تبث الذعر وتنشر الخراب، مشعلة المنطقة بأسرها، ثم هجم هنيبعل، وهزم عدوًا دبّت في صفوفه الفوضى.

شكسبير على مدار الساعة!

في اثنتي عشرة رواية من أعمال شكسبير المسرحية إشارات إلى التوقيت، وهذه الإشارات تندرج من الواحدة إلى الثانية عشرة على النحو التالي:

١ - «الجرس بعدئذٍ يدق الواحدة»/ **«هاملت»**.

٢ - «بالطبع، يا لوتشيانا، إنها الساعة الثانية» / **«كوميديا الأخطاء»**.

٣ - «لقد دقت الساعة الثالثة» / **«يوليوس قيصر»**.

٤ - «في أي وقت من الصباح أيها اللوردات، لدى إعلان الساعة الضربة الرابعة؟» / **«ريتشارد الثالث»**.

٥ - «في الساعة الخامسة سأتسلم المال لقاء الشيء نفسه» / **«كوميديا الأخطاء»**.

٦ - «كيف ترى هذا اليوم عند الساعة السادسة؟» / **«العاصفة»**

٧ - «النر، أعتقد أنها الآن حوالى الساعة السابعة» / «ترويض النمرة».

٨ - «الساعة الثامنة، ليكن ذلك أولا» / **«يوليوس قيصر»**

٩ - «إنه وقت العشاء، يا سيدي، إنها الساعة التاسعة» / **«يوليوس قيصر»**.

١٠ - «الساعة العاشرة في غضون هذه الساعات الثلاث يكون الوقت كافيا للعودة إلى البيت» / رواية **«كل شيء على ما يرام إذا انتهى على ما يرام»**

١١ - «الساعة الحادية عشرة» / **«زوجات وندسور المرحات»**

١٢ - «كم الساعة الآن، أعتقد أنها أقل من الثانية عشرة» / **«هاملت»**.

○ ○

الكهف



ماذا نفعل؟

هرب العقاد، عباس محمود، إلى التاريخ. لقد تم احتلال فلسطين في أيامه وعاش العرب يلعقون الجراح ويهتفون بعودة اللاجئين، وطرد الطارئين. رحمه الله بموتٍ قبل عام ١٩٦٧م بعد أن قدم للمكتبة عبقريات متعددة عن النبي ﷺ والخلفاء وخالد بن الوليد.

مات أيضا سيد قطب بعد أن قدم للمكتبة «في ظلال القرآن» ولم تروعه النكبة العامة التي غاب عنها.

ماذا نفعل نحن؟

نكبة بعد نكبة. في الهند عدة مرات. في غيرها عديد من الأماكن، حتى لقد قال الشاعر في ماضٍ مضى:

لست عندي بزمان ... إنما أنت «زمانة»

الذين ماتوا، كانوا قد سيطروا على قرن حافل الوجدان بمخاضات رهيبة.

لكن أعظم المخاضات أننا نرى بأعيننا مصداق الآية المحكمة ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا، الذي ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ الكهف ١٠٣-١٠٤.

إن هربنا إلى التاريخ أو إلى الأدب، لن يفيد، لن يكفي. ومن رحمة الله بنا أن النبي الكريم ﷺ وجهنا إلى قراءة سورة الكهف كل جمعة.

وأكثر ما يتردد على الألسنة كلمة «وليتلطف» حتى لا ينكشف أمر الفتية الذين هربوا إلى الكهف، فظنوا أن الحياة باقية كما كانت.

ومن رحمة الله أنه أنزل إلينا سورة قصيرة جدًا هي سورة العصر.

العصر ليس الزمن، مع أن الزمن مشمول في مدلولات الكلمة. إن سورة العصر وسورة الكهف تمتزج آفاقهما في عصرنا وموقعنا.

الهرب، إذًا، إلى القرآن يعني الكرة بعد الفرة. فقد يأتي جيل يكون من الكرار خلفا لجيل الفرار. مع ذلك سيطاردك ما تهرب منه، من كل أفق، فيسد عليك الأفق.

الغزو الفكري أصبح ملموسًا مرئيًا مسموعًا. فأي كهف يحمينا؟ ومن ذا الذي يحمي أطفال البوسنة، أو رجال فلسطين؟!

ماذا نفعل؟ كيف نهرب؟ وإلى أين؟

لقد عجز التاريخ والأدب والفلسفة والحضارة عن حماية المكتبة الضخمة في قلب سراييفو أمام سمع الدنيا وبصرها وأظهرت الشاشات المرئية علنًا على كل أرجاء المعمورة وكل أنحاء البسيطة ظلمًا ليس فيه أي رحمة.

الشاشات تطاردنا بغزو فكري، وتعرض علينا ضعفًا رهيبًا في عمراننا الإنساني. السيف يرتفع فوق الرأس، والكاميرا تسجل أفلامًا توثيقية، والقتيل يتفرج على نفسه مقتولاً مقهورًا، ويدفع فاتورة الكهرباء التي أشعلت الشاشات.

منتهى التقدم المدني أو الحيواني، ومنتهى التخلف الثقافي الروحي، الأخلاقي. ومع ذلك يصيح البشر: نحن بانتظار عام ألفين (٢٠٠٠) لنحتفل بذروته.

سورة العصر فيها كهف واسع يحمينا، إذا نحن عدنا إليها، أو إلى «الكهف».

ولسنا نفزع إلا إلى الله. هو وحده إليه مُشتكانا.

محمد علي الجفري

الرحلة الملكية عام ١٣٤٣هـ



يعد هذا الكتاب وثيقة تاريخية حاولت رصد الرحلة التاريخية التي قام بها جلالة الملك الراحل عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود من مدينة الرياض إلى مكة المكرمة على ظهر المطي عبر الصحراء عام ١٣٤٣ هـ.

تلك الرحلة التي تجاوزت أهميتها السياسية والاجتماعية لتكون رحلة تاريخية وأدبية رائعة جمعت بين البطولة النادرة والحزم الواعي والإدارة الحكيمة، وتلك بعض الصفات التي كان يتحلى بها العاهل الراحل، غفر الله له وأثابه على كفاحه الصادق في سبيل جمع شمل هذه الأمة وتوحيد كلمتها.

وقد تصدّر الكتاب كلمة سامية لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز - حفظه الله - جاء فيها:

« كنت حديث العهد بالحياة والدنيا حين عزم الملك عبد العزيز - عليه رحمة الله ورضوانه - على السفر إلى مكة المكرمة قاصدا البيت الحرام للعمرة وتفقد أحوال مكة المكرمة وشؤونها في النظام والأمن والمعايش والمواصلات والتعليم والقضاء والإدارة وغير ذلك، مما يهم مواطني مكة المكرمة والوافدين إليها من كل ناحية وصوب.

فقد ولدت في العام نفسه الذي قام فيه الملك عبد العزيز برحلته الميمونة المشهورة إلى مكة المكرمة وهو عام ١٣٤٣ هجرية».

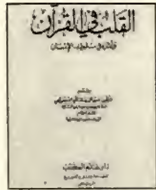
ثم يتناول - حفظه الله - تلك الرحلة بقوله:

« ومما لا شك فيه أن رحلة الملك عبد العزيز إلى مكة المكرمة تصور فصلا عظيما حيّا من فصول تاريخ المملكة الحديث نظرا لما انطوت عليه من أهمية فكرية وسياسية واجتماعية وجغرافية، وطنية وعالمية».

والكتاب طبعة جديدة قدمتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعد أن طبعت وزارة المعارف وقائع هذه الرحلة في عام ١٣٨٩ هـ، والتي كتبها في حلقات متتابعة الشيخ يوسف ياسين - رحمه الله - في صحيفة «أم القرى» عام ١٣٤٣ هـ.

تضمن الكتاب ١٣ حلقة تصف معالم الرحلة الميمونة وتنقلاتها وأحداثها، كما تضمن رصدًا لما نشر في صحيفة «أم القرى» عن رحلة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - من جدة إلى المدينة المنورة في الفترة من ٢١ إلى ٢٧ ربيع الآخر ١٣٤٥ هـ. ورحلته من المدينة المنورة إلى الرياض في الفترة من ٤ إلى ١٠ رجب ١٣٤٥ هـ.

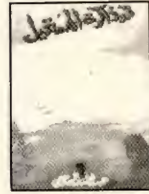
القلب في القرآن



يعنى هذا الكتاب بإبراز الدور الحقيقي للقلب في جسم الإنسان، فيما يتعلق بالإدراك المعرفي، والإيمان وما يتصل به من عواطف ووجدان، في علاقة القلب بالإنسان، كما يتناول أنواع القلوب، ويتحدث عن أمراضها ودوائها، وعلاقته بالسلوك والعلاقة مع الآخرين، وذلك كله في ضوء القرآن الكريم.

المؤلف هو الدكتور سيد ساداتي الشنقيطي، والكتاب صدر عن دار عالم الكتاب بالرياض، ويقع في ١٩٩ صفحة تتخللها عدة مباحث حول القلب وعلاجه، والمقصود بالعلاج هنا الحالة الإيمانية التي تتجلى في قلب المؤمن لينشأ على حب الله ورسوله والعمل الصالح.

في ذاكرة المستحيل



مجموعة قصصية قدمها **عبد الله السحيمي** ونشرتها دار **طويق للخدمات الإعلامية** وتضم المجموعة ١٤ قصة قصيرة.

عنوان المجموعة هو عنوان إحدى القصص، ويقدم د. **عائض الردادي** صاحب المجموعة فيعرف به أنه طالب جامعي لا يزال في مقاعد الدراسة، وهذه المجموعة عطاء طالب، تمثل أول الغيث، ومن خلال هذه البوادر يعلن أننا عثرنا على كاتب قصة جديد!

المجموعة تقع في ٩٢ صفحة من القطع الصغير، صاحب كل قصة رسم كاريكاتيري معبر.

تاريخ الشيخ محمد بن عبد الله المنصوري



هذا الكتاب عبارة عن دراسة وتحقيق لتاريخ الشيخ المذكور وذيله ابنه من بعده، أجراها د. إبراهيم محمد الزيد، الأستاذ المشارك بقسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز.

الكتاب تاريخي عني برصد أحداث منطقة الباحة منذ القرن الثاني عشر إلى الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري.

وتنبع أهمية الكتاب من أهمية الشيخ محمد بن عبد الله المنصوري وابنه من بعده، فقد توليا القضاء في المنطقة، ولهما مكانة دينية ومن خلالهما تم تسجيل ما تم من أحداث أو ما جرت في حياتهما.

ومن أهم ما تناوله الشيخ المنصوري في تأريخه أخبار الدولة السعودية الأولى وآل عائض أمراء عسير والأتراك وأمراء مكة، والقحط والغلاء وظهور الأوبئة والحرائق والأمطار.

وقد ألحق بالكتاب المخطوط نفسه المدروس وتضمن حوادث ووقائع تفصيلية جرت في المنطقة خلال الفترة الزمنية المحددة.

والكتاب من مطبوعات نادي الطائف الأدبي الذي ينتمي إلى عضويته المحقق.

سلسلة عظماء الإسلام



عن دار كرم بدمشق صدرت سلسلة عظماء الإسلام - رضي الله عنهم - **للمؤلف محمود إبراهيم الصهادي. وتضم السلسلة أكثر من عشرين قصة ضمت الأولى منها سيرة الرسول ﷺ وتبعها العشرة المبشرون بالجنة وأمهات المؤمنين وغيرهم من عظماء المسلمين.**

وهي تخاطب الناشئين وتبين لهم الحالة التي عاشوها والأعمال التي رفعتهم إلى المجد والسؤدد في سبيل نصرة الإسلام، في أسلوب قصصي لا يخلو من التشويق مع الالتزام بالرواية التاريخية المؤلفة وهي تحث أولادنا على الاقتداء بسيرهم العطرة

رحلتي مع المكتبات (مكتبات مكة المكرمة)



تأليف **الأستاذ عبد العزيز أحمد الرفاعي**، وهو أصلاً مجموعة مقالات نشرت وقام المؤلف بتجميعها.

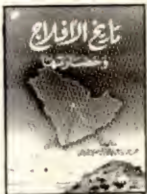
يتكون الكتاب من «كليمة» توضح هدف المؤلف من إصداره، و«مدخل» يبين أن الكتاب لا يعد تاريخًا لمكتبات مكة المكرمة التجارية أو إحصاء لها، لكنه ذكريات إنسان يسعى إلى المعرفة، وبعد «المدخل» يصحب الكاتب قارئه في رحلة معرفية مع مكتبات مكة المكرمة عبر «باب السلام» الذي كان مركزًا رئيسًا لهذه المكتبات مستعرضًا «دكاكين الكتب» بدءًا بدكان الشيخ عبد الفتاح فدا شيخ الكتبية، ومرورًا بدكان عبد الحليم الصّحّاف الذي صار - فيما بعد - يسمى «مكتبة الثقافة»، ومكتبة الجيل التي أسسها فريق من الشباب آنذاك

يوجه الكتاب إلى حقيقة تاريخية مهمة وهي دكاكين الكتب أو المكتبات كان وراءها في أول عهد ظهورها أناس عشقوا المعرفة، وجمعوا بين التجارة والثقافة ورموا من إنشاء تلك المكتبات إلى تحقيق فائدة معرفية، وكان لهم دور بارز في الحركة الثقافية للمملكة.

تضمن الكتاب ملحقين أولهما بقلم **صالح أحمد جمال** - يرحمه الله - بعنوان **«تاريخ مكتبة الثقافة بمكة المكرمة»**، والثاني بقلم **عبد الغني فدا** عبارة عن رسالة تعليق على مقالات الكاتب حول الموضوع.

صدر الكتاب عن **دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض** ضمن سلسلة **«من دفاتري»** برقم (٢) ويقع في ٨٣ صفحة من القطع الصغير.

تاريخ الأفلاج وحضارتها



مؤلف هذا الكتاب الشيخ عبد الله بن عبد العزيز آل مفلح الجذالين من المنتمين إلى منطقة الأفلاج موضع اهتمام الإصدار وأحد المهتمين بتاريخ المنطقة والتأليف عنها.

وقد حظي الكتاب وكاتبه بإشادة مقدمه **الشيخ حمد الجاسر** الذي نوه باهتمامات المؤلف ومنزلته في نفوس أهل بلده وكونه مرجعا لهم في الكثير من المسائل العلمية والثقافية.

ويتكون الكتاب - وهو الثالث للمؤلف - من ثلاثة فصول، الأول اختص بجغرافية الأفلاج، ويهتم الثاني بتأريخ المنطقة وقبائلها، أما الثالث فيتناول الحياة العلمية والاجتماعية في الأفلاج، وشمل كل فصل عددًا من المباحث الفرعية. كما أُلحق بالكتاب صور وخرائط موضحة.

وقد وقع الكتاب في ٢٧٤ صفحة من القطع المتوسط وتميز بشمول المادة وتفرعها، وحسن التنظيم والإخراج والعرض.

● أجوبة مسابقة العدد (١٨٨) ●

ج ١ : ورد ذكر **شهر رمضان** مرة واحدة - صراحة - في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ البقرة ١٨٥ .

□ □ □

ج٢ : هي **أسماء بنت أبي بكر الصدِّيق**، ذات النطاقين، رضي الله عنها .

□ □ □

ج٣ : هو **أبو محمد علي بن أحمد بن حزم القرطبي** (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ/ ٩٩٤ - ١٠٦٤م) . عالم الأندلس وفقيهها، كان مؤرخًا وفقيهًا ومحدثًا وأديبًا ومؤلفًا في علم الكلام والعقائد . وكان شافعي المذهب، ثم أصبح ظاهريًا، فاشتهر بمذهبه وعرف به، ولقب بابن حزم الظاهري . له مصنفات في مختلف العلوم منها : «طوق الحمامة»، و«فضل الأندلس»، و«إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل»، و«المُحَلّى»، و«الفِصَل في الملل والأهواء والنِحَل»، و«الناسخ والمنسوخ»، وغيرها كثير. مؤدى مذهبه الفقهي الظاهري : أن كل قياس لا يستند إلى القرآن والحديث باطل، وهو يأخذ بظاهر المعنى لألفاظ القرآن والحديث . له شعر كثير ملأه بمعارفه، ولكنه لم يُعْنَ بتنقيحه وسبكه .

□ □ □

ج ٤ : يُعَدُّ **تمثال الحرية** أضخم تمثال في العالم الآن، إذ يبلغ ارتفاعه من القاعدة إلى الشعلة ٩٣ مترًا . وقد أقيم على أرض جزيرة الحرية في الجزء العلوي من خليج ميناء نيويورك . ويمثل التمثال امرأة ترفع بيدها اليمنى شعلة ترمز إلى الحرية، وبيدها اليسرى لوحة كتب عليها تاريخ ٢ يوليو ١٧٧٦م . قام بتصميمه الفرنسي **ألكسندر جوستاف إيفل** (مصمم البرج الشهير في باريس)، ونفذه النحات الفرنسي **فردريك أوجست بارتولدي**، أهدته الرابطة الفرنسية - الأمريكية للولايات المتحدة، وتم وضعه على قاعدته، ثم أزاح عنه الستار في ٢٨ أكتوبر ١٨٨٦م، الرئيس **جروفر كليفلاند**، وأصبح رمزًا للصداقة بين الشعبين الفرنسي والأمريكي . كان الاشراف عليه منوطًا بهيئة الفنارات، ثم وزارة الدفاع . وفي عام ١٩٢٤م أعلن أن التمثال قد أصبح من الآثار القومية .

□ □ □

ج ٥ : هو الكاتب والسياسي المصري د . **محمد حسين هيكل** (١٨٨٨ - ١٩٥٦م) . ولد في قرية هيكل بمركز السنبلاوين بمصر لأسرة موسرة . تخرج في مدرسة الحقوق، وأتم دراسته في باريس حيث حصل على دكتوراه القانون . انضم إلى حزب الأحرار الدستوريين، وتولى رئاسة تحرير جريدة «السياسة» اليومية والأسبوعية، ثم أصبح رئيسًا للحزب، ورئيسًا لمجلس الشيوخ، وولي وزارة المعارف عدة مرات . كتب في مطلع حياته الأدبية (١٩١٤) رواية «زينب» التي تُعدّ أول رواية مصرية بالمفهوم الصحيح، وشغف بفنِّ السِيَر، فكتب «جان جاك رُوسُو» (١٩٢١ - ١٩٢٣م)، و«تراجم مصرية وغربية» (١٩٢٩م)، قبل أن يكتب سلسلة التراجم الإسلامية : «حياة محمد» (١٩٣٥م)، و«الصديق أبو بكر» (١٩٤٢م)، و«الفاروق عمر» (١٩٤٤م) . وقد جمع كثيرًا من مقالاته النقدية في كتابيه «في أوقات الفراغ» (١٩٢٥م)، و«ثورة الأدب» (١٩٣٣م)، والكتاب الأخير يرسم مثالاً لثقافة عربية جديدة تضرب بجذورها في التراث .

١ - الإخوة القراء الأعزاء :

اعتبارًا من هذا العدد الذي بين أيديكم - واستجابة لمقترحات العديد من الإخوة المتسابقين ورغباتهم - فإن جوائز المسابقة ستكون على النحو التالي :

أ - ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ريالاً، ١٥٠ ريالاً) .

ب - خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا) .

ج - عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا) .

د - خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال .

٢ - شروط المسابقة :

أ - الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا - إن أمكن - وعنوان المراسلة .

ب - ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة مجلة «الفيصل»
ص . ب ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ - أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها .

د - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



● نتائج مسابقة العدد (١٨٨) ●

م	اسم الفائز	البلـــد	قيمة الجائزة بالريال
١	شفاء السيد علوي	جدة ـ المملكة العربية السعودية	٣٥٠
٢	محمود فخر الدين زكي صالح	العريش ـ مصر	٣٥٠
٣	أكْزُو محمد بن علي	أغادير ـ المغرب	٣٠٠
٤	عبلة محمد علي غنيم	عمّان ـ الأردن	٣٠٠
٥	عبير الطاهر عبد القيوم أحمد	الخرطوم ـ السودان	٢٥٠
٦	خليل حسن فخر الدين	بيروت ـ لبنان	٢٥٠
٧	لمياء منصور بكّار	سوسة ـ تونس	٢٠٠
٨	ياسر جمعة عبد محمد	المنامة ـ البحرين	٢٠٠
٩	عودة بن أحمد صالح الأحمدي	جدة ـ المملكة العربية السعودية	١٥٠
١٠	شفية حماني	المسيلة ـ الجزائر	١٥٠
١١	محمد سعيد محمد سلامة	الإسكندرية ـ مصر	١٠٠
١٢	إخلاص مصطفى عبد القادر	عمّان ـ الأردن	١٠٠
١٣	آسيا البدوي سعدان	أم درمان ـ السودان	١٠٠
١٤	بورحيم مبارك	تزنيت ـ المغرب	١٠٠
١٥	محمد عبد الغفار علي سلامة	الدقهلية ـ مصر	١٠٠
١٦	محمد عبد الله أحمد البراهيم	الأحساء ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
١٧	درويش محمد بن محمد بن أحمد	قسنطينة ـ الجزائر	١٠٠
١٨	مجدي الطاهر عبد القيوم	الخرطوم ـ السودان	١٠٠
١٩	عبد الفتاح محمد عز الدين	سوهاج ـ مصر	١٠٠
٢٠	علي عثمان حمّاد الصائغ	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢١	أزغيبات عبد الغني مصطفى	الدار البيضاء ـ المغرب	١٠٠
٢٢	عبد القادر بن محمد الأعواني	بني خيار ـ تونس	١٠٠
٢٣	محمد إبراهيم جاد شيحة	المحلة الكبرى ـ مصر	١٠٠
٢٤	لولوة بنت إبراهيم السيف	حائل ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٥	عودة عبد الله حسين	عمّان ـ الأردن	١٠٠
٢٦	عيسى محمد أحمد آدم	الخرطوم ـ السودان	١٠٠
٢٧	عماد محمد أمين خدا وردي	مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٨	سليماني أحميدة بن محمد	الدار البيضاء ـ المغرب	١٠٠
٢٩	سحر أنور محمد عبد القادر	أسوان ـ مصر	١٠٠
٣٠	عبد الله بن عبد الرحمن الفنتوخ	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠

أسئلة مسابقة العدد (١٩٥)

● السؤال الأول :

أوصى الإسلام بحسن معاملة الرقيق، وحث على عتقهم وجعل ذلك من أبواب الكفّارات. اذكر آيتين من كتاب الله تدلان على ذلك.

□ □ □

● السؤال الثاني :

أحلَّ الإسلام التجارة والبيع والشراء ضمن حدود شرعية معلومة، ولكن بعض التجار يلجؤون إلى الحلف لترويج بضاعتهم، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك. اذكر حديثين شريفين في النهي عن الحلف في التجارة.

□ □ □

● السؤال الثالث :

لا تُذكر الدولة العباسية إلاّ ويُذكر اسمه، إذ يرى فيه المؤرخون صاحب الجهد الأكبر في إقامتها. انتهت حياته بمقتله. فمن هو؟ ومن قتله؟

□ □ □

● السؤال الرابع :

ماذا تعرف عن « براءة الاختراع » ؟

□ □ □

● السؤال الخامس :

ما المقصود بالاحتكار في عمليات إنتاج السلع أو تسويقها ؟

□ □ □

● أجوبة مسابقة العدد (١٨٩) ●

ج ١ : هي **الآية رقم (٦٠) من سورة التوبة** : ﴿ إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ .

□ □ □

ج٢ : تأسست **منظمة الصحة العالمية** في السابع من أبريل ١٩٤٨م، بقصد تمكين الشعوب كافة من الوصول إلى أعلى مستوى ممكن من الصحة. وتقوم المنظمة بنشاطات متعددة في توجيه العمل الصحي الدولي وتنسيقه، ومعاونة الحكومات في دعم خدماتها الصحية، وتقديم المعونة الفنية، والمساعدة اللازمة في حالات الطوارئ بناءً على طلب الحكومات، وتشجيع القضاء على الأوبئة والأمراض المعدية، ومجالات أخرى عديدة تتعلق بصحة البشرية والحفاظ عليها. ويقع مقر منظمة الصحة العالمية في مدينة جنيف بسويسرا.

□ □ □

ج٣ : هو الكيميائي والمخترع السويدي **ألفرد برنارد نوبل** (١٨٣٣ - ١٨٩٦م).

□ □ □

ج٤ : داء الكلب أو «رهاب الماء»، مرض خطير يصيب الحيوانات عادة، وخاصةً الكلاب والقطط والذئاب والثعالب. سببه فيروس يصيب الجهاز العصبي ويوجد في لعاب الحيوان المصاب؛ حيث ينتقل منه إلى الإنسان عقب عقره، أو بتلوث جرح جلدي بذلك اللعاب. وتظهر أعراض المرض بعد فترة حضانة طويلة (من شهر إلى ثلاثة شهور) في قليل ممن تصيبهم العدوى؛ فيحدث ارتفاع في الحرارة، وصداع، وقيء، وهيجان، وتقلّص في البلعوم عند البلع، ورهبة من الماء، ثم تشنّج يعقبه الموت. والأمل شبه منعدم في الشفاء إذا ظهرت الأعراض، لذلك يجب البدء بالعلاج فور الإصابة، والقبض على الحيوان المسبب لها حيًّا أو ميتًا. ولا يوقف العلاج إلا إذا أثبت الفحص سلامة الحيوان. ويشمل العلاج العناية بالجرح المصاب ثم الحقن باللقاح المحضّر من الفيروس، بعد توهينه أو قتله، لإكساب الجسم مناعة ضد المرض قبل ظهور أعراضه.

□ □ □

ج٥ : الكتاب الأول الذي افترى فيه مؤلفه ـ لعنه الله ـ على الرسول ﷺ، وأمهات المؤمنين والصحابة، «آيات شيطانية»، ومؤلفه سلمان رشدي، الكاتب البريطاني الجنسية الهندي الأصل.

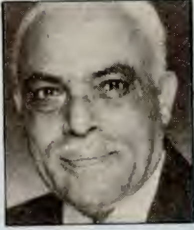
أما الكتاب الثاني الذي زعم كاتبه أن أحد الكتب السماوية قبل الإسلام قد نزل في جزيرة العرب؛ فهو كتاب «التوراة جاءت من جزيرة العرب» لصاحبه د. كمال الصليبي. وقد تولّى الرد عليه وتفنيد مزاعمه، عدد من الكتاب في المملكة على رأسهم الشيخ حمد الجاسر، العلاّمة المعروف، وقام بجمع هذه الردود محمد بن عبد الله الحميد في كتاب بعنوان «افتراءات الصليبي، متابعات أولى»، وصدر عن النادي الأدبي بأبها.



● نتائج مسابقة العدد (١٨٩) ●

م	اسم الفائز	البلد	قيمة الجائزة بالريال
١	نافذ عبد الرحمن محمود	المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية	٣٥٠
٢	روحية عبد العال عبد الجواد	الإسكندرية ـ مصر	٣٥٠
٣	سامية محمد خليل	دمشق ـ سورية	٣٠٠
٤	محمود طاهر علي طاهري	مدينة عيسى ـ البحرين	٣٠٠
٥	السيد حسين عثمان	الإسكندرية ـ مصر	٢٥٠
٦	نورا محمد عبد الله	الطائف ـ المملكة العربية السعودية	٢٥٠
٧	فراس خالد العتيبي	عمّان ـ الأردن	٢٠٠
٨	فاطمة اليماني	مدينة قصبة تادلة ـ المغرب	٢٠٠
٩	راضي محمد عبد العال	الإسكندرية ـ مصر	١٥٠
١٠	عبد الله علي العقلاء	الخرج ـ المملكة العربية السعودية	١٥٠
١١	إحسان موسى الحاج	عمّان ـ الأردن	١٠٠
١٢	أحمد محمد موسى القاضي	المنامة ـ البحرين	١٠٠
١٣	مي علي إبراهيم كشك	المنصورة ـ مصر	١٠٠
١٤	حليمة محمد عابد	جدة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
١٥	حميد قاسم الأزمي	فاس ـ المغرب	١٠٠
١٦	مولوي عبد القادر ميمن	السند ـ الباكستان	١٠٠
١٧	عبد السلام صالح السنيدي	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
١٨	سلوى عبد الفتاح إبراهيم	القاهرة ـ مصر	١٠٠
١٩	ليلى بنت عبد الرحمن العمري	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٠	مولوي محمد عثمان بهتي	حيدر آباد ـ الباكستان	١٠٠
٢١	فوقية حسين الطنوبي	الإسكندرية ـ مصر	١٠٠
٢٢	أيمن طاهر الزويري	عمّان ـ الأردن	١٠٠
٢٣	بدرية عبد الملك رادين	جدة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٤	مأمون عبد الله محمد	صحم ـ سلطنة عمان	١٠٠
٢٥	رحيمة محمد فاضل	تبوك ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٦	موسى حامد عبد الله	أبها ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٧	سيد محمد حماد	الإسكندرية ـ مصر	١٠٠
٢٨	سامر محمد علي	عمّان ـ الأردن	١٠٠
٢٩	مكرمة محمد قاسم	جدة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٣٠	فتح الله عبد الغني موسى	بريدة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠

رموز صهيونية



في مسيرة الصِّهيَونية ثنايا ومنحنيات وتفاصيل دقيقة لا يكـاد يقف عندها أحد، على الرغم من أهميتها الأساسية لفهم القواعد التي قام عليها كيان إسرائيل، منذ نشر (هرتسل) مؤسس الصِّهيَونية العالمية كتابه (دولة اليهود: نحو حل حديث للمسألة اليهودية) في فيينا عاصمة النمسـا، في شهر فبراير (شباط) عام ١٨٩٦، تمهيدا لانعقاد المؤتمر الأول للصهيونية العالميـة في مدينـة بال السـويسرية بعـد ذلك بعام ونصف (من ٢٩ إلى ٣١ أغسطس (آب) ١٨٩٧). وقـد كتب هرتسـل هذا الكتاب باللغة الألمانية، لأنه كان لا يعرف اللغة العبريـة، وكان علمانيا يجهل كل شيء عن الدين اليهودي، وعن تاريخ قومه، ما عدا (اللاسامية) التي لمسها بنفسه في أوروبا كلها، من روسيا إلى فرنسا مرورا ببولندا ورومانيا والنمسا وألمانيا. وكان هرتسل قد درس القانون في النمسـا، ولكنه احترف الصحافة والأدب، وكتب بعض المسرحيـات الناجحة، وباختصـار كان رجل سهرات ومجتمعات ومحاضرات اكتسب منها خبرة في التأثير في الجماهير البسيطة، مستعينا بوسامة هيئته، وفخامة لحيته وجسامة قامته، وبذكائه في العناية بالرموز التي يستجيب لها الناس بسهولة.

ونذكر من هذه الرموز هنا أهمها:

١ ـ الـراية الصهيونية: فـالناس ـ كما يقول هـو نفسه ـ يستطيعون مـواجهة الموت في ظل الرايـة! وقد قام أحد أتبـاعه، واسمه فولفـزون بتصميمها، وكانت رقعة بيضاء يمتد فيها أفقيا من أعلى ومن أسفل شريطان لونهما أزرق سماوي، بحيث تعيد الراية إلى الذاكرة عباءة الصلاة (الطليت) عند اليهود، التي يلبسها الشاب منذ بلوغه سن التكليف (ثلاثة عشر عاما) وتكون كفنًا له إذا مات.

وأراد هرتسل أن يضيف إلى الرقعة البيضاء سبعة نجوم زرقاء تبركا بالعدد سبعة، وتذكيرا بالشمعدان ذي الشموع السبعة الذي يتألق في المعابد والمنازل في الأعياد، وأيضا لتكون النجوم السبعة رمزا لساعات العمل اليومي الإجبارية في (دولة اليهود)، في الوقت الذي كان يوم العمل الإجباري في أوربا عشر ساعات، وكان زعماء الاشتراكية ونقابات العمال في أوروبا يناضلون لجعله ثماني ساعات. وكأن هرتسل كان يعد العمال اليهود بالتخفيف من أعبائهم إذا هم هاجروا إلى فلسطين، وأخيرا وضعوا في الرقعة البيضاء النجمة السداسية التي يسمونها (ترس داود) ويتوهمون أنها كانت مرسومة على تروس المحاربين اليهود في جيش داود، وإن كان ذلك لم يثبت علميا إلى الآن.

٢ ـ الـنشيد الصهيـوني الرسمي: واسمه (هاتِقْفَا) أي الأمل، وهـو من تأليف شاب من العاملين في المستوطنـات الصهيونية في فلسطين قبل المؤتمر الصهيوني الأول، وكان اختياره يهدف إلى إلهاب حماسـة العمّال اليهود، لا سيما أن هذا الشاب واسمه نفتالي هيرتس إيمبر كان قد مـات في ريعان شبابه. وعلى الـرغم من كثرة شعـراء اليهود في القـرن التاسع عشر، وشهـرتهم من أمثـال غوردون ولـوتساتـو وبياليك وزلمان شينـؤور وغيرهم، فقد وقع اختيـار الصهيونيـة على هذه الأنشـودة لسهولتهـا، ولأنها تحمل الكثير من التلقائيـة، حتى في صياغتهـا التي لا تخلو مـن تساهل حتى في قـواعد اللغـة العبرية نفسها، جاء في بدايتها:

مادامت هناك نفس يهودي تخفق بين جوانحه..

مادامت عين يهودي تتطلع إلى آفاق الشرق البعيدة..

إلى صهيون.. فإن أملنا لا يكون قد ذهب ضياعًا..

.. أملنا الباقي منذ ألفَيْ عام..

.. في أن نكون شعبا حرًّا في أرضنا..

.. أرض صهيون، وأرض أورشليم!

وواضح أن الرومانسية الأوربية بكل مؤثراتها وخطابياتها قد نضحت على هذه الأنشودة ـ إلى جانب حياة مؤلفها الأليمة ـ فحققت نجاحها.

٣ ـ مجلـة تكون لسان حـال هذه الصهيونية العـالمية الناشئـة. فقد لاحظ هرتسل أن المجـلات الصهيونية الكثيرة لم تكن تسير دائما في الطـريق الذي تصوره هو للصهيونيـة، فلكل منها اتجاهه الخاص وتياره المعيّن، مثل: هاشَحَر (الفجـر) التي يصدرها سمولنسكين، هامَـجِّيد (الراويـة) برئاسة دافيد غوردون، هـامِلِيتْس (الداعية) لسـان حال جماعة أحباء صهيـون، وبالألمانية: زِلْبِسْت إمـانسيباسيون (التحرر الـذاتي) لناتان بيرنبـاوم، عدا الكثير من المجلات الدينية والصوفية. فقرر هرتسل أن يصدر ـ بالألمانية ـ مجلة دي فِلْت (العالم) واختار لها هيئة من المحررين بحيث يكمل كل منهم الآخر.

بهذا استوفى هرتسل رموز الصهيونية العالمية التي حددت أن توجهـه؛ كان أولا وقبل كل شيء إلى الشباب اليهودي، لا سيما من ضحايا اللاسامية، أي كراهية الأوربيين لليهـود واضطهادهم لهم. والذي دفع ثمن هذا كله من دمه ووطنـه وحريته وكرامته هم العـرب، وكم في التاريخ من مضحكات! ولكنه ضحك كالبكا!

أ.د. حسن ظاظا

متابعة شاملة للحركة الثقافية ومجرياتها في العالم؛ نقدمها لك من خلال هذا الرصد للأحداث والمناسبات والندوات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية والإصدارات الجديدة في مجالات المعرفة



- □ إنشاء جائزة المدينة النبوية
- □ توصيات علمية لمؤتمر الأدب الإسلامي
- □ أكاديمية للعلوم والآداب والفنون في تونس
- □ موسوعة بالليزر عن التراث العربي
- □ مجلة للمغتربين المغاربة

السعودية

جائزة المدينة النبوية


الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز

أعلن صاحب السمو الملكي **الأمير عبد المجيد ابن عبد العزيز** أمير منطقة المدينة المنورة عن إحداث جائزة لتقدير الأعمال المتميزة وتشجيعها في مجالات البحث العلمي والتفوق الدراسي والخدمات العامة تحت مسمى **«جائزة المدينة النبوية»**.

ترمي الجائزة إلى تشجيع البحث العلمي في المجالات كافة وخصوصا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، إضافة إلى تشجيع النبوغ والتفوق الدراسي وتشجيع الأعمال والإنجازات المميزة.

وتمنح الجائزة بواسطة مجلس يرأسه **سمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز** أمير المنطقة، ويضع المجلس السياسة العامة للجائزة ويعتمد ميزانيتها وحسابها الختامي وتقريرها السنوي، ويعين أمينًا عامًّا لها، كما يقوم بتحديد مجالاتها واعتماد المرشحين والجوائز وتعيين لجان الترشيح التي تناط بها مهمات استقبال الترشيحات وتقويمها واقتراح الجائزة وتقديم الترشيحات النهائية لمجلس الجائزة، ويتولى الأمين العام للجائزة مهمات الإشراف على هيكلها الإداري، والمشاركة في لجان الترشيح وتنظيم حفل الجائزة.

وتتكون الجائزة من **درع تفوق وشهادة تقدير وجائزة عينية إضافة إلى مبالغ مالية،** ويجوز أن يمنح المرشح أكثر من جائزة.

ويتكون مجلس الجائزة من **سمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز** رئيسًا والدكتور **عبد الله صالح العبيد** نائبًا للرئيس، وعضوية كل من المهندس **عبد الرحمن الحصين، عبد الله الداود الفائز،** د. **خالد علي،** د. **محمد سالم العوفي، إياد مدني، خالد حمزة غوث، يوسف عبد الستار الميمني، حسين مصطفى الجوادي، عبد الله بن سعد بن حسين، عبد الكريم سالم الحنيني،** وعبد المنعم النعمان.

مركز جديد للبحث العلمي والترجمة

بحضور سماحة الشيخ **عبد العزيز بن عبد الله ابن باز** الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، افتتح في مدينة جدة **«المركز الإسلامي للبحث العلمي والترجمة»**.

يهدف المركز إلى مواجهة المد التنصيري في العالم الإسلامي وتأسيس دائرة معارف عن الأديان والمذاهب الفكرية المعاصرة إلى جانب تقديم الخدمات للمهتدين حديثًا إلى الإسلام، والرد على شبهات أعدائه.

وقد بدأ المركز نشاطاته بترجمة كتاب الإمام ابن تيمية «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» ونشره.

ويذكر أن تكلفة إنشاء المركز بلغت قرابة ثلاثة ملايين ريال.

وفاة الشيخ حمود التويجري

توفي الشيخ **حمود بن عبد الله التويجري** عن عمر يناهز ٧٩ عامًا.

والفقيد أحد الذين تفرغوا لطلب العلم والبحث والتأليف، حيث بدأ حياته بالتتلمذ على أيدي مجموعة من المشائخ الأجلاء منهم الشيخ عبد الله العنقري قاضي المجمعة، والشيخ **محمد بن عبد المحسن الخيال قاضي المدينة، والشيخ** عبد الله ابن حميد، و الشيخ **سليمان بن حمدان** قاضي مكة المكرمة والمدينة المنورة، يرحمهم الله.

وتولى الفقيد عام ١٣٦٨هـ القضاء في **رأس تنورة** ثم انتقل عام ١٣٦٩هـ **لقضاء الزلفي،** وظل بها ثلاث سنوات، اعتزل بعدها القضاء واعتذر عن تولي أية مناصب أخرى متفرغًا للتأليف والبحث، حتى بلغت مؤلفاته **أكثر من خمسين مؤلفًا،** طُبع منها ما يزيد على الأربعين أولها كتاب **«إنكار التكبير الجماعي»**.

مركز للعلوم والتكنولوجيا

يفتتح في شهر شوال المقبل **أول مركز عام للعلوم والتكنولوجيا** في المملكة في مدينة جدة.

تكلف إنشاء المركز قرابة ستين مليون ريال

بحضور الأمير خالد الفيصل :

إعلان أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لهذا العام



جائزة خدمة الإسلام للرئيس البوسني
جائزة الدراسات الإسلامية للدكتور حسن ساعاتي
حجب جائزة الأدب العربي لهذا العام
جائزة الطب لثلاثة علماء من فرنسا
جائزة العلوم : تقاسمها ألماني وأمريكي

عقد صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية ورئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية مؤتمرًا صحافيًا يوم الثلاثاء ٢٥/ ٨/ ١٤١٣هـ أعلنت خلاله أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية بفروعها الخمسة في دورتها السادسة عشرة لعام ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .

وقد منحت جائزة خدمة الإسلام للرئيس البوسني علي عزت بيجوفيتش (٦٧ عامًا) تقديرًا لجهاده السياسي والفكري في خدمة الإسلام .

وحصل الدكتور حسن ساعاتي عبد العزيز (مصري) على جائزة الدراسات الإسلامية وموضوعها «الدراسات التي تناولت علم الاجتماع عند المسلمين أو تناولته من منظور إسلامي» تقديرًا لجهوده التي امتدت أكثر من أربعين عامًا، ولما تميز به من دقة علمية واهتمام بالتأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع .

وقررت لجنة الاختيار لجائزة الملك الفيصل للأدب العربي حجب جائزة هذا العام التي كان موضوعها «المسرحية المؤلفة باللغة العربية الفصحى شعرًا أو نثرًا» لعدم ارتقاء الأعمال المرشحة إلى مستوى الجائزة .

وتقاسم جائزة الطب كل من : البروفيسور لوك مونتانييه (٦٠ عامًا) مدير مركز البحوث العلمية الفرنسي ورئيس قسم الفيروسات المسببة للأورام بمعهد باستير، والدكتور جين كلود شيرمان (٥٣ عامًا) مدير البحوث في المعهد القومي للصحة والبحث الطبي في مارسليا في فرنسا ، والدكتورة فرانسواز باري سنوسي (٤٥ عامًا) رئيسة وحدة الفيروسات التراجعية ومديرة المختبر في معهد باستير في باريس ، وقد منحوا الجائزة بالمشاركة تقديرًا لجهودهم لاكتشاف مسببات «مرض نقص المناعة المكتسب» .

ومنحت جائزة العلوم في مجال الفيزياء مناصفة لكل من د . هربرت فالتر (ألماني) أحد مديري معهد ماكس بلانك للبصريات الكمية وأستاذ الفيزياء بجامعة ميونيخ ، والدكتور ستيفن شو (أمريكي) رئيس قسم الفيزياء في جامعة ستانفورد تقديرًا لجهودهما في مجال حقل البصريات الكمية الذي يعد من أبرز الحقول البحثية في الفيزياء المعاصرة .

وقد تحددت موضوعات الجائزة للعام المقبل ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م كالتالي :

ـ جائزة الدراسات الإسلامية : «الدراسات التي عنيت بالفقه الإسلامي تأليفًا وتحليلاً وتيسيرًا» .

ـ جائزة الأدب العربي : «الدراسات التي تناولت فنون النثر العربي القديم» .

ـ جائزة الطب : «التطبيقات الطبية لهندسة الجينات» .

ـ جائزة العلوم : «الرياضيات» .

وحيث إن أسماء الفائزين بالجائزة قد أُعلنت و«الفيصل» ماثلة للطبع ، فسوف ننشر التفاصيل في العدد المقبل إن شاء الله .

ويتكون من أربعة أدوار تضم ست عشرة قاعة عرض أشبه بالمتاحف مقسمة موضوعيًا تبعًا للموضوع الذي تعبر عنه ، وتحتوي على قرابة مئتي مادة معروضة .

ويُعنى المركز بشرح النظريات الكونية والعلمية بشكل مبسط يجمع بين الفائدة والمتعة من خلال ما يضمه من أجهزة ومجسمات تجريبية تمثل النظريات العلمية في مختلف مجالات العلوم .

صحيفة إسلامية يومية بمختلف اللغات

تدرس **رابطة العالم الإسلامي** في مكة المكرمة حاليًا مشروع **إصدار صحيفة إسلامية يومية** تطبع بمختلف اللغات العالمية ومنها اللغة العربية ، وتوزع في شتى أنحاء العالم الإسلامي .

يهدف المشروع إلى نشر الدعوة الإسلامية والتعريف بالمفاهيم الصحيحة للدين الإسلامي .

جائزة الكتاب الأمني

منح المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب **جائزة الكتاب الأمني** للمركز في موضوع السياسة



الجنائية لكل من د. **إبراهيم عطا شعبان** عن كتابه «**السياسة الجنائية**» والأستاذ **أحمد حسن كرزون** عن مؤلفه «**المنهج الإسلامي في السياسة الجنائية**».

ويذكر أن الجائزة يترأس هيئتها صاحب السمو الملكي **الأمير نايف بن عبد العزيز** وزير الداخلية ورئيس مجلس إدارة المركز، وهذه المرة الأولى التي تمنح فيها.

شراء مكتبتين خاصتين

اشترت **مكتبة الملك فهد الوطنية** بالرياض **مكتبة الشيخ محمد عبد العزيز المانع** - يرحمه الله - **ومكتبة المستعرب الأمريكي بيلي وايندر**.

تضم مكتبة المانع المشتراة ٥٤٨١ مجلدًا ومجموعة من الوثائق التي تؤرخ للحركة التعليمية في المملكة، ودفاتر كان الشيخ يدون فيها مذكراته.

أما مكتبة وايندر فتضم كتبًا حول الجزيرة العربية والشرق الأوسط بالعربية واللاتينية في مجالات التاريخ والسياسة واللغة.

من ناحية أخرى قامت المكتبة **بتصوير خمسة آلاف وثيقة وسجل لدى أسرة الوكيل** في بلدة المويلح تبوك تضم عددا من الخطابات التي صاحبت توحيد الجزيرة وتأسيس المملكة على يد الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله.

معرض التراث والحضارة الإسلامية

نظمت **رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة** على هامش الدورة الثانية والثلاثين لمجلسها التأسيسي الذي اختتمت اجتماعاتها في شهر رجب الماضي **معرضًا للصور الفوتوغرافية عن التراث والحضارة الإسلامية**، يعد الأول من نوعه حيث ألقى الضوء على تاريخ المسلمين وحضارتهم من بداية القرن الأول الهجري حتى نهاية العهد العثماني.

تكوّن **المعرض من خمسة أقسام**: قسم للعمارة الإسلامية، وآخر لحرف المسلمين وصناعاتهم عبر تاريخهم الطويل، وثالث لفنون الخط العربي، ورابع للمخطوطات والوثائق الإسلامية، وخصص القسم الخامس لعمارة المساجد والمدارس والمنازل في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة منذ ما يزيد على مئة عام.

هياكل أسماك
عمرها ٣٦٥ مليون عام

اكتشف فريق جيولوجي سعودي - فرنسي في شمال غربي المملكة - أثناء فحص طبقات من صخور قديمة تعود إلى ما قبل أربعمائة مليون عام - **وجود أجزاء من أسنان وصفائح وهياكل عظمية لأسماك غريبة موجودة في الأحجار الرملية والجيرية**.

وتبين أن هذه الأسماك كانت تعيش في هذه المنطقة حين كان البحر يغطي هذا الجزء من المملكة، **وانقرضت منذ ٣٦٥ مليون عام**، وينتمي معظمها إلى الأسماك المدرعة التي تغطي رؤوسها وأجسامها دروع سميكة وطويلة، إضافة إلى بقايا سمك قرش لها أشواك طويلة على ظهرها، يعتقد أن طولها تراوح من مترين إلى ثلاثة أمتار.

محاضرات وندوات علمية عن العمارة

قررت **الجمعية العمومية لفرع الجمعية السعودية لعلوم العمران في جدة** خلال اجتماع عقدته - مؤخرًا - الموافقة على التعاون بين الجمعية **ومركز عمار للتراث العمراني** في جدة لتنظيم **لقاءات أسبوعية تتضمن محاضرات وندوات علمية في مجالات العمران** المختلفة وذلك لبحث أوضاع مهنة العمارة ومشكلاتها واقتراح ما يرتقي بها، مع استضافة بعض المسؤولين لحضور تلك اللقاءات والمشاركة فيها.

وأسفرت انتخابات مجلس إدارة الفرع عن اختيار د. سامي محسن عنقاوي رئيسا، د. ماجد عبد الله القصيبي نائبًا للرئيس، د. **مجدي أحمد المنصوري أمينًا عامًا**، د. حسام عبد السلام جمعة والمهندسين عمرو درويش وزكي محمد علي فارسي ونبيل علي عباس، أعضاء.

وعقد مجلس الإدارة اجتماعا تم خلاله توزيع مهمات العمل على الأعضاء، وتشكيل مجموعات عمل يرأس كلا منها أحد أعضاء المجلس، وتناط بكل مجموعة مسؤولية أحد مجالات نشاطات الجمعية.

مهرجان ثقافي فني

أقيم في جدة - مؤخرًا - **مهرجان ثقافي فني** استمر أسبوعين ضم **سوقًا شعبية** أقامتها لجنة السياحة في أمانة جدة، عرضت فيها نماذج من المنتجات الأثرية القديمة **وفنونًا شعبية مختلفة**، فضلاً عن **ندوات ثقافية**.

وأسهم **نادي جدة الأدبي الثقافي** في هذه المناسبة بإقامة **معرض للكتاب** شاركت فيه الأندية الثقافية السعودية، وآخر **للصور الفوتوغرافية** بعدسة المصور خالد خضر، كما نظم أمسية شعرية في الهواء الطلق.

ويذكر أن المهرجان تنظمه سنويًا على كورنيش جدة لجنة السياحة في أمانة المدينة بهدف التنشيط السياحي الداخلي وجذب السياح من أبناء الخليج.

معرض كتاب

نظمت عمادة شؤون المكتبات بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة - مؤخرًا - **معرضها السنوي العاشر للكتاب** بمشاركة نحو **أربعين دارًا محلية للنشر** وعدد من المكتبات العامة في المملكة.

واستمر المعرض خلال الفترة من ٢٥ رجب إلى ٢٠ شعبان المنصرم.

معرضان تشكيليان

شهدت مدينة جدة - مؤخرًا - **معرضين تشكيليين جماعيين**.

ضم المعرض الأول الذي يعد خامس معرض للفنانات التشكيليات لوحات وأعمالاً فنية متنوعة لمجموعة من أبرز التشكيليات السعوديات مثل **دلال بنت سعود وفهدة بنت سعود وهلا بنت خالد وصفية بنت زقر وابتسام الرفاعي ونوال مصلي** وغيرهن.



افتتحه الأمير بندر بن سلطان في واشنطن:

معهد العلوم الإسلامية والعربية ينظم ملتقى علميًّا

افتتح صاحب السمو الملكي **الأمير بندر بن سلطان بن عبدالعزيز** سفير المملكة العربية السعودية في واشنطن في الثالث من شهر شعبان المنصرم رسميا **معهد العلوم الإسلامية والعربية** في أمريكا التابع **لجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية** بالرياض، بحضور الدكتور **عبد الله بن عبد المحسن التركي** مدير الجامعة.

أنشئ المعهد عام ١٩٨٨م، وبدأ هذا العام (١٩٩٢ ـ ١٩٩٣) في استقبال طلابه الذين بلغ عددهم ٣٣١ طالبًا يقوم بالتدريس لهم ١٧ أستاذًا، إضافة إلى ١٢ إداريًّا، ويعد المعهد **واحدًا من ستة معاهد** تابعة لجامعة الإمام في الخارج.

ويشتمل المعهد على عدة أقسام هي أقسام: **العلوم الإسلامية، علوم اللغة العربية، التعليم المتواصل وخدمة المجتمع، الدراسات المساعدة، إضافة إلى مكتبة كبيرة للبحث العلمي، والإعلام والنشر، والترجمة، والتقنيات الإسلامية، والحضارة والتراث الإسلامي، والحاسب الآلي.**

سبق حفل الافتتاح قيام المعهد بتنظيم **ملتقى علمي** يومَيْ الثاني والثالث من شهر شعبان تحت عنوان «**المعهد وعلاقته بالمؤسسات الإسلامية وأقسام دراسات الشرق الأوسط ومراكزها في الجامعات الأمريكية**»، بحضور د. **عبد الله بن عبد المحسن التركي** وسمو الأمير **محمد بن فيصل بن تركي** رئيس الشؤون الإسلامية في السفارة السعودية في واشنطن، شارك فيها نخبة من العلماء والمفكرين ورؤساء الجمعيات والمراكز الإسلامية ورؤساء أقسام دراسات الشرق الأوسط في الجامعات الأمريكية، ومن بينهم الدكاترة: **حمدي قفيشة** أستاذ دراسات الشرق الأوسط بجامعة أريزونا، **وبيتر عبود** أستاذ اللغة العربية بجامعة تكساس، **وراجي راموني** رئيس دائرة دراسات الشرق الأوسط في جامعة متشيجان، **وتاج السر الريح** رئيس قسم اللغة العربية في المعهد **ومحمد عمايرة** منسق برنامج تعليم اللغة العربية في الأمم المتحدة، **ومهدي العش** أستاذ لغات الشرق الأدنى وآدابها في جامعة ولاية أوهايو، **ومحمد جياد** مدير معهد اللغة والثقافة العربية، **وصالح العايد** مدير المعهد، وآخرون.

وتضمن الملتقى **خمس جلسات** ناقشت الموضوعات التالية:

تجارب تعليم اللغة العربية في الجامعات الأمريكية، وبرامج الدراسات الإسلامية في الجامعات الأمريكية، ونشاطات المؤسسات الإسلامية في الدعوة والتعليم، وآفاق التعاون بين المؤسسات الإسلامية في الدعوة والتعليم.

ويُذكر أن المعهد قام بنشاطات عديدة قبل افتتاحه الرسمي، نذكر منها المشاركة في أكثر من ٢٥ محاضرة وندوة ومخيمًا، وإصدار سلسلة «نحو فقه رشيد» التي بلغ عدد كتبها نحو خمسين كتابًا، ونشرة «لبّيك» باللغتين العربية والإنجليزية، وتنظيم جولات دعوية لأكثر من خمسين داعية شملت أربعين مدينة أمريكية، كما شارك في مؤتمرات أقيمت في الولايات المتحدة خارج واشنطن، ونشاطات أخرى.

أما المعرض الآخر فضم **سبعين عملاً** تنتمي إلى مختلف المدارس الفنية لفنانين سعوديين من الجنسين، ويعد عاشر معرض فني جماعي لفناني المدينة المنورة.

مجلة ثقافية للمعلمين

أصدرت **كلية المعلمين** في أبها **مجلة شهرية** تحت مسمى «**الرسالة**».

تضمن العدد الأول عدة موضوعات ثقافية مختلفة أبرزها قضية بعنوان «**الأدب الذي نريد**»، إضافة إلى أخبار الكلية وموضوعاتها.

ترميم قلعة زعبل

من المنتظر أن تقوم قريبًا إحدى المؤسسات ذات الخبرة في ترميم الآثار **بترميم قلعة زعبل الأثرية** في سكاكا بعد أن طرحت وزارة المعارف عملية ترميم القلعة في منافسة عامة.

وتجيء هذه العملية في إطار خطة لصيانة الآثار القديمة وترميمها في مختلف أنحاء المملكة.

كتب جديدة

- **خصائص الاستشهادات المرجعية للباحثين في علم المكتبات والمعلومات مع دراسة تحليلية لمكتبة الإدارة بمعهد الإدارة العامة بالرياض**، تأليف د. **هشام به عبد الله بن عباس**، صدر عن مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض.

- **على مشارف القرن الحادي والعشرين: رؤية استراتيجية للمتغيرات الدولية**، تأليف د. **توفيق بن أحمد القصير**، صدر عن مكتب الآفاق المتحدة بالرياض.

- **وكالة الأنباء السعودية: دراسة وصفية تحليلية**، إعداد د. **حمزة بيت المال**، صدر عن مركز البحوث بكلية الآداب في جامعة الملك سعود بالرياض.

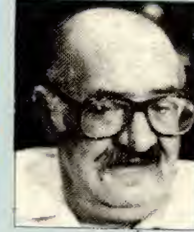
- **النهضة الأوربية في أدب الأطفال**، تأليف **محمد البسام**، صدر عن إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

- **الأحاديث الواردة في فضائل المدينة: جمعًا ودراسة**، إعداد د. **صالح بن حامد بن سعيد الرفاعي**، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز آل سعود، وصدر عن مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالتعاون مع

الحركة الثقافية

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

● **الحضـــارة والتاريخ**، تأليف ف. ر. كوول، ترجمة **أحمد الشيباني**، صـدر عن مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر.


أحمد الشيباني

● **بداياتي في الصحافة والأدب**، تأليف **علي محمد العمير**، صدر عـن دار العمير للنشر والثقافة.


علي محمد العمير

● **حب اللـولـو**، قصائد للشاعر **أحمد السعد**. صدرت عن دار الصفحات الذهبية.

● **صفحات في أدب الرأي: أدب الاختلاف في مسائل العلم**، تأليف **محمد عوّامة**، صدر عن دار القبلة للثقافة الإسلامية.

● **عنصر اللون في شـعر المتنبي**، تألـيف د. **عبد الله باقـازي**، صدر عن النادي الأدبي بالقصيم.

الإمارات
معرض لفنانين كروات

نظمت دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة بالتعاون مع سفارة كرواتيا **معرضًا للفنانين التشكيليين الكروات**.

ضم المعرض **١٠٩ لوحات** قام برسمها واحد وعشرون فنانًا توضح **مأساة الحرب في البوسنة والهرسك وكرواتيا**.

كتب جديدة

● **الرمال العربية**، تأليف **ويليفريد سافيجار**، ترجمه إلى اللغة العربية **إبراهيم مرعي**، وصدر في عجمان.

● **الرحيل معك ليوم واحد**، مسرحيـة من تأليف **نواف يونس**، صدرت في الشارقة عن اتحاد كُتّاب الإمارات وأدبائها.

البحرين
معرض تشكيلي

شارك **أربعة وثلاثون فنانًا** في معرض الناشئين الثامن الذي نظمته جمعية البحرين للفنون التشكيلية.

عكست المعروضات البيئة البحرينية وبعض التجارب الفنية المتنوعة.

الكويت
كتب جديدة

● **التوتر النفسي: أسبابه، مضاعفاته، طرق علاجه**، تأليف د. **تيسير كايد العاصي**، صدر عن مؤسسة الفريح للطباعة والنشر.

● **تاريخ الدراسات العربية في فرنسا**، تأليف **محمود المقداد**، صدر ضمن سلسلة عالم المعرفة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون في الكويت.

محاضرات وندوات

● «**الترجمة كمعبر للثقافات والآداب والعلوم**» عنوان ندوة نظمها نادي مكة الأدبي الثقافي، وشارك فيها الدكاترة: **عبد الرحمن مرغلاني، عبد الحكيم حسان، وعبد الله المعطاني، وأدارها د. عدنان وزان**.

● «المجموعة القصصية (وشم الشمس) للقاصة **اعتدال عثمان**، موضوع ندوة أقيمت في أتيليه القاهرة، شارك فيها الناقدان د. **سيد البحراوي، ومجدي توفيق**.

● «**المنفلوطي بين ناقديه**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي جدة الأدبي الثقافي د. **محمد بيومي رجب**.

● نظم فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في حائل أمسية شعرية شارك فيها الشعراء: **عبيد الأزمع، عبد العزيز الجريفاني، ميسر الشمري، وعثمان المجراد**.

● «**جراحة المناظير**» موضوع ندوة عقدت في مستشفى قوى الأمن بالرياض، شارك فيها عدد من الإخصائيين من داخل المملكة وخارجها.

● «**الأدب الإسلامي: النظرية والأبعاد**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي د. **محمود إسماعيل عمار**.

● «**أدب الشهادة**» موضوع ندوة أقيمت في الجزائر، شارك فيها عدد من الشعراء والكُتّاب والنقاد والأدباء.

● «**دروس من زلزال القاهرة**» عنوان محاضرة ألقاها في كلية الهندسة بجامعة الملك سعود في الرياض د. **محمد شاذلي الحداد**.

● «**المواجهة الأمنية لجرائم الحاسبات الآلية**» عنوان محاضرة ألقاها في المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض د. **عبد الرحمن الشنيفي**.

● «**وقفات مع نبي هذه الأمة**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع الأمير نايف بمدينة الدوادمي الشيخ **عبد الرحمن بن سليمان اليوسف**.

● «**المال وثمرته في الحياة الدنيا**» عنوان محاضرة ألقاها في مقر الغرفة التجارية الصناعية في جدة الشيخ **عبدا لرحمن بن عبد الله الفريان**.

● «التعريف بالإسلام ومبادئه السمحة» عنوان محاضرة ألقاها باللغة الإنجليزية في مستوصف حاكمة بجيزان الشيخ **محمد كليبي**.

● «**الإيمان بين الزيادة والنقصان**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع الصرافية بالأحساء الشيخ **عبد الله بن حواس الحواس**.

مصر

توصيات مهمة لمؤتمر الأدب الإسلامي

اختتمت - مؤخرًا - في القاهرة **اجتماعات مؤتمر الأدب الإسلامي** الذي عقد بالتعاون بين كلية الآداب بجامعة عين شمس ورابطتي الجامعات الإسلامية والأدب الإسلامي العالمية.

استمر المؤتمر ثلاثة أيام نوقش خلالها أكثر من **خمسين بحثًا** تقدم بها أدباء وأكاديميون **من اثنتي عشرة دولة عربية وإسلامية**

وأصدر المؤتمرون في ختام اجتماعاتهم عدة توصيات من أهمها توصية للنقاد الإسلاميين بالعمل على **صياغة نظرية متكاملة للأدب الإسلامي**، والاهتمام باعتماد منهجية خاصة في تناول هذا الأدب والتأريخ له، كما أوصى المؤتمرون بالاهتمام **بترجمة آداب الشعوب الإسلامية إلى اللغة العربية وبالعكس**، وتقوية الصلات بين الأدباء المسلمين من خلال تبادل الدعوات للندوات والمؤتمرات الأدبية الإسلامية، وضرورة إعداد **معجم مصطلح الأدب وفق تصور إسلامي**، وناشدوا الجهات الحكومية والمؤسسات والأفراد القادرين تمويل مشروعات أدبية إسلامية، ورصد جوائز للأدب الإسلامي، ودعوا الأدباء المسلمين عموما إلى **مراجعة كتابات المستشرقين** في الأدب العربي والإسلامي ونقدها في ضوء التصور الإسلامي للأدب، **وكتابة نصوص مسرحية إسلامية تفي** بحاجة المجتمع المسلم إلى هذا اللون من الأدب، كما دعا المؤتمرون الجامعات الإسلامية إلى التعاون فيما بينها وتدريس الأدب العربي في الجامعات الإسلامية غير العربية، إلى جانب توصيات أخرى.

وتقرر أن يقام المؤتمر المقبل تحت شعار «**النقد التطبيقي للأعمال الأدبية المعاصرة في ضوء التصور الإسلامي**».

استعادة رسائل صلاح الدين

ذكرت وكالة الأنباء الفرنسية نقلاً عن مصادرها في القدس المحتلة أن الكيان الصهيوني قد أعاد إلى مصر في نهاية شهر رجب الماضي **رسائل عن بلاط السلطان صلاح الدين الأيوبي** يعود تاريخها إلى القرن الثاني عشر الميلادي كانت سلطات الاحتلال الصهيوني قد سرقتها إبان احتلالها شبه جزيرة سيناء.

ويذكر أن مصر والكيان الصهيوني قد وقعتا اتفاقًا يتم بموجبه إعادة الآثار المصرية المنهوبة، وسيبدأ تنفيذ هذا الاتفاق مع مطلع شهر مارس ١٩٩٣م وفقًا لجدول زمني بحيث تسترد مصر جميع الآثار المسروقة بحلول عام ١٩٩٤م.

ويهدف الصهاينة من وراء تأخير تسليم هذه الآثار إلى إتاحة الفرصة لعلمائهم لدراستها لعلهم يجدون فيها ما يؤيد مزاعمهم في أرض سيناء.

مسابقة الشيخ الشعراوي لخدمة الإسلام


الشيخ الشعراوي

أعلن الشيخ **جاد الحق علي جاد الحق** عن فتح باب قبول المشاركات في «**مسابقة الشيخ متولي الشعراوي لخدمة الإسلام**».

وتدور المسابقة في مجالين: الأول «**حول الإعجاز القرآني نحو حق الحياة البشرية وحمايتها وحرمتها وضوابط كل**

● «**الجمعيات الخيرية بالمملكة: ما لها وما عليها**» عنوان محاضرة ألقتها بدعوة من مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض الأستاذة **الجازي الشبيكي**.

● «**إدارة العمليات الأمنية**» عنوان محاضرة ألقاها في المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب اللواء د. **محسن محمد العبودي**.

● «**الغزو الفكري: آثاره وكيفية مواجهته**» عنوان ندوة أقيمت في الجامع القطري بحي العزيزية في مكة المكرمة شارك فيها الشيخ د. **محمد السلمي والشيخ د. عبد الله الزهراني**.

● «**المعاملة الزوجية**» عنوان محاضرة ألقاها في إدارة الدفاع المدني بمكة المكرمة الشيخ **محمد الرفاعي**.

● «**تقويم بعض الأدوية ممتدة المفعول الموجودة بالمملكة**» عنوان محاضرة ألقاها في كلية الصيدلة بجامعة الملك سعود د. **سيد حسن خضر**.

● «**الإدمان ووسائل العلاج**» عنوان محاضرة ألقاها في مقر المركز الثقافي المصري بالرياض د. **أحمد جاد**.

● «**دور المثقف العربي في مواجهة التحديات الراهنة**» موضوع ندوة نظمها في الرباط المجلس القومي للثقافة العربية، وشارك فيها عدد من المفكرين العرب.

● «**المشكلات الزوجية وطرق معالجتها**» عنوان ندوة أقيمت في جامع الإمام تركي بن عبد الله في الرياض، شارك فيها كل من المشائخ: **د. عبد الله المطلق، د. إبراهيم الخضيري وعبد الله الفنتوخ**، وعلق عليها سماحة الشيخ **عبد العزيز بن عبد الله بن باز**.

● «**التسول: أحكامه وآثاره**» عنوان محاضرة ألقاها في مركز الدعوة والإرشاد في دبي الشيخ **أحمد يوسف الدريوش**.

● «**مع ركب المصطفى في رحلة الإسراء والمعراج**» عنوان محاضرة ألقاها د. **محمد يوسف**.

● «**الإنماء التكنولوجي لمستقبل العالم الإسلامي**» عنوان محاضرة ألقاها د. **علي الكتاني**.

نظم المحاضرتين السابقتين في مدينة الرباط المغربية المركز الثقافي المصري.

● «**دور وسائل الإعلام في التنمية**» موضوع ندوة نظمها المركز الثقافي المصري في الجزائر، وشارك فيها **محمد قيراط وسليمان عبدا لغفار**.



الحركة الثقافية

ذلك»، والثاني «**رد الشبهات عن الإسلام في حقوق المرأة وزواج النبي ﷺ**».

المسابقة مفتوحة للشباب المسلم في مختلف أنحاء العالم، وترسل المشاركات إلى مكتب شيخ الجامع الأزهر بالقاهرة في موعد أقصاه **نهاية شهر أبريل المقبل ١٩٩٣م (٩من ذي القعدة ١٤١٣هـ)**

على ألا يقل عدد صفحات البحث عن مئة صفحة فلوسكاب ولا يزيد على مائة وخمسين صفحة، موثقة المراجع.

وقد تم رصد مائة ألف جنيه لصالح المسابقة بحيث تصرف الجوائز من عائداتها ويمنح الفائز الأول ألفي جنيه والثاني ألفا وخمسمائة جنيه، والثالث ألف جنيه.

اكتشاف هرم جديد للملك خوفو

اكتشفت بالقرب من هرم **خوفو** ـ أكبر أهرامات الجيزة ـ **بقايا هرم صغير خاص بالملك خوفو أيضا.**

وأوضح الآثاريون أن **الهرم الجديد يعد من الأهرامات التي كان الفراعنة يستخدمونها في الطقوس والشعائر الدينية**، ويتخذ شكل مربع قاعدته ٢٣ مترًا × ٢٣ مترًا، وكان يفترض أن يكون ارتفاعه ١٣ مترًا إلا أنه لم يعثر سوى على مترين عبارة عن قاعدته إضافة إلى كتل حجرية فوق القاعدة والقمة الهرمية التي كانت توضع فوقه.

وباكتشاف هذا الهرم يرتفع عدد الأهرامات المعروفة في مصر عند العلماء إلى **٩٦ هرمًا**.

وطبقًا لما صرح به مسؤولو هيئة الآثار المصرية فإن هناك كشوفات أخرى تم العثور عليها وسوف يتم الإعلان عنها في مؤتمر صحافي عالمي يعقد قريبًا.

متحف للوثائق وآخر حربي

من المنتظر أن يقام **متحفان جديدان، أولهما في القاهرة للوثائق المتعلقة بالحكم والثاني في سيناء لتاريخ العسكرية المصرية.**

يحتوي المتحف الأول الذي يقام في دار الكتب والوثائق على ما يزيد على مائة ألف وثيقة من بينها نماذج من الأحكام التي أصدرها حكام مصر وسلاطينها وخرائط ووثائق حفر قناة السويس.

أما المتحف الثاني فيهتم بالتأريخ للعسكرية المصرية في سيناء حيث يقام شرقي مدينة العريش على مساحة عشرة آلاف متر مربع، ويسجل التاريخ العسكري المصري منذ عصر ما قبل الأسر الفرعونية وإلى انتصار العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ، فضلاً عن نماذج لقطع الأسلحة التي استخدمها المصريون خلال تلك العصور والغنائم التي حصلوا عليها.

أعضاء جدد في مجمع اللغة

انضم إلى **عضوية مجمع اللغة العربية** في القاهرة ـ مؤخرًا ـ ثلاثة أعضاء جدد لملء الأماكن الشاغرة برحيل أصحابها.


د. محمد مصطفى هدارة

والأعضاء الجدد هم الدكاترة: **عبد العزيز صالح** الأستاذ في كلية الآثار بجامعة القاهرة، **ومحمد مصطفى هدارة** الأستاذ في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، **وعبد الحافظ حلمي** عميد كلية العلوم بجامعة عين شمس، وذلك خلفا لكل من: الأستاذ **عبد السلام هارون والدكتور محمد مرسي أحمد** والدكتور **محمد زكي شافعي**، يرحمهم الله.

مركز مصري ـ إسباني لترميم الآثار

تقرر إنشاء **مركز مصري إسباني مشترك لترميم الآثار في أحد مباني قلعة صلاح الدين**، تناط به مسؤولية المشاركة في ترميم الآثار الإسلامية.

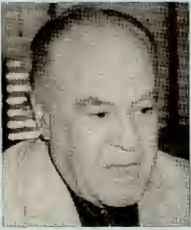
من ناحية أخرى وضع خبراء المجلس القومي المصري للثقافة والإعلام شروطًا لسفر الآثار المصرية للعرض في الخارج، منها ضرورة وجود بدائل للآثار المطلوب عرضها، وأن تكون هذه الآثار غير نادرة، وأوصوا بإعداد صيغة موحدة للاتفاقات الخاصة بالمعارض الخارجية.

ندوة البارودي

تحت رعاية وزير الثقافة المصري **فاروق حسني** نظمت **مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين** للإبداع الشعري **ندوة «محمود سامي البارودي»** في دار الأوبرا المصرية.

شارك في الندوة **شعراء وأدباء ونقاد من تسع عشرة دولة عربية**، ودارت حول محورين الأول عن البارودي، والثاني عن تطور المضمون في القصيدة المعاصرة وعلاقتها بالفنون الأخرى والتشكيل اللغوي لها.

معرض فني لصلاح طاهر


صلاح طاهر

افتتح في القاهرة **المعرض الثمانين** للفنان التشكيلي **صلاح طاهر** محتويًا ٢٥ لوحة تمثل مدارس فنية مختلفة. أقيم المعرض بمناسبة بلوغ **صلاح طاهر** سن الثمانين، وحضر الافتتاح وزير الثقافة المصري **فاروق حسني** وعدد من الوزراء والسفراء العرب والأجانب.

إعلان محميتين جديدتين

أضيفت منطقتا **نبق وأبو جالوم** في شبه جزيرة سيناء إلى قائمة **محميات التراث الطبيعي.**

وبإضافة هاتين المنطقتين يرتفع عدد المناطق المحمية الطبيعية في مصر إلى أربع عشرة منطقة أشهرها محمية رأس محمد التي تعد أكثر المحميات جذبًا للسياح.

خرائط علمية لآثار الإسكندرية

صدرت ـ مؤخرًا ـ **أول مجموعة خرائط علمية توضح مواقع الآثار الموجودة في مدينة الإسكندرية**

منذ إنشاء المدينة عام ٣٣١ ق. م. وحتى بداية القرن التاسع عشر.

استغرق العمل في إنجاز هذه الخرائط قرابة عشر سنوات بواسطة فريق عمل أشرف عليه د. **محمد عوض** الأستاذ في كلية الهندسة بجامعة الإسكندرية.

الأردن

مسابقة شعرية عن الانتفاضة

ينتهي في الثامن والعشرين من شهر رمضان الجاري الموافق ٢١ مارس ١٩٩٣م قبول القصائد المشاركة في **المسابقة التي أعلنت تنظيمها اللجنة الشعبية لدعم الانتفاضة الفلسطينية ومؤسسة عبد الحميد شومان** وتدور حول الانتفاضة في الأرض المحتلة.

وكانت المسابقة قد فتحت أمام الشعراء من مختلف البلدان العربية الذين لا تتجاوز أعمارهم أربعين عامًا، واختير يوم ٢١ مارس ليكون آخر موعد لتلقي المشاركات نظرًا لكونه يوافق الاحتفال بيوم الأرض الفلسطيني.

قناة تلفازية فضائية

يبدأ التلفاز الأردني في مطلع شهر رمضان الجاري تجربة **قناة تلفازية فضائية أردنية**.

ويعد حاليًا لأن تبث القناة الفضائية للمنازل، فضلاً عن الاستفادة منها في استقبال قنوات أخرى عبرها.

وستقوم القناة الجديدة بتنظيم ندوات تستضيف مفكرين وأدباء من مختلف أنحاء العالم العربي.

كتب جديدة

● **نقوش البياض**، مجموعة قصصية **لغسان عبد الخالق**، صدرت في عمان.

● **طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين**، تأليف الباحث اليهودي **بني موريس**، صدر عن دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية في عمان.

● **قلب المدينة**، مجموعة قصصية **لهاشم الغرايبة**، صدرت عن منشورات قدسية في عمان.

لبنان

معجم لغوي جديد

تحت اسم **«الهادي في اللغة العربية»** صدر في بيروت أحدث معجم لغوي عربي.

وضع المعجم الجديد **حسن سعيد الكرمي**، وصدر عن دار لبنان للطباعة والنشر، وبصدوره يرتفع عدد المعاجم اللغوية العربية إلى **عشرين معجمًا**، بدءًا بكتاب **«العين في اللغة» للخليل بن أحمد الفراهيدي** في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وانتهاء بهذا المعجم الجديد.

سورية

مدينتان أثريتان وحمام عام

اكتشف في تل بيدر بمحافظة الحسكة **مدينتان قديمتان، يعود تاريخها إلى** الألف الثالث قبل الميلاد.

وتوجد المدينة الأولى فوق التل الدائري ويحيط بها سور وتسمى المدينة العليا، في حين توجد الثانية فوق الأرض المحيطة بالتل من الجهة الغربية، وتوجد على جزء من هذه المدينة بيوت القرية المسكونة حاليًا.

من ناحية أخرى عثر في **تل تنينير** في المحافظة نفسها على **حمام للعامة** من حجر البازلت يعود إلى **العصر الأيوبي** وصف بأنه مثير للإعجاب من حيث تصميمه وتجهيزه.

تونس

أكاديمية للعلوم والآداب والفنون

وافق البرلمان التونسي على إنشاء **أكاديمية للعلوم والآداب والفنون** تعمل على إثراء اللغة العربية، والعناية بالتراث الفكري والفني والتاريخي، وإنجاز البحوث المتعلقة بقضايا البحث العلمي والنشر، وتأليف المعاجم والموسوعات المعرفية، وترجمة المؤلفات وتشجيع الإبداع.

كما تعتزم الأكاديمية توجيه العناية بتطوير المصطلح العلمي العربي بحيث يساير التطورات العلمية في العالم بالتعاون مع الأكاديميات العربية الأخرى.

المغرب

مجلة للمغتربين

أصدرت وزارة الهجرة المغربية العدد التجريبي من مجلة «ضفاف» التي تعنى بشؤون المغاربة المغتربين في الخارج.

يرأس تحرير المجلة **عادل حجي** بمعاونة مجموعة من الصحافيين المغاربة.

الجزائر

مهرجان شعري


محمد العيد آل خليفة

أقيم في مدينة بسكرة **مهرجان محمد العيد آل خليفة الشعري** بمشاركة مجموعة من كبار شعراء الجزائر.

دار المهرجان حول **ثلاثة محاور**: أولها محمد العيد بين معاصريه، والثاني عن الصحافة الأدبية في الجزائر: الواقع والطموح، والثالث عن الوطنية في الشعر الجزائري الحديث. وقد قدمت خلال المهرجان قراءات شعرية.

أندونيسيا

وفاة الإذاعي والمؤرخ صلاح البكري


صلاح البكري

نعت الأوساط الثقافية العربية والإسلامية الإذاعي والمؤرخ **صلاح البكري** الذي توفي في أندونيسيا - مؤخرًا - عن عمر يناهز ٨١ عامًا بعد حياة حافلة بالبحث والتأليف.

وُلد **صلاح البكري** في أندونيسيا عام ١٩١٢م، وتلقى تعليمه الابتدائي في **مدرسة الإرشاد العربية**



بجاكرتا، وفي عام ١٩٣٠م سافر إلى مصر ودرس بها المرحلة الثانوية ثم التحق بقسم التاريخ في جامعة القاهرة (جامعة فؤاد الأول آنذاك) وحصل على الليسانس عام ١٩٢٨، اتجه بعدها إلى معهد التربية العالي حيث نال دبلومه في التربية وعلم النفس عام ١٩٤٠م، وعُين مدرسًا في مدرسة القباري في الإسكندرية ثم في مدرسة محمد علي الثانوية في القاهرة.

وفي عام ١٩٥٠م سافر إلى هولندا وعمل مذيعًا في القسم العربي لإذاعتها، وانتدب عام ١٩٥٢ للتدريس في مدرسة الفلاح الثانوية في مكة المكرمة، وحصل على الجنسية السعودية، وعمل بعدها مذيعًا في الإذاعة السعودية في جدة ثم مديرًا لإذاعة «نداء الإسلام» فمراقبًا دينيًّا حتى قبل وفاته بعام.

وله مؤلفات عديدة منها: **تاريخ حضرموت السياسي، حضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي، في جنوب الجزيرة العربية، في شرق اليمن، اتحاد الجنوب العربي، الجنوب العربي قديمًا وحديثًا، وشمال الجزيرة العربية.**

تايلند

مسابقة لتلاوة القرآن

نظمت - مؤخرًا - في بانكوك **المسابقة الرابعة لتلاوة القرآن الكريم على مستوى بلدان آسيا.**

جاء في المركز الأول من الرجال ماليزي، وفي المركز الأول من النساء تايلندية.

باكستان

أحدث الكتب

● **الصراع في يوغوسلافيا ومستقبل المسلمين، تأليف عبد الله عاصم إسماعيتش.**

● **الاستراتيجية الدولية في القضية الأفغانية، تأليف كمال الهلباوي.**

صدر الكتابان السابقان عن معهد الدراسات السياسية في إسلام آباد - القسم العربي.

● **انبعاث الإسلام في الأندلس، تأليف علي المنتصر الكتاني،** صدر عن مجمع البحوث الإسلامية في إسلام آباد.

مدغشقر

مهرجان لتراث شرقي أفريقيا

● يقام في مدغشقر خلال شهري أبريل ومايو المقبلين **مهرجان إقليمي للتراث بدول شرقي أفريقيا.**

● وكان المجلس الوزاري لمركز شرقي أفريقيا لدراسة التراث الشفهي واللغات الحية التابع لمنظمة الوحدة الأفريقية قد قرر إقامة المهرجان في ختام اجتماعاته التي عُقدت - مؤخرًا - في الخرطوم.

رسائل جامعية

● «**المخطوطات الإسلامية بالجامعات السعودية**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز في جدة، تقدم بها علي علوي بافقيه.

● «**نظرية التقعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط، تقدم بها **محمد الروكي.**

● «**المنهيات الشرعية في صفة الصلاة: تحريمًا وكراهة**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها **عبد الرؤوف بن محمد الكمالي.**

● «**إشكالية الهوية الذاتية في شعر ماثيو أرنولد**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض تقدم بها عبد القادر العديني.

● «**التأثيرات الدوائية للحبة السوداء - حبة البركة**» عنوان رسالة ماجستير، نوقشت في كلية الصيدلة بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها الصيدلي **محمد مطيع سالم عاشور.**

● «**دراسة مسائل الخلاف بين أبي حنيفة وابن أبي ليلى في أحكام العبادات وأحكام الأسرة**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تقدم بها **أنس بن محرم ليفاكوفيتش.**

● «**شعر ابن زمرك وموشحاته: جمع وتحقيق وتوثيق ودراسة**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة غرناطة بأسبانيا تقدمت بها **منى ربيع بسطاوي.**

● «**الخطة الاسترشادية لحفظ وتجديد وإعادة إعمار الأماكن الأثرية بحي الكوت بمنطقة الأحساء**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية العمارة والتخطيط بفرع جامعة الملك فيصل بالدمام، تقدم بها **عبد الرحمن إبراهيم القو.**

● «**شرح حماسة أبي تمام المسمى الحماسة ذات الحواشي**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تقدم بها **عبد العزيز بن عبد الله المقبل.**

● «**القيادة الإدارية لرؤساء الأقسام العلمية بجامعة الملك عبد العزيز: دراسة تحليلية**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في فرع جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، تقدم بها **عبد الكريم ضيف الله بن مسند الحربي.**

● «**الخوف الاجتماعي وعلاقته ببعض أساليب المعاملة الوالدية كما يراها الأبناء**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة الملك سعود في الرياض تقدم بها **محمد سالم القرني.**

● «**تأثير الإجهاد الناتج عن السموم الداخلية للبكتريا على نمط الأحماض الأمينية**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الصيدلة

فرنسا

تراث العالم العربي بالليزر

● أصدر معهد العالم العربي في باريس **موسوعة بالليزر عن تراث العالم العربي تضم ١٨ ألف معلومة.**

ويعتزم المعهد بمناسبة مرور خمسة أعوام على إنشائه تكوين حقيبة تربوية تباع بخمسة وعشرين فرنكًا فرنسيًّا تضم شريط فيديو مدته ٢٦ دقيقة عن العالم العربي، و٢٥ شريحة مصورة وكتيبًا موجهًا إلى المعلمين.

العربية في المدارس الفرنسية

اعتمدت **اللغةُ العربيـةُ لُغَةً رسميةً في المدارس الفرنسية** بعد أن وافق مجلس الوزراء الفرنسي على مشروع تقدم به وزير التربية والثقافة لتدريس العربية والروسية والهولندية في المدارس.

وباعتماد المشروع يجوز لتلميذ المرحلة الابتدائية اختيار اللغة العربية باعتبارها لغة ثانية.

معرض فرعوني

تحت عنوان «**أمنحوتب الثالث وعالمه**» يستضيف **متحف اللوفر** اعتبارًا من التاسع من شهر رمضان الجاري ولمدة ثلاثة أشهر أكبر معرض للآثار الفرعونية.

يضم المعرض **مائة وخمسين قطعة أثرية فرعونية** من مقتنيات عدة متاحف عالمية منها **المتحف المصري ومتاحف اللوفر وبرلين وكليفلاند**، وذلك للتعريف بأهمية عصر الملك أمنحوتب الثالث ودوره في التاريخ المصري.

ويذكر أن المعرض أقيم من قبل في **كليفلاند وتكساس** في الولايات المتحدة الأمريكية، وينتظر أن يشهد مطلع العام الميلادي المقبل ١٩٩٤م إقامة معرض «**فنون الإنسان المصري القديم**» في متحف اللوفر بمشاركة **خمسين متحفًا عالميًّا، حيث ينتقل المعرض بعد ذلك من فرنسا إلى كندا ومنها إلى النمسا.**

جائزة جونكور لشاموازو

فاز الكاتب باتريك شاموازو من جزر الأنتيل **بجائزة جونكور الأدبية** التي تمنحها أكاديمية جونكور في فرنسا عن روايته «تكساكو».

وُلد باتريك شاموازو في عام ١٩٥٣م بمدينة فور دي فرانس وهو الأب الخامس والأخير لساعي بريد، ودرس القانون والاقتصاد، واتجه إلى الأدب، حيث عبّر عن حياة شعب الأنتيل في كتاباته. ومن رواياته: «**عظمة الكربول**» و«**سوليبو العظيم**»، و«**حكاية الفاقات السبع**».

ويذكر أن عام ١٩٩٢م شهد حصول اثنين من أبناء جزر الأنتيل على أكبر جائزتين أدبيتين عالميتين، أولهما **ديريك والكوت** الذي نال جائزة **نوبل** للآداب، والثاني **شاموازو** الذي نال جائزة الجونكور.

أحدث الكتب

● **نقد الحداثة**، تأليف **آلان تورين**، صدر عن

بجامعة الملك سعود في الرياض تقدم بها **يحيى حسن زكي مصطفى.**

● «**المسؤولية الاجتماعية وعلاقتها بوجهة الضبط**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية للبنات بجامعة الملك سعود بالرياض، تقدمت بها **نادية كامل التيه.**

● «**تفاسير الزيدية . . عرض ودراسة**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **محمد بن صالح المديفر.**

● «**دور الإخصائي الاجتماعي في مراكز الرعاية الصحية الأولية**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب للبنات بجامعة الملك سعود بالرياض، تقدمت بها **ذانة سعدي الشاهو.**

● «**صورة الطفل في الأدب العربي**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في مركز دراسات الطفولة بجامعة عين شمس، تقدمت بها **سيدة حامد.**

● «**منهج ابن عيطة في أصول الدين . . عرض ودراسة**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **علي بن عبد الرحمن القرعاوي.**

● «**العوامل المؤثرة في عزوف المقترضين عن تسديد الأقساط المستحقة لصندوق التنمية العقارية: دراسة جغرافية تطبيقية على مدينة حائل**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض، تقدم بها **محمد بن فريج فهد التميمي.**

● «**الخصائص الحجمية والشكلية والمعدنية لرمال كثبان الدهناء الواقعة على خط الرياض ــ الدمام السريع: دراسة حالة في الجيومورفولوجيا التطبيقية**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدراسات العليا للطالبات في عليشة التابعة لجامعة الملك سعود بالرياض تقدمت بها **هدى مأمون محمد إبراهيم.**

● «**دراسات فسيولوجية مرضية لسموم الفطريات أفلاتوكسين ب ـ على الفئران غير البالغة**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في مركز أقسام العلوم والدراسات الطبية للبنات التابع لجامعة الملك سعود بالرياض تقدمت بها **حمدة عبد الله ناصر النعيمي.**

● «**المضمون النفسي والاجتماعي لصورة الطفل في الأدب المصري الحديث**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة عين شمس، تقدمت بها **مديحة مصطفى علي عمر.**

● «**دراسة اللهجات في كتاب إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية للبنات في الرياض، تقدمت بها **الجوهرة بنت عبد الله عبد الرحمن الباز.**

● «**تأثير فصل السنة على استجابة تحفيز التبويض المفرط في ماشية الحليب المعاملة بمصل الحامل PMSG تحت ظروف البيئة تحت الجافة**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الزراعة بجامعة الملك سعود في الرياض تقدم بها **رضوان محمد الطيب الإبراهيم.**

الحركة الثقافية

دار فايار في باريس .

● **المرأة في عهد قياصرة روسيا**، تأليف **هيلينا فولي**، صدر في باريس .


جوته

● **عقل المرأة**، تأليف **جونفياف فرازا**، صدر في باريس .

● **في حديقة العالم**، **تأليف** كلود روايلزا، يدور الكتاب الذي صدر في باريس حول حياة الشاعر الألماني الشهير **جوته** وآرائه .

● **المؤسسات الأمريكية**، تأليف **فرانسوا بورجن وكوليكسيون بوف**، صدر ضمن سلسلة «**ماذا أعرف عن . .» في باريس** .


إميل زولا

● **إميل زولا**، سيرة ذاتية أعدها **هنري تروبا**، صدرت عن دار فلاماريوت،

● **الاقتصاد العالمي**، تأليف **جان مارك سيرون**، صدر عن دار نشر أرماند كولان .

بريطانيا وفاة ألبرت حوراني


ألبرت حوراني

● توفي في لندن المفكر اللبناني الأصل **ألبرت فضلو حوراني** أستاذ الدراسات العربية (المتقاعد) في جامعة أوكسفورد الذي وافاه الأجل - مؤخرا - في أحد المستشفيات البريطانية عن عمر يناهز ٧٨ عامًا .

وُلد حوراني في مدينة مانشستر عام ١٩١٥م لأسرة لبنانية هاجر عائلها من جنوبي لبنان إلى بريطانيا، وتلقى تعليمه في المدارس البريطانية ثم في كلية مودلن بجامعة أكسفورد حيث تخصص في الدراسات العربية والإسلامية، ثم التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت لدراسة العلوم السياسية والتاريخ، وعاد إلى بريطانيا مع اندلاع الحرب العالمية الثانية وعمل في وزارة الخارجية البريطانية ثم في المكتب العربي، كما عمل أستاذًا في جامعة أوكسفورد وأستاذًا زائرًا في جامعة هارفارد الأمريكية .

وكان الفقيد فخورًا بأصله العربي، وقدم للمكتبة العربية مؤلفات عديدة منها : «**الأقليات في العالم العربي**»، و«**سورية ولبنان: تحليل للوضع السياسي**»، و«**تاريخ الشعوب العربية**»، و«**الفكر العربي في عصر النهضة**» وآخر إنتاج له هو كتاب «**اللبنانيون في العالم: قرن من الهجرة**» الذي أشرف على تحريره بالمشاركة مع **نديم شحادة** وصدر قبل أشهر.

جائزة الجارديان لقاص سوداني

● فاز الأديب السوداني الشاب **جمال محجوب** بجائزة صحيفة «الجارديان» البريطانية للقصة الأفريقية الحديثة عن قصته «**ملاك رسام الخرائط**» .

وينحدر جمال محجوب المولود عام ١٩٦٠م من أب سوداني وأم بريطانية ويقيم حاليًا في الدانمرك، وقد وصفت لجنة الجائزة المكونة من ثلاثة أعضاء قصته بأنها تتميز بجدة التناول ومتانة الأسلوب واللغة، وقد اختيرت من بين نحو **ثمانمئة مشاركة من ثلاثين قطرًا أفريقيًا**، أكثرها إسهامًا نيجيريا وكينيا تليهما زيمبابوي وأوغندا .

روايات على أشرطة كاسيت

طرحت في الأسواق بمناسبة العام الميلادي الجديد مجموعة **أشرطة كاسيت سجلت عليها أعمال أدبية** دون اختصار بأصوات كبار الفنانين البريطانيين .

من الروايات التي سجلت «**فلاشمان**» **لجورج ماكدونالد فريزر** و«**رحلة فوق ظهر فيل**» للأديب **مارك شنيدر**.

كائنات ما قبل عصر الديناصورات

عثر آثاريون في شمال شرقي بريطانيا على آثار أقدام كائنات تشبه التماسيح يعتقد أنها عاشت قبل ظهور الديناصورات بمئة مليون عام .

وقد وجد عشرون أثرًا على صخور ساحلية لأقدام يعادل الواحد منها في حجمه حجم الكف البشري، فضلاً عن آثار نصف مخلوقات تشبه التماسيح .

وقد فشلت الجهود لقطع الآثار من الصخور بمنشار لصلابة الصخور وسماكتها، حيث يتهددها خطر المحو بفعل تقدم أمواج البحر.

أحدث الكتب

● **النظرية الثقافية والتبادل الثقافي**، تأليف **مايك فازرستون**، صدر في لندن .

● **إعادة هيكلة إنتاج الأسلحة في أوربا الغربية**، لمجموعة من المؤلفين صدر ضمن منشورات جامعة أوكسفورد .

● **ريبنتروب**، تأليف **مايكل بلوخ**، سيرة لوزير خارجية ألمانيا في عهد هتلر، صدر عن دار بانثام برس في لندن .

● **جون مانيارد كينز ١٩٢٠ ـ ١٩٣٧م، جـ ٢، سيرة للاقتصادي البريطاني جون كينز** أعدها، **روبرت سكيولسكي**، وصدرت عن دار نشر ماكميلان في لندن .

● **تجارة الحرف المطبوع**، تأليف **د. مود أسطفان هاشم**، ترجمة د. خليل أحمد خليل .

● **التسامح بين شرق وغرب**، ترجمة **إبراهيم العريس**. صدر الكتابان السابقان عن دار الساقي في لندن .

إيطاليا مخطوطات الفاتيكان للبيع على شرائط فيديو

قررت مكتبة الفاتيكان تسجيل ما تحتوي عليه

من **مخطوطات ومنمنمات على شرائط فيديو** لتكون في متناول يد الباحثين مقابل ١٥ ألف فرنك فرنسي للشريط .

يضم الشريط نحو **٣٥ ألف صورة من المنمنمات** من بين ١٢١٠ مخطوطات يضمها صندوق الملكة كريستين الموجود في مكتبة الفاتيكان .

روما تحتفي بموسيل

احتفت مدينة روما بالكاتب النمساوي الراحل **روبرت موسيل** بمناسبة مرور نصف قرن على وفاته بإقامة معرض لمؤلفاته ومتعلقاته الشخصية وصوره، وندوة ثقافية لمناقشة أعماله .

شارك في الندوة عدد كبير من أبرز أدباء إيطاليا والنمسا وفرنسا .

النمسا

جائزة إيريك فريد لشيندل

منحت وزارة الثقافة النمساوية **جائزتها السنوية «إيريك فريد»** الكاتب النمساوي، **روبرت شيندل** تقديرًا لأعماله ومؤلفاته الأدبية التي عالجت مشكلات مجتمعه .

وسوف يتسلم شيندل جائزته من وزير التعليم في احتفال يقام في شهر مايو المقبل بأكاديمية المسرح في فيينا .

هولندا

وفاة رائد الفن التجريدي

توفي - مؤخرا - في باريس **سيزار دوملا** رائد الفن التشكيلي التجريدي الهولندي عن عمر يناهز ٩٣ عامًا .

وُلد **دوملا** في أمستردام عام ١٩٠٠م، ودرس الرسم في سويسرا عام ١٩٢٢م، ومنها اتجه إلى برلين وتدرب في مرسم الفنان **ارتو سيجال**، الذي أشركه في معرض مجموعة نوفمبر، وانتقل عام ١٩٢٤م إلى باريس، ثم استقر في برلين وبها أقام معرضًا لنفسه عام ١٩٣١م، وبعد عامين عاد إلى باريس ليستقر بها وتوالت بعد ذلك معارضه الخاصة .

من أحدث الكتب

● **مصر: مشاهد جانبية، تأليف نيكولاس بينجهان**، صدر في هولندا باللغات الهولندية والإنجليزية والألمانية .

ألمانيا

أحدث الكتب

● **من روائع الشعر السومري**، نصوص سومرية قديمة نقلها إلى اللغة العربية **علي الشوك** .


سعدي يوسف

● **قصائد باريس . . شجر ايثاكا**، للشاعر **سعدي يوسف** .

● **يوميات حرب ونصوص أخرى، تأليف خالد المعالي** .

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن منشورات الجمل في كولونيا .

الولايات المتحدة

ديناصور ما قبل ٢٣٠ مليون عام

تمكن باحثون من جامعة شيكاغو في ولاية ألينوي الأمريكية من **بناء هيكل عظمي كامل - تقريبًا لديناصور لاحم من نوع هيريرا صور** عاش على الأرض قبل ٢٣٠ مليون سنة .

وأوضح الباحث د. **بول سيرينو** في ملف نشرته مجلة **«ساينس»** العلمية أن الهيكل الذي شكل أقدم زاحف لاحم من عائلة الديناصورات قد جُمِعَ من بقايا عظمية تم اكتشافها عام ١٩٨٨م في الارجنتين .

وتؤكد الأبحاث العلمية أن الديناصورات قد انقرضت من على سطح الأرض منذ نحو ٦٥ مليون عام .

أحدث الكتب

● **الاستيلاء على موزمبيق، تأليف ويليام فينجان**، صدر في كاليفورنيا،

● **عبقرية الحضارة العربية: ينبوع الحضارة**، طبعة ثالثة ومنقحة، صدر عن دار نشر موبيل كوربوريشن .

● **النجاح في وول ستريت**، تأليف بيتر لينش، **صدر عن دار بنجوين في نيويورك** .

أستراليا

الفائزون بجائزة أستراليا الدولية

منحت **جائزة أستراليا الدولية** في مجال العلوم لعام ١٩٩٣ ثلاثة علماء من بريطانيا وأستراليا والولايات المتحدة الأمريكية لتميزهم في مجال دراسات الحواس .

والفائزون هم: **هوراس بارلو** من جامعة كامبريدج البريطانية **وبيتر بيشوب** من جامعة سيدني الأسترالية، **وفيرنون ماونت كاسل** من جامعة جون هوبكنز في الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد أدت الأعمال العلمية لهؤلاء خلال نصف قرن إلى اكتشاف كيفية إدراك المخ للعالم عن طريق الحواس، وكيفية معالجة هذه المعلومات، مما أسهم في تحقيق التقدم في علاج الاضطرابات البصرية وإيضاح كيف يرى المخ في ثلاثة أبعاد .

الجائزة تقدمها الحكومة الأسترالية وتبلغ قيمتها ربع مليون دولار أسترالي (نحو ١٦٧ ألفًا و٥٠٠ دولار أمريكي) .

اليابان

معرض دولي للفنون

شارك **٢٢٠ فنانًا ومؤسسة فنية من أربعة وعشرين بلدًا في «معرض طوكيو الدولي للفنون» الذي افتتح مؤخرًا في العاصمة اليابانية** .

ضم المعرض أعمالاً فنية راقية ومتنوعة شملت رسومات ومنحوتات .

من أحدث الكتب

● **مكة مجتمع ديني**، تأليف **أكبر أغوتو**، صدر عن دار تشكو كورونشا في طوكيو .

على موعد



خدمة العلم

إذا مَاواتَتْ الفُرْصَةُ وسَاعدت الظروف أحدنا اليوم، أقصد بذلك طلبة العلم أو المشتغلين به للكتابة والتأليف فإنَّ أول ما نَسْعَى إليه أنْ يكون اسمُنا بارزًا على غلاف الكتاب مَسْبُوقًا باللَّقب العلمي الذي نتنافس على الحصول عليه أكثر من تنافسنا على طلب العلم الحقيقي والتمكّن منه، ولا نرى بأسًا أنْ نضيف في ذيل هذا الكتاب قائمة أهم منجزاتنا العلمية، ولا بأس أنْ يدخل في ذلك ما تقلّدناه مِنْ مناصب، وما حضرناه مِنْ ندوات، وما نِلْنَاهُ مِن ميداليات. ومن الذي يستطيع أن ينازعنا فيما نقول، أو يشكك فيما نذهب إليه، فنحن الذين قَلَّدَنا المجتمع الذي نعيش فيه الأمانة وأولانا ثقته، وأضحى ينظر إلينا بعيون ملؤها الكمال والرِّضا.

هذا واقعٌ لا نستطيع إنكارَهُ ولا الفرار منه، فالأدلة عليه كثيرة والشواهد عليه ساطعة.

وإذا قارنا هذا الواقع بما كان عليه أسلافنا مِنْ أهْل العلم وروّاده فإنَّ البون سوف يكون شاسعًا والحال مُخْتلفًا، وعندما أقول أسلافُنا فإنني لا أذهب بعيدًا إلى عقود عديدة خلت، لأنَّ العودة إلى ذلك الزمن تجعل مقارنة كهذه من ضروب المستحيلات، ولكنني أعني بأسلافنا أقوامًا كانوا إلى وقت قريب يعيشون بيننا، القوْم الذين علمونا أبجديات القراءة والكتابة في رحاب الديار المطهرة، وبين سواري بيوت الله ومساجده العامرة، فلقد كان الواحد من هؤلاء يكتب المصنفات العديدة ثم يذيِّلها بعبارة «خادم العلم في بَيْتِ الله الحرام، أو الرَّاجي عفو مولاه فلان بن فلان»، دون أن يعنى بذكر لقب، أو يقدِّم لاسمه بمقدمات طويلة. والنَّفس عادة ما تنفر من ألقاب تعظيم الذات إذا ما صدرت مِنْ أهْل العِلْم. ولو ذكر هؤلاء من مشائخنا والذين قتلوا في نفوسهم نزعة حب الظُّهور وضبطوا نوازعهم البشرية، لو ذكروا جميع الألقاب العلمية لما وفَّوا نفوسهم حَقَّها، ولكنهم مع هذا رضوا بأن يكونوا خدمة للعلم ودعوا الآخرين أنْ يخاطبوهم بهذا اللقب.

وإنني لأذكر كيف أن أحد زملائنا كان معنيا بتسجيل تراجم العلماء، والحديث عن حياتهم، فذهب إلى منزل الشيخ محمد نور سيف - رحمه الله - في مكة المكرمة ليطلب منه ما يدوِّنه عن حياته، فما كان مِنْ ذلك الشيخ الوقور إلا أنْ ابتسم في وجه ذلك الزميل، ثم قال له: ليس في حياتي ما يستحق التسجيل. وعاد الشيخ إلى دَرْسِهِ، وانصرف الزميل الكريم وهو لم يحصل على ما كان راغبًا في الحصول عليه مِنْ عالم كان دَرْسُهُ يمتلىء بطلاب العلم مِن جميع أنحاء العالم الإسلامي في باب العُمْرة بالحرم المكي، وعند خوخة الصِّديق أبي بكر - رضي الله عنه - في مدينة المصطفى ﷺ. ولقد حدَّثني أحدهم - وكان والده ملء السَّمع والبصر في بَثِّ العلم ونشر الدعوة - قائلاً: سألتُ والدي، لماذا يا أبتِ لا أجد لَك كُتبًا كثيرة كما أجد للآخرين؟ فأجاب الشيخ الدَّاعية ابنه الذي خلفه في العلم قائلاً: إننا يا بُنيَّ نُؤَلِّف الرِّجال، وتأليف الرِّجال أعظم مِنْ تأليف الكتب.

إنها التربية الإسلامية الحقَّة التي لا يكفينا في هذا الزمن أنْ نضرب فيها الأمثلة من الماضي الذي انصرم والعهد الذي انقضى، ولكنها الهدف الذي يَحْسُنُ أن نتوجَّه إليه، والغاية التي يَتَوَجَّبُ بَذْل كل ما في وسعنا لبلوغها، إنها الرّوح الذي يبقى العِلمُ بدونها جَسَدًا لا حياة فيه، فكيف إذا كانت هذه الروح هي ما جعل أسلافنا يخلِّفون لنا هذه الثروة الثمينة مِنْ الخلق والسلوك والمعرفة؟

د. عاصم حمدان

● د. عاصم حمدان الغامدي



- من مواليد المدينة المنورة.
- دكتوراه في الفلسفة من جامعة مانشستر البريطانية عن رسالته «أدب المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري: دراسة نقدية اعتمادا على المصادر المعاصرة»، وقبلها بكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٣٩٦هـ.
- أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة الملك عبد العزيز بجدة.
- مؤلفاته: التآمر الصهيوني الصليبي على الإسلام (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، حارة الأغوات: صورة أدبية للمدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري (١٤١٣-١٩٩٢).